محمد جلال كشك

بأمر القضاء

خواطر مسلم في المسألة الجنسية

مكتبة التراث الإسلامي
٠ شارع الجمهورية عابدين القاهرة

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى

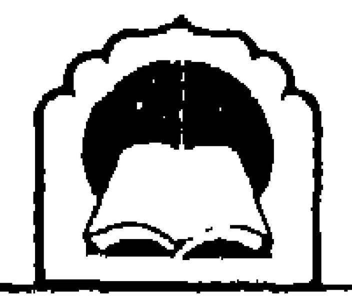
الاسكندرية

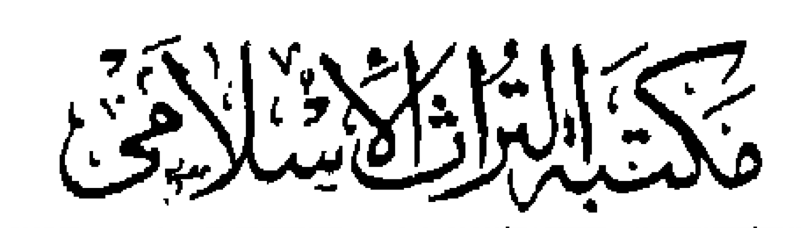
خواطر مسلم
في المسألة الجنسية

الطبعة الثالثة

رجب ١٤١٢ هـ

يناير ١٩٩٢ م





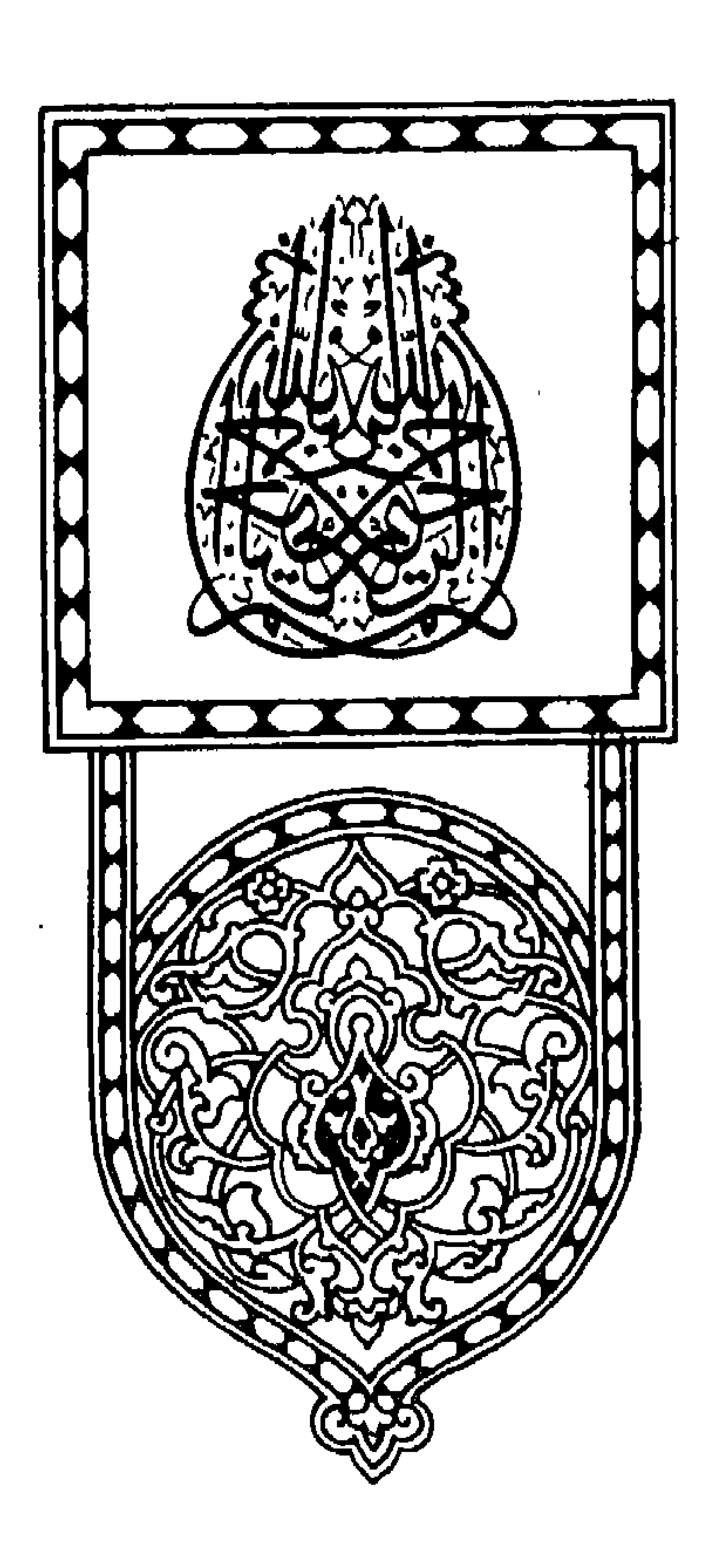
٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ ـ ٣٩٢٥٦٧٧ ـ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

محمد جلال كشك

خواطر مسلم في المسألة الجنسية

جلد عميرة وعامرة
الملاعبة دون المواقعة
الزنا --------------
الشذوذ الجنسي -----
غلمان الجنة -----

مكتبة التراث الإسلامي



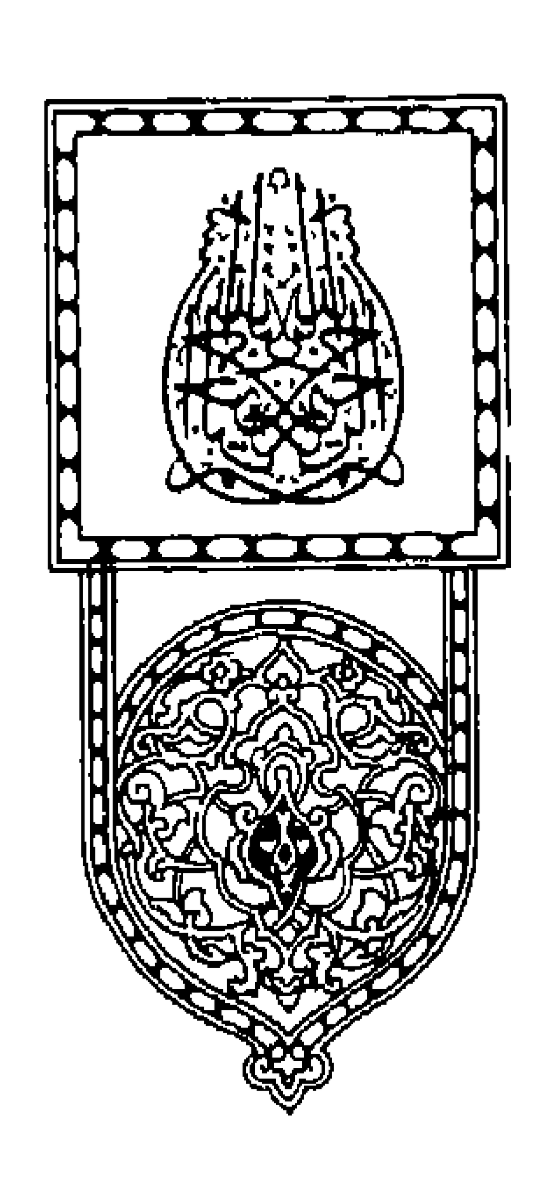


الإهداء :

« قالوا أيأتي أحدنا شهوته فيثاب عليها ؟

قال نعم ... » الحديث

صلوات الله عليه وسلامه



مقدمة الطبعة الثالثة

إذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حقود حسود ممعود وهذا ما حدث في كتابي هذا فقد حرصت عندما أصدرته ، على أن أتحمل مسئوليته كاملة ، فسميته **خواطر مسلم** ، وكما قلت في مقدمة الطبعة الأولى ، لم أنسبه لرأي الاسلام ، ولا حتى ادعيت الاجتهاد فيه .. وإنما قلت هي خواطري كمسلم فإن أصبت فبتوفيق من الله ، وإن أخطأت طلبنا المغفرة ، وتعلمنا ممن ينصح ويرشد .

ولو مضى الأمر كما فكرنا ولم تعترض الكتاب مشاكل ، لبقت في نفس الكثير من القراء بعض الشكوك والظنون حول ما وصلنا إليه من تحليلات وأفكار ، خاصة وأنا لا من رجال الدين ، ولا من فقهاء الاسلام .

ولكن العبد في تفكير والرب في تدبير ، فقد أهديت النسخة الأولى من الكتاب

لصحفي يكبرني في السن ، كثير القراءة ، قليل الابتكار ... أغدقت عليه الأوضاع فأسرفت بنصف زينة الحياة الدنيا ، ولكنه حرم القناعة ، ورضا النفس ، يحسد الناس على العلم والمعرفة ، ولو أخلص النية لكان من أبرز مثقفي جيله . أذهله ما بالكتاب من فتوح فكرية ، وإلمام بتطور التاريخ والفكر لبعض قوانين انبعاث الحضارات وانهيارها ، وما غفر لنا أننا لم نصفق في الأسواق ، ولا نافقنا الحكام فجعلنا الحمار ينطق بفلسفة سقراط ، ولا أضعنا عمرنا في الكتابة الرخيصة التي تغرر بالقارىء ولا تثقفه ، حسدنا على الجهد والمشقة ، والغربة في الخارج والداخل ، والحيف والظلم اللذين نزلا بنا ... فوشى بالكتاب إلى السلطات التي صادرته وقدمتنا للمحكمة ... وكانت إرادة الله ! فقد قررت المحكمة بجلسة ٢٢ / ٧ / ١٩٨٤ ندب لجنة ثلاثية من علماء مجمع البحوث الاسلامية ينتدبهم رئيس المجمع لقراءة الكتاب وإبداء الرأي فيه ... واستغرقت دراسة اللجنة ما يقرب من عام ، كنت قد أصدرت خلالها طبعة ثانية من الكتاب في أوربا سميتها « الطبعة الحرة » .

وصدر قرار لجنة مجمع البحوث الاسلامية ببراءة الكتاب ، وخلوه من أي تعارض مع الدين الحنيف لا نصا ولا تأويلا ... وهكذا كان الظن في الأزهر ورجاله الكرام ، وبناء على تقرير اللجنة أصدرت المحكمة أمرها بالافراج عن الكتاب فورا وانصاعت السلطة التنفيذية ... وباء الواشي بالعار والخيبة .

ولاشك أن هذا الذي حدث من استفتاء ثم حكم القضاء ، قد أخرص ألسنة سوء ودت لو نهشت ، فكان حظها أن تسممت هي بعض لسانها ، كما أزال الشك من نفوس مؤمنة ، كانت بحاجة لطمئنة قلبها .

ونزل الكتاب في أسواق مصر في أسوأ طباعة ! ومع ذلك فقد نفدت طبعتاه القاهرية والأوربية ، وكتب إلى الكثير يشكرون ويقولون أنهم حرصوا على أن تقرأه بناتهم وبنوهم ... وقد اشترى مثقف عربي مائة نسخة ليوزعها على مشايخ بلده . بينما استمر البعض في الكيد والتنبيط والتزوير الفاجر ، دون أن يجرؤ واحد علي

مهاجمة أو نقد الكتاب صراحة أو كتابة ، ولو فعل أحدهم لجعلته نكالا لمن خلفه ! حتى الذي استغل مركزه كأستاذ في إحدى الكليات فهاجم الكتاب بين تلاميذه دون أن يعرف حتى اسمه فقال إنه كتاب خواطر مسلم في الثقافة الجنسية ، وجهله بعنوان الكتاب يكشف جهله بمضمونه ، أو قل تزويره لاسم الكتاب ينبيء بمدى صدقه في عرض موضوعه ، ولو كان كتابه يبيع نسخة واحدة خارج نطاق أسرَى امتحاناته ... لرددت عليه .

وقد عتب البعض لما كتبته عن ابن حزم وراحوا يشيدون به ، وأنا أعلم منهم بقدره رحمة الله عليه كان عالما وفقيها موسوعي الثقافة ، ولكنه كان أيضا افراز عصره وكان غفر الله له ، صادقا في تسجيل أمراض هذا العصر ، التي سببت هذه الاعجوبة النادرة ، أعني زوال أمة وحضارة بعد ٨٠٠ سنة من استقرارها ، وعلى يد الأكثر تخلفا ... ما تفسيركم إلا ما قلته أنا ، بل إنني أزعم أن ما قلته هو التفسير الوحيد الذي برأ الاسلام مما ارتكب المنتسبون إليه ، الذين تسببوا في هزيمته بفسق مترفيها ... وتطهر الكفار فحق على حضارتنا الدمار ... .

وقد يحاول خناس وسواس أن يثير بعض القول حول دراستي الجديدة عن غلمان الجنة ، ولكن ليتمعن القاريء فيما كتبناه ، وليتذكر قول الامام « أحمد الراغب » عن لذات الجنة « إذا اختلفت الشهوات لم يبعد أن تختلف المعطيات واللذات . والقدرة واسعة والطاقة البشرية عن الاحاطة بعجائب القدرة قاصرة ، والرحمة الالهية ألقت بواسطة النبوة لكافة الخلق القدر الذي احتملته أفهامهم فيجب التصديق بما أفهموه والاقرار بما وراء منتهى الفهم »[1] ثم اطرح السؤال الذي واجهت به كاتب الوشاية الأولى ... هل الغضب من اثباتنا التحريم في الدنيا أم من ظننا المثوبة في الآخرة ؟! ... على أية حال لم يستطع أحد أن يعارض ما ذهبنا إليه صراحة حتى اليوم !

[1] ـــ عن الامام الراغب ص ١٣٠ الاسلام والجنس .

وقد فوجيء البعض باكتشافنا — أي والله أقول اكتشافي — أن الرجم ليس في القرآن نعم فوجيء هذا البعض وكأنه يسمع بذلك لأول مرة وكلهم هرعوا يصرخون ... نعم ولكنها ثابتة بالسنة وأنت تريد الغاءها لأنها لم ترد في القرآن !! ... حقا يكاد المريب يقول خذوني ... لقد دعوناكم لتأمل حكمة الله في نسخ آية الرجم ومحوها من كتابه ، سبحانه وتعالى .

وقد يبدو غريبا ، للبعض أن يكون شيوخنا أكثر فهما وتفهما وأرحب صدرا وأوسع أفقا من المتفرنجين ، ولكن لا غرابة ، فالمتفقه في الاسلام هو دائما أبدا المؤمن بحرية الفكر الأقدر على استشفاف التفوق الحضاري الذي جاء به الاسلام ... أنه الدين الذي لم يضع قيدا على الفكر ، ولا اكتفي باقرار حق الخطأ بل كافأ المفكر الحر أو المجتهد حتى على الخطأ . فتحية لشيوخ الأزهر وللقضاء .

وقد قالت : الأستاذة اللبنانية هالة العوري في مقدمة ترجمة كتاب الاسلام والجنس للدكتور عبد الوهاب بوحديبه أن كتابه هو المبادرة البكر ثم قالت : **" وقد طرح في العربية بعد ذلك كتاب باسم « خواطر مسلم في المسألة الجنسية » للأستاذ محمد جلال كشك ، وبين الكتابين دائرة مشابهات واسعة ودائرة فروق ضيقة ، ويمكن تلخيص دائرة المشابهات بأن الكتابين يصدران عن فكر حر وسعة افق في الاطلاع وخروج عن التقليد في الفهم . وأما دائرة الفروق فترجع إلى اختلاف زاوية المعالجة لكلا الكتابين ، فالدكتور عبد الوهاب بوحدية يتلمس الرؤية القرآنية والسلوك النبوي في المسألة موضع البحث ثم يمضي متابعا ما حل بهذه الرؤية وبذلك السلوك على أرض الواقع ، على حين أن الأستاذ محمد جلال كشك يعمل على تفهم الحكم الاسلامي بصدد العلاقة الجنسية في صورته الفطرية الأولى ... وكلا الكاتبين يهدف إلى ، على حد قول الأستاذ كشك ، بالعودة إلى دين الفطرة والبعد عن تدين أهل الحرفة ... »** [١] .

---

١ — الاسلام والجنس / عبد الوهاب بوحديبه / ترجمة واعداد هالة العوري ص ٩ .

ولي ملاحظة ونقطة نظام ثم تعليق ...

إذا كان كتاب الدكتور بوحديبة ظهر قبل كتابي باللغة الفرنسية فأحب أن أشير هنا إلى أنني لا أقرأ الفرنسية ، من ثم لم تتح لي فرصة قراءته . وكتابي هو البكر باللغة العربية .

ونقطة النظام ان كتابي يختلف في منهجه ومعالجته وهدفه اختلافا جوهريا عن كتاب الدكتور ... فأنا أهلت التراب على فكر التخلف عندما سلطت عليه نور الفكر الاسلامي في جوهره النقي البسيط الشامخ ، وكان همي طرح التفسير الحضاري للسلوك الجنسي ، وأظن أنني مبتدع في ذلك غير متبع . أما هو فقد غرق في وحل التخلف إلى عنقه يستخرج العجائب والعقارب ، مثل اعتماده على الفتاوي الهندية التي جمعت من فقهنا كل متخلف ، انظر استشهاده بالاستبراء والاستنجاء ص ٧٩ لاضحاك الغرب وادخال السرور على الاستاذ الفرنسي . وإن كان الدكتور لا يعادي الاسلام ، إلا أنه متأثر بدراسته الفرنسية وما طرحه المستشرقون من مضحكات التفاسير ، مسمم بالفرويدية السوقية التي لو قرأها سيجموند فرويد نفسه لتبرأ منها ... لا وجه للشبه بين منهجي وبين استخراجاته الجنسية من كل شيء ، بما يعني السقوط مرة أخرى في التفسير الذي يجعل الانسان مجرد جهاز جنسي ... فالغُسل الذي أمرنا به بعد الجماع والذي فسره الشيخ حسن البنا قبل خمسين سنة ، بأنه للتنشيط ... يراه هو « الغسل يحتوي على مغزى ميتافيزيقي » ص ٩٢ ، وهو يرفض تفسير ابن خلدون الذي استوعب الفكر الاسلامي في ذروة تفوقه ومن ثم قال أن الانتعاش الذي يعقب الحمام هو بتأثير الحرارة على التوازن الفسيولوجي (المقدمة ٨٦) أما صاحبنا الذي فسد بالدراسات النفسية السوقية فهو يرفض ذلك ويجعله يرجع إلى الاحساس بالسعادة النفسية المطلقة التي تسترد من خلال الحلم الكلي الذي يزدهر في الحمام ذلك المكان الذي يمكن فيه ترويض كل شيء » ص٢٤٠ .

حبظلم ! .

طب وحمام البيت ؟! واللي ما راحوش حمام السوق ولم يمروا بالتجربة التي خصص لها فصلا كاملا ... الذين لم يروا نساء في طفولتهم بالحمام ولا رجالا في شبابهم ... لماذا ينتعشون بعد الحمام ؟ هل كان عبد الوهاب أو مستمعوه يذهبون للحمامات ويمارسون الحلم الكلي عندما غنى لهم : طاوعني وخدلك حمام ! .

وهو الذي بدأ بالاستشهاد بالأغنية في تحليل مضحك ، حول اهتمام العرب بالأرداف ، وكأن مارلين مونرو وبيرجيت باردو ، كانتا تعرضان صورة بالأشعة للهيكل العظمى ، مكتفيتان بالفن الرفيع أو أنهما كانتا تهزان أردافهما للعرب فقط ! .

وهو يسف عندما يحلل قضية الأرداف فيتساءل « ما هي المشاعر التي ألهبتها ايماءات الصلاة » ص ٢٧٥ ومن الأرداف ينقلنا الى تحليل اهتمام العربي باخراج الريح من أسفل وأعلى ويصرعنا بتحليل يقول : « بل الواقع أن الانسان العربي يعمد إلى إثارة الريح وذلك بحرصه على تناول المشروبات الغازية وسترات المغنسيوم ، وأحيانا يتغنى بسحرها : « ما اشربش الشاي اشرب غازوزة انا » ... حيث ترمز قوة فقايع المياه الغازية إلى خصوبة الرجل مما يثير الخيال ويدفع الى التحرر عبر الفهم ... ولا يملك المرء سوى الاعجاب بالاحلال الرمزي من الأسفل الى الأعلى ومن الحالة السائلة إلى تلك الهوائية ... فالمياه الغازية هي المشروب المسلم الموازي للنبيذ في الغرب ، فهو ماء الشباب المنعش المؤدي للتجشؤ والتحرر بأسلوب اكثر براءة من الخمر ، ولكنه ليس خاويا من الممارسة التعويضية ، فالميول الاستعراضية والصوت الرنان والاسترسال في اللامبالاة والاضطراب الجنسي كلها لا تفتقر الى المغزى الجنسي » ص٢٨١ .

كل هذا يحدث لنا عندما ''نطري على قلبنا بإزازة كازوزة '' بعد أكلة عدس أو طعام مغربي غارق في التوابل ؟! الظاهر ان امريكا اسلمت لأنها تمتلك أكبر شركتين للمياه الغازية في العالم ... بل الاسلام ينتشر مع مصانع الكوكاكولا التي تفتح في روسيا والصين !! .

والظاهر انه لا يعرف أن مؤلفة الاغنية سيدة وليس رجلا خصوبته فقافيع غازيه !!
بل يكفي ادراك الفارق بين منهاجي ومنطقه في المقارنة بين استنتاجه واستنتاجاتي من حديث سوق الصور في الجنة .

ولا أدري من أين أتى بمقولة أن « لعنة الله تلحق أيضا هؤلاء الذين يمارسون الاستمناء ... انها أساليب منحرفة تعني في جوهرها رفض الانسان لنوعه » ص ٦٠ .

هذه مجرد نقطة نظام فلست أريد مناقشة الكتاب .

والتعليق هو :

أنه في ظروف لبنان استطاعت مثقفة ، دون أدنى معرفة شخصية ، ان تحصل على كتابي وتدرسه وتستقصي مضمونه وتتناوله بهذه الملاحظة وهي تترجم كتابا في ذات الموضوع فتأبى أمانتها العلمية وشرفها الثقافي إلا أن تشير إليه وتثبت حق مؤلفه ، بينما لم تُكتب عنه كلمة نقد واحدة من العصابة التي استولت على المنابر الاعلامية في مصر وجثموا على صدر الثقافة حتى كتموا أنفاسها ! ثم يغضبون لأن واحدا قال مصر لم يعد فيها ثقافة لم يبق بها إلا سعاد حسني ... قتلتم الابداع وعصفتم بالثقافة — على الأقل في جيلكم — يوم خنتم أمانة النقد ، وقد كانت مصر تتزعم الفكر العربي ، يوم كان فيها نقاد يسعون إلى دراسة وتقييم كل ما يستحق النشر ... أما الآن فهم لا يقرأون إلا ما يهدى لهم ولا ينقدون إلا للتدمير إن ظنوا ان بهم قدرة على ذلك ، أو لمصلحة شخصية كالتقرب إلى المؤلف . وتأمل ثم ابصق في احتقار ، لتزاحمهم على الكتابة ، اذا ما أصدر مسئول أمي أو رئيس مجلس ادارة مؤسستهم ، كتابا في مستوى شرشر ، تراهم يتبادرون لمدحه ، كالمحبظتيه . لا يخجلون ، لا يستحون وهم يقولون للعاتبين ... ماذا نفعل اكل العيش عايز كده ! وبعضهم يمارس شعار شيلني واشيلك أو انقدني وانقدك . أو يبتز دور النشر فينقد كتبها مقابل نشر كتاب له !! الناقد الفني يفرض نفسه على المسلسلات والسينما . والناقد الادبي يفرض مؤلفاته على دور النشر !

يسيطر عليهم حقد أسود ورعب من الكفاءة ، وفزع من الغريب عن المافيا ، ورغبة في خنق كل الأصوات وخاصة النابغة .

تحية للمثقفة اللبنانية والعار لتجار الكلمة الذين حالوا دون تجمع المثقفين اللبنانيين في مصر ، ولطالما تبنتهم لبنان واتسع صدر مثقفيها لهم ... .

عد يا لبنان لتكشف الزيف الذي حجب وجه مصر المشرق .

ديسمبر ١٩٩١ **القاهرة ـــ المعادي**

□ خطبة الكتـاب

هذا بحث سيقول القاريء المحب ، ما كان أغناه عنه ، لماذا لم يقل مثلما قال أبو حنيفة ، عندما دعوه للقضاء لعله ينصر مظلوما أو يقر حقا ، فاعتذر قائلا : إذا سقط السابح في المحيط .. فما عساه يسبح .. ؟

سيتساءل القاريء المحب : لماذا ألقينا بأنفسنا في المحيط نخوض عبابه أو نخاطر بانفسنا في مجال شديد الحساسية ، يتحرج الناس فيه من السماع ، فضلا عن القول : ويحي ! بل الاسهاب في القول .. ؟

وسيقول المتربص ؛ هذا هو الباحث عن حتفه بظلفه .. اشحذوا السكاكين فقد وقع الثور . . .

ولكن شكرا لأحبائي .. وللآخرين موتوا بغيظكم .. فليس على مسلم من حرج إن فكر أو شك وقد علمنا أنه ليس في الدين من حرج ، ولا في العلم .. ونحن ـــ كما قلنا في أول كتاب إسلامي لنا ـــ ننتمي لدين يحرض على التفكير والاجتهاد ، فهو يكافيء المجتهد المخطيء .. ولا يكتفي بعدم معاقبته .. ديننا تخطى حتى ما وصل إليه فلاسفة الحرية ، في تعريفها بأنها حق الخطأ ! إذ أنه يكافيء على الخطأ كما ورد في حديث للمجتهد إن أصاب أجران وإن أخطأ أجر . ولمن أراد أن يحاسبنا ، فليحتكم للقرآن والسنة والسلوك الاسلامي .. فقد التزمنا وبذلنا غاية

الجهد في استنباط الأدلة من هذه المصادر الشرعية .. وما قصدنا الا مرضاة الله ، وخدمة المسلمين ، وما عدا ذلك فلست أبالي .. .

المسألة الجنسية تشغل حيزاً لا يستهان به من تفكير الانسان ، ونشاطه ، وتتحكم الى حد ما في تصرفاته بل ومواقفه .. واذا كان من الخطأ النظر للانسان كظاهرة جنسية فقط كما يفعل تجار الجنس وفلاسفة الغرب ، فإنه لخطأ أكبر أن يُنظر للجنس كظاهرة عارضة أو عيب أو دنس لا يجوز الاهتمام به ! فليس هذا من ديننا ولا من حضارتنا كما سيرى القارىء .. والمسألة الجنسية تشغل بال الشباب ، ومع ذلك فهي من المحرمات يحوم حولها الكتاب ، ولا يقتربون منها ، وبالذات الاسلاميين منهم ! تاركين لأعداء الإسلام ، وأعداء حضارتنا ، الفرصة لينشروا مفاهيمهم ، ويزرعوا سمومهم في عقول وقلوب الشباب المسلم ، الذي لم يعد يعيش لا بسلوك اسلامي ، ولا يوجهه فكر اسلامي .. .

وإذا كانت الآراء التي طرحتها هنا في موضع العادة السرية ، والجنس بغير الجماع ، والزنا ، تعد جريئة ، إلا أن ما طرحته في باب الشذوذ الجنسي يعتبر جديدا بالاضافة إلى جزء صغير في موضوع الزنا ، وهو القول بأن الرجم سنة ، وليس في القرآن . وان لله سبحانه وتعالى حكمة في نسخ آية الرجم ، يجب أن نتدبرها لا أن نخفي رؤوسنا وراء واقعة أن النبي رجم .. فلماذا يقرر الله الرجم في القرآن ثم ينسخه ، ويأمر رسوله بحذف الآية تماما فلا تبقى ولا حتى في صدور الرجال .. وما كان لما نسخه الله أن يبقى أو أن يتلوه الرجال .. .

اقول باستثناء هذه الخاطرة في موضوع الزنا ، فإن البحث يتركز في موضوع الشذوذ الجنسي الذي طرحته في اطار المواجهة الحضارية الأبدية بين الشرق والغرب .. .

وهذه المواجهة هي شغلي الشاغل ، فأنا أنظر للاسلام كفلسفة وهوية وشخصية لحضارتنا الشرقية ، والكلمة الأخيرة في مواجهة هذه الحضارة مع أوروبا أو الغرب .. فمنذ الصراع الفارسي ـ الاغريقي بدأ الصراع بين شرق وجنوب البحر

الأبيض من ناحية وغرب وشمال هذا البحر ، ثم بدأت الدائرة تتسع ، وتمد كل جبهة خطوطها وراءها ومن حولها .. إلى أن جاء الاسلام وانتصر الشرق على الغرب سبعة قرون أو ثمانية ، ليعود الغرب فيكر على الشرق كرة ما زلنا نعيش في آثارها ..

وقد عالجت موضع الشذوذ الجنسي في اطار هذه المواجهة ، لأنني توصلت الى رأي يخالفني فيه كثير من الباحثين ، وهو أن هذه الظاهرة ، عندما تخرج من الاطار الفردي لتصبح « فاحشة » على مستوى المجتمع ، إنما يحدث ذلك في مرحلة الأفول الحضاري ، بعكس مرحلة التحرر أو النهوض الحضاري حيث تصبح أبشع جريمة . ووضحنا الأسباب ، وأكدنا أنه لا يمكن أن ينهض مجتمع ويتحرر وهذه الفاحشة شائعة فيه ، كما لا يمكن أن تنجو حضارة منها عندما تنتصر وتدخل مرحلة فسق مترفيها .. وتتبعت أطوار انتقال هذه الفاحشة بين الشرق والغرب من الاغريق الى سقوط الأندلس تقريبا .. .

ومن ناحية أخرى فقد توصلت الى رأي حول غلمان الجنة أو ولدانها ، وهو أنهم للاستمتاع الجنسي لمن عف وتطهر في الدنيا .. .

ونحن على استعداد للمناقشة والمراجعة والتصويب لمن جاء بأدلة مناقضة ، تستند الى القرآن والسنة ، والتصور والممارسة من جانب السلف الصالح .. أو حقائق التاريخ والعلم المتفق عليها . أما من جاء بالسب والقذف والأحجار .. فقد نكيل له الكيل مرتين وقد نقول : سلاما .. .

بقي أن نقول وقد تحدثنا عن أجر المخطيء ، أنني كنت بغرور الشباب وجهله ، قد استشهدت بهذا الحديث في أول كتاب لي في الاسلاميات . فقلت في المقدمة : حسبي أجر المجتهد المخطيء .. ! وفاتني روعة التعبير الاسلامي ودقته إذ حدد هذا الأجر « للمجتهد » ولم يقل « للمسلم إن فكر أو شرع فأخطأ أجر .. » بل قال للمجتهد ، لأن الاجتهاد هو عمل « المجتهد » ومن ثم فممارسته لعمله يستحق عليها المكافأة ، شرط أن يكون « مجتهدا » .

ومواصفات المجتهد معروفة ، وحاشا لله أن ندعي توافرها فينا ، فأنا لا أحسن اعراب آية في القرآن . فكيف أكون مجتهدا ، ولكنه غرور الشباب ونسأل الله المغفرة . كذلك كنت قد كتبت على أول كتاب عبارة « مفاهيم اسلامية » ففرضت على الاسلام آرائي أو مفاهيمي .. وقد تجنبت ذلك كله اليوم ، فلست أزعم أنها رأي الاسلام في المسألة الجنسية ! .. ولا أنها اجتهادات ، فما أنا مجتهد ، ولا هي مفاهيم إسلامية ، انما هي خواطر مسلم ، تفكير مسلم بصوت عال ، دعوة للتفكير .. مذكرات تحضيرية يستعين بها « المجتهد » إن شاء الله في تشريع الأحكام .. اعتبروها مجرد اسئلة مطروحة عند أعتاب المجتهدين ، والأئمة ، والمنشغلين بالعمل الاسلامي .. .

وبعد .. فقد بلغت من العمر عتيا واشتعل الرأس شيبا ، وخفت من انحرافات الموالي ، ولم يبق ما أخشاه ولا من أرجوه سوى الواحد القهار .. نسأله المغفرة والعفو ..

محمد جلال كشك

رجب ١٤٠٤

ابريل ١٩٨٤

٣ ب بهجت علي ــ الزمالك

□ اللذة للذة

تنبع أهمية المسألة الجنسية من كونها تعكس ــ من ناحية ــ مفاهيم واخلاقيات الحضارة .. التصور العام لهدف الوجود الانساني ، والعلاقات بين طرفي هذه المعادلة الانسانية ، ولذلك نركز في هذه الدراسة على الفارق الجوهري أو الكيفي بين النظرة الاسلامية للجنس . ونظرة ــ المسيحية ــ الغربية[1] . فكلتا النظرتين تمثل موقفا حضاريا متكاملا ومتعارضا . كذلك ركزنا على دور المسألة الجنسية في المواجهة الحضارية ، وخاصة في القسم الخاص باللواط .

والمسألة الجنسية أيضا على الصعيد الفردي ، تشغل جانبا شديد الأهمية من حياة الانسان ، كما تحكم نظرته للانسان الآخر أو الجنس الآخر ، أو كما يقول الماركسيون إن كل حاجيات الانسان تشبع بعلاقة مع الطبيعة ، إلا الحاجة الجنسية فهي تشبع بعلاقة مع انسان آخر .. ومن ثم فهي تخضع لقوانين وقيم مختلفة ، ولها نتائج بالغة الخطورة والأهمية على سلامة العلاقات الاجتماعية .

وقد أوضحنا منذ ١٧ سنة رأينا في موقف الاسلام من المسألة الجنسية ، وكيف

---

١ ــ وضحنا في المقدمة أن هذا البحث يدور في اطار المواجهة بين الشرق والغرب ، ومن ثم فالحديث هنا يتعلق بالمسيحية الاوروبية ــ الامريكية فهي الحضارة المضادة التي يواجهها المسلمون والمسيحيون الشرقيون كطرف واحد ، كما سنوضح .

أنه فعلا دين الفطرة الذي وضع الغريزة الجنسية في مكانها الطبيعي ضمن الاحتياجات المشروعة والصحية والضرورية واللذيذة للانسان ، الذي لا يمكن أن يتحول إلى مجرد ظاهرة جنسية بحصر اهتمامه في هذه الناحية ، ولا يمكن أيضا تحويله الى « ملاك » بنزع الغريزة الجنسية منه .. وقلنا ان الفكر الاسلامي لا يعاني أية عقدة جنسية ، بل يعتبر اللذة الجنسية من النعم التي منّ الله بها علينا ، ويميل الى أخذ أمورها ببساطة متناهية . وقبل أن نشرح هذا بالتفصيل ، نود أن نوضح نقطة هنا هي الرغبة الطبيعية من قبل « رجال الدين المحترفين » ــ مثل أصحاب أية حرفة أو متخصصين ــ ميلهم لتعقيد المهنة وتصعيب الاختصاص . ولذلك نجد الاسلام ، بسيطا واضحا سهلا في بدايته ، عندما لم تكن هناك فئة مخصوصة تحتكر تفسير النصوص واصدار الفتاوي .

تأمل هذه القصة التي تروى عن عمرو بن العاص ، وكان قائداً على سرية لرسول الله ﷺ ، فاحتلم[1] وكانت الليلة باردة ، فخاف على نفسه من البرد ، فلم يغتسل وصلى .. فبلغ الخبر رسول الله ، فما زاد على أن ابتسم وهو يقول له : « صليت وأنت جُنب ؟! » . ولم يعلق !

ثم تأمل فتاوي الفقهاء بعد ذلك في شروط الغسل . وكيف يجب أن يصل الماء إلى جذور الشعر ، وضرورة أن ينقل المغتسل قدميه من حيث كان واقفا ليكمل غسل قدميه ، ترى الفارق بين دين الفطرة وتدين أهل الحرفة .. .

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ ويقول : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ .

---

١ ــ الاحتلام هو حلم جنسي يراه النائم وينتهي بالانزال أو القذف ويوجب الغسل مثل الجماع . ولا معصية فيه ولا إثم ولا أية اضرار صحية بل هو من حكمة الطبيعة لتصريف المني المتجمع .

ويقول : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ .

وعرف المسلمون أن الشرك بالله إثم عظيم ، وكذلك قتل النفس ، والزنا . وقال الرسول وهو يعدد الكبائر :

« وأن تزني بحليلة جارك » .

ولكن المحترفين لا يرضيهم هذا ، لابد أن يبحثوا ما هي الكبائر .. وجدوا سبع كبائر .. « الشرك والسحر وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » وجعلوه حديثا ومصدره أبو هريرة بالطبع !

وهو كما ترى يختلف عن التحديد الذي ورد في الآية التي أشرنا اليها ، وإن كان قد حصر ما نهى الله عنه في مواضع متفرقة من القرآن ....

الا أنه تجدر الملاحظة أن هذا « الحديث » قد قدم السحر على قتل النفس ! ولم يذكر الزنا .. بل قذف المحصنات .

وما كانت السبع موبقات بكافية عند المحترفين ، بل جعلوها سبعين لتشمل على قدم المساواة مع الشرك بالله ، لعب الشطرنج ! (انظر شمس الدين الذهبي . كتاب الكبائر) ومن الطريف أن المؤلف نفسه نقل عن المنذري في الترغيب :

« وقد ورد ذكر الشطرنج في أحاديث ، لا أعلم عن كثير منها إسناداً صحيحا ولا حسنا والله أعلم » .

فهذه الأحاديث التي لا سند صحيح لها ولا حسن ، تحولت الى فتاوي وحرمت الشطرنج [1] على الناس .. وكذلك التصوير في اللباس والجدران . أي اتهام كل المسلمين الآن بارتكاب الكبائر !! .

١ ــ انظر كيف يعتبر المؤرخون ، الشطرنج ، هدية العرب المتنورين لأوروبا وكيف كان=

وكذلك الذي لا يتحرز من البول ، واسبال الازار ، والعبد إذا هرب !

تماما كما يقول القرآن في بساطته وروعته : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [1] فيأبى المحترفون إلا أن يعددوا له تسعة وتسعين اسما . بل ويتفرغون للبحث عن « اسم اعظم » سرى !! تأثرا باليهود !

وتأمل عمر رضي الله عنه يأتيه الرجل ببلحة يستفتيه :

« وجدت هذه يا أمير المؤمنين .. ماذا أفعل بها .. ؟ فيرد عمر على الفور ؛ بضربة عصا على ظهر المنافق ويقول : « كُلها .. يا بارد الورع . ! » .

هذا هو الاسلام . . . ـــــ

ولكن تخيل لو جاء بارد السورع هذا ببلحته الى بارد الفقه يستفتيه وتخيل السيناريو الذي يمكن أن يدور بينهما .. تعرف الفارق بين دين الفطرة وتدين الحرفة .. .

وسنحتاج لتفهم هذا الفارق خلال دراستنا للجنس والجرائم الجنسية .. وسنجد أن دين الفطرة وصل في الموقف منها الى كمال الكمال : استبشع الفاحشة وعظّم اثمها وتوعد مرتكبها ، بقدر ما تتضمنه من عدوان على انسانية مرتكبها ، ومن عدوان على حقوق الآخرين وسلامة العلاقات الاجتماعية ، وسلامة المجتمع ككل ولكنه في نفس الوقت لم يقم من الدولة مقصلة ولا جلادا ينقب عن الخاطئين ، ويشمت في خطيئتهم ويلتذ بمعاقبتهم . بل إن الدولة الاسلامية ، أكثر ألما بتنفيذ حد من حدود الله في جرائم الجنس ، من مرتكبه ـــ كما سنرى ـــ كذلك يجب التخلي أو التحرر من المفاهيم الغربية التي انتقلت الينا مع تأثيرات الحضارة المنتصرة ، مما جعلنا نتخلى عن الانفتاح والتحرر ونتبنى النظرة المتزمتة التي ترى

= فردريك ملك صقلية وتلميذ الحضارة العربية يشجعه . ولويس القديس المتخلف يحرمه . وكيف لما تخلفنا حرمناه أيضا ! .

١ ـــ (الاسراء : ١١٠) .

في الجنس نجاسة وإثماً . فالمفهوم الاسلامي للجنس يختلف جذريا عن مفهوم الحضارة الغربية المسيحية ، ولابد من دراسة دقيقة لكلا المفهومين . حتى يمكن تقييم الأخلاقيات والممارسات التي بنيت على كل منهما .. سواء في التشريعات الجنسية ، أو في المسلكية الجنسية ، أو في مركز المرأة الاجتماعي والانساني ..

والحق أن الجنس في مفهوم الحضارة الغربية ، حالة شاذة ، قلقة ، مزعجة ، « مقرف » كما سماه القديس أوغسطين « قذر » « يهبط بمستوى الانسان » أو « مخجل » كما وصفه تورتليان . أو كما تقول مؤلفة الجنس في التاريخ : كان هناك شعور عام بين آباء الكنيسة بأن الله (سبحانه وتعالى) كان يجب أن يخلق طريقة أفضل لحل مشكلة التناسل ، ولكن أوغسطين لما عكف على دراسة المشكلة ، وهو الذي كانت شهواته تملأ صومعته بفتيات راقصات عاريات ، من صنع خياله بالطبع ، اهتدى إلى أنها ليست غلطة الله بل غلطة آدم وحواء .. .

« فالرجل والمرأة اللذان خلقهما الله كان مخلوقين عاقلين يسيطران تماما على الجسد ولم تكن هناك أية شهوة ولا حاجة لمقاومة الشهوة ، فالجنس في جنة عدن ــ اذا كان قد وجد ــ فقد كان جنسا باردا رفيع المستوى .. بدون شهوة ، ولا نشوة . مجرد استخدام ميكانيكي للأجهزة التي أنتجها الخالق لكي تحقق التناسل بترو واستعبار (ربما مثل تلقيح اطفال الانابيب ..) . ولكن عندما اخطأ آدم وحواء ، بدآ يحسان بشعور أناني جديد وهو الشهوة ، ولا يسيطران عليها ، وأول ما أحسا هو الشعور بالخجل لعريهما .. وفسر أوغسطين ذلك بأن أول رد فعل للمعصية كان نشاط أجهزتهم التناسلية ، وعجزهما عن السيطرة على تلك الظاهرة الجديدة ، هو ما جعلهما يستخدمان ورق الجنة لستر هذه الاجهزة »[1] فالجنس قبل الخطيئة ، إما انه لم يوجد ، أو كان بلا لذة .. واللذة جاءت بعد الخطيئة .. .

قال سانت أوغسطين : « اعلى درجات المسيحية هي العزوبية ، ولكن الانجيل

١ ــ الجنس في التاريخ .

شجع التكاثر ، ولذا فالجماع لابأس به ، ولكن اللذة التي جاءت مع طرد آدم من الجنة هي شر » .

وقد استند آباء الكنيسة الى أن المسيح لم يهتم بالجنس . وتعليقاته في هذا الموضوع نادرة ، « وخاصة بالنسبة لملاحظاته العديدة عن الثروة وشهوة التملك » واشارات الجنس في كلام المسيح قصد بها هدف آخر مثل الحديث عن « زنا القلب » أي التأكيد على أن الأعمال بالنيات ، ولو أنه أكد على عدم امكانية فسخ رباط الزوجية إلا أن الفكرة الشائعة عنه أنه أيد العزوبية وبالطبع حجة الكاتبة التي نقلنا عنها هذا الكلام هي حياة المسيح ذاته ، فهو وفقا للتاريخ الرسمي للكنيسة لم يتزوج . ولكن بعض الدراسات الحديثة تنسب له الزواج والانجاب ، وهو أمر إن صح ، غير مستبعد في المفهوم الاسلامي للمسيح ..[1] « عبده ورسوله » وتضيف الكاتبة أنه رفض ادانة الزنا ، ولم يفرض عقوبة ضد الجنس بين غير المتزوجين . ونعتقد أنها كانت ستكون في موقف أسلم لو اكتفت بالقول بأنه لم يهتم بموضوع الجنس ولا ما يتفرع عنه ، والأصح أنه رفض رجم الزانية ، وليس ادانة الزنا ؟! لأنه أكد في أكثر من موضع تمسكه بالوصايا العشر لليهود ، ومن بينها « عدم الزنا » ولم يقل إن الزانية لا ترجم ، ولكنه قال إن « الخطاة لا يَرجمون » فالسلطة التي تدين وتنفذ يجب أن تكون طاهرة .

وتتطرف مؤلفة (كتاب الجنس في التاريخ) فتكرر ما يقوله الملاحدة اليوم ، وهو أن المسيح كانت علاقاته كلها مع الرجال ، « وأنه كان يحب سانت جون ، اذا ما صدقنا رواية سانت جون الذي أكد هذه الحقيقة في أكثر من موضع » (صفحة ١١٥) .

وقد استقصى مؤلف الجنس والشذوذ الجنسي :

Karlen: Sexuality & Homosexuality

استقصى جذور هذه الفرية المنحطة فقال.انها وردت لأول مرة في « قائمة اتهام

١ ــ انظر كتب المؤلف : خواطر مسلم في الجهاد والاقليات والاناجيل .

الكاتب المسرحي » « كرستوفر مارلو » وقد أُتهم « مارلو » بأنه كاثوليكي ، لوطي ، خائن ! (ص ٢١) .

كبرت كلمة تخرج من أفواههم .. ومعاذ الله !

وإذا كانت الكاتبة تقصد المعاشرة والاختلاط فقط كانت هناك أكثر من امرأة تحيط بالمسيح ، وان لم تصل طبعا الى نسبة أو مستوى مساهمة المرأة في ظهور الاسلام وحياة الرسول .. أما اذا كانت تقصد الخبرة الجنسية .. فالصورة الكنسية — فعلا — تنفي هذه الخبرة تماما ، وهو ما أصبح حقيقة مطلوبة ومتفقا عليها في الرئيس الأعلى للكنيسة التي تشرع للناس السلوك الجنسي والحياة الزوجية والعائلية دون أية خبرة عملية من البابا وكبار الكرادلة .. .

وقد اختلف « ترتوليان » مع « توماس الأكويني » حول الاتصال الجنسي ، فرأى « ترتوليان » أن الجنس هو ثمرة خطيئة حواء وآدم . وأن الجنس البشري كان سيتكاثر في الجنة بأسلوب طاهر غير جنسي (ربما بالانقسام مثل الاميبا) أما « توماس الاكويني » فيتلطف بنا ، ويقرر أن الاتصال الجنسي كان من بداية الخليقة ، هو السبيل الى التكاثر ، إلا أنه في الجنة لم يكن ممتزجا باللذة الجنسية ، التي اقترنت به بعد أن هبط آدم من الجنة ، (ربما كعقوبة) . أو أن اللذة الجنسية لا تليق بأهل الجنة !

وهذه الفلسفة صادفت رواجا وقناعة ، كما قلنا[١] ، كرد فعل للحياة الجنسية المبتذلة للرومان والتي ما زالت تثير التقزز في انسان القرن العشرين . مما دفع عدداً من آباء الكنيسة الأوائل الى خصي[٢] أنفسهم ، واستقر في الضمير الغربي كراهية الجنس ، والشعور بخطأ « اللذة » في ممارسته كضرورة للتكاثر . واستمر هذا الشعور الى النصف الأول من القرن العشرين .. ففضلا عن رفض أي تفكير في اللذة الجنسية كهدف في حد ذاته مشروع وجميل . والاصرار على هدف واحد

١ — انظر فصل اللواط .

٢ — وان كان الخصي يمنع من تولى وظيفة رئيسية في الكنيسة .

للجنس وهو الانجاب ، وفي وضع واحد « أجمع فقهاء الكنيسة جميعا وكلهم غير محصنين ، على شرعية وضع واحد « طبيعي » للجماع [1] ــ وهو علو الرجل للمرأة المستلقية على ظهرها ــ وما عداه غير طبيعي ومحرم لأنه تشبه من الانسان بالحيوان ويشتبه في أنه يسبب منع الحمل ، ويتنافى بذلك مع الهدف من الزواج . ولذا فأي جنس لا يؤدي الى الانجاب حتى ولو كان مع الزوجة جريمة تعادل القتل وتكفيرها من ٣ سنوات الى ١٥ سنة » .

وحتى عام ١٩٧٦ أصدر الفاتيكان بيانا حول بعض الأسئلة عن أخلاقيات الجنس جاء فيه : « ان الاستخدام المتعمد للطاقة الجنسية خارج العلاقات الزوجية الطبيعية يتعارض أساسا مع هدف الغريزة » .

ويتفق رأي السيدة « راى تناهيل » مع رأينا اذ تقول : « يبدو أن الكنيسة اعتبرت المرأة الرومانية النموذج المضاد . لكل ما يجب أن تكون عليه المرأة المسيحية » ولذا اعتبرت تجمل المرأة من المحرمات ، أما الجمال الطبيعي ، فهو مكروه ويستحسن اهماله وطمسه حتى لا يظهر حيث أنه خطر على كل من ينظر اليه » [2] .

حتى النظافة كانت مكروهة ، فالذي اغتسل في المسيح لا يحتاج الى استحمام [3] .

« كان الطاعون أكثر فتكا في المسيحيين منه في المسلمين واليهود ، لأن النظافة

---

١ ــ وفي القرن السادس عشر ألف الشيخ النفراوي كتاب « الحدائق العبقة » لباى تونس لتنشيطه جنسيا وسجل في كتابه ١١ وضعا عربيا للجماع وأضاف اليها ٢٥ وضعا مقتبسا من الثقافة الهندية . وقبل ذلك ذاع وشاع كتاب رجوع الشيخ الى صباه وفيه أكثر من أربعين وضعا للجماع . وقد اكتشف منذ سنوات كتاب « منابع اللذة » لمؤلف يمني طبيب في القرن السادس الهجري وفيه ما شئت . ومن القرن السابع الميلادي أبيح للمسلمين كافة الأوضاع .

٢ ــ ص ١٣٦ الجنس في التاريخ والنص عن ترتوليان .

٣ ــ عن Darlington pp. 300 .

لم تكن من عقيدة المسيحيين فكما قال سان جيروم « الذي اغتسل في دم المسيح لا يحتاج الى تنظيف » وتعلق المؤلفة « ولكن يبدو أن نظافة الروح لم تفد كثيرا في مقاومة البراغيث التي تنقل الطاعون » .

ولا بأس من وقفة هنا عند قصة هذا الطاعون الذي فاجأ المسلمين في الشام ، فجر خروجهم للعالم ، وفي مطلع حضارتهم ، وقبل ان يكتسبوا ولا حتى يطلعوا على علوم الآخرين ، ولكنهم استطاعوا تطبيق أول حجر صحي في تاريخ البشرية ! فلا جدال في ان الاجراء الذي اتخذه المسلمون الاوائل في مواجهة طاعون مواس في العقد الرابع من القرن السابع الميلادي ، بالاضافة الى عنصر النظافة الذي اشارت « راي تناهيل » قد ادى إلى حصر الوباء . وهو لم يكن فقط احسن اجراء ممكن وقتها ، بل كان الاجراء المتفق تماما مع علم القرن العشرين ، باستثناء الامصال والمبيدات الحديثة الاكتشاف . وقد توصل المسلمون الى فكرة الحجر الصحي قبل العلم الحديث من مفهومهم الحضاري المتقدم ومن النص النبوي المعجز .

فقد تردد عمر في دخول الشام بسبب المرض ، وقال احدهم : '' أفرار من قضاء الله '' ود عمر الذي تتمثل فيه النظرية الاسلامية اصدق تمثيل ، ود لو علاه بالعصا لولا مكانته ، فاكتفى عمر باربع كلمات تلخص فلسفة الاسلام الناهض في قضية القضاء والقدر ، تلك القضية التي تخبطت فيها اجيال المترفين وخاض ضبابها المستشرقون الى عيونهم . قال تلميذ النبوة ورفيق الرسول ومهندس حضارتنا : '' نعم فرار من قضاء الله الى قضاء الله '' .

ثم تدعم اجتهاد عمر بحديث عن رسول الله ما كان قد سمع به وهو : '' اذا ظهر الطاعون بأرض وكنتم فيها فلا تخرجوا منها ، وان كنتم خارجها فلا تدخلوها '' .

وستحتاج البشرية الى اثنى عشر قرنا حتى تصل الى هذا النظام المحكم في حصار المرض أو الحجر الصحي .. والمهم انه في تفاصيل القصة لم نسمع احدا ذكر تفسيرا ميتافيزيقيا لظهور المرض ، بل الروايات عديدة عن اختيار انسب

الاماكن من الناحية الصحية لمنع الأوبئة عن '' من بطرفك من المسلمين '' اما في القسطنطينية أعظم وارقى مدينة في العالم المسيحى وقتها .. « فقد اعتبرت الطاعون نقمة بسبب اللواطة » ولم تتخذ بالطبع اية اجراءات صحية ، وظل الحريق هو الحل الالهي !

ولعله مما يثير الانتباه ان المسلمين مع تدهور حضارتهم ، تخلوا عن هذا الحديث الصريح المتفوق ، وعن موقف عمر بن الخطاب واجماع الصحابة في عصره على تجنب العدوى ، وتشبث فقهاء التخلف بحديث''لا عدوى'' ليسدوا الطريق على تقدم الطب الذي كان ممكنا في ظل التأمل الواعي لحديث الرسول في حصر الاختلاط في حالة الطاعون ومثل قوله ﷺ '' لكل داء دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا الموت '' وقال : '' تداوا عباد الله فإن الله خلق الداء والدواء '' .

نعود لموقف الغرب فنجدهم قد اتفقوا أيضا على أن اظهار « اللذة » أثناء الجماع الشرعي مكروه . مثل التعبير بحركات واضحة أو بالصوت عن الاستمتاع .. ورحم الله عائشة بنت طلحة التي نخرت نخرة أثناء وطء زوجها لها فنفر مائة من ابل الصدقة لم تجتمع حتى اليوم ! .. .

وقالت امرأة كوفية دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون ؛ فسمعت زفيرا ونخيرا لم يسمع قط مثله ثم خرجت وجبينها يتفصد عرقا فقلت لها : ما ظننت أن حرة تفعل مثل هذا.. فقالت إن الخيل العتاق تشرب بالصفير . (ص ١٣٣ ج ٧ العقد الفريد) .

ويقال ان من اسباب المشكلة العنصرية في أمريكا أن البيض كانوا يسمعون نشوة المرأة السوداء مع زوجها ، وهي القادمة من حضارة غير مسيحية ، سواء الافريقية ، أو دين الفطرة الذي ثبت أنه كان دين الغالبية من العبيد الذين اختطفوا وبيعوا في العالم الجديد . فاستقر في عقلية البيض أن السود متفوقون جنسيا ، وليس أنهم أكثر تجاوبا مع مشاعرهم وأكثر صدقا في التعبير عن هذه المشاعر .. وأن

المرأة البيضاء اذا حررت من عقدة الشعور باثم الجنس وخطيئة اللذة ، أقدر على مجاراة السوداء والصفراء .. حتى مع الرجل الأبيض .. فالناس سواء من ناحية الجسد ولكن التكوين النفسي والفكري هو الذي يختلف .

وسيجد القاريء في موضع آخر أن اظهار اللذة وزيادة الاستمتاع بالقول أو الفعل مطلوب ومسموح به دينيا ، سواء بالحديث عن « الملاعبة » أو مباشرة ، بحديث النهي عن أن يذيع الرجل ما يكون بين المرأة وزوجها من قول أو فعل أثناء الجماع ! .. .

ولأن العزوبية هي الأصل ، والزواج هو الحل الأفضل من الزنا لمن لا يطيق ، أو مجرد ضرورة للتكاثر .. فقد قال سان بول : « ان العزوبية مسلك أكثر مسيحية من الزواج لأنها لا تفرض أية مسئوليات ولا مشاغل تشغل عن عبادة الرب[1] » .

ومنذ القرن السابع الى القرن الثاني عشر كان فقهاء الكنيسة يبحثون طبيعة الزواج ، وهل هو عقد أخلاقي أم « عقدة النكاح » وأخيرا توصلوا الى انه الاتفاق وليس النكاح هو الذي يقيم الزواج وأن عقد الزواج يعطي الحق في النكاح ولكن لا يوجبه »[2] « وهكذا رفضت الكنيسة اعتبار الجنس جزءا لا يتجزأ من الزواج »[3] ونصح بعض المجتهدين بالامتناع عن الجنس يوم الخميس بمناسبة ذكرى اعتقال المسيح ، ويوم الجمعة ذكرى موته ، والسبت توقيرا للعذراء مريم ، والأحد[4] احياء لذكرى بعث المسيح بعد موته ، والاثنين احتفاء بذكرى صعوده .. فهو مباح الثلاثاء والأربعاء إلا اذا صادفا صياما أو عيدا . كذلك يمتنع

١ ــ رسائل الى قورنه اصحاح ٧، ٩ .

٢ ــ وعندنا يتم بالنكاح ، ويمكن فسخه اذا عجز أو امتنع أحد الطرفين عن النكاح .

٣ ــ الجنس في التاريخ ص ١٣٤ .

٤ ــ كان الرواد الامريكيون يرفضون تعميد الوليد الذي يولد يوم الأحد لاعتقادهم أنه لابد قد حملت به أمه في يوم الاحد وهو يوم لا يجوز فيه النكاح وعندنا نكاح ليلة الجمعة مستحب .

عن الجنس بين الزوجين في الأربعين يوما السابقة على الفصح والعنصرة وعيد الميلاد والأيام السابقة على التناول »[1] .

والى نهاية القرن الحادي عشر كان يسمح للمتزوج أن ينخرط في سلك الكهنوت ، ولكن لا يسمح لمن انخرط فعلا بالزواج ، ثم في نهاية القرن الذي شهد مولد الحروب الصليبية « وتقوى مركز البابوية ، أصدر البابا جريجورى السابع قراراً بتحريم زواج رجال الدين » « وفي عام ١٩٧٨ اصدر اسقف كانتربرى قراراً بفصل مائتي أسقف متزوج عن زوجاتهم خلال الأسابيع الثلاثة التي استغرقها انعقاد مؤتمر « لامبث » الدولي . وهكذا أسكن الأساقفة في جامعة كنت ، واحتجزت زوجاتهم على بعد ميل »[2] وقد حرم الطلاق في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر مع اشتداد قبضة الكنيسة . وقال بولس : « من يزوج ابنته يفعل حسنا ، ولكن من لا يزوجها يفعل أحسن ، ومن الخير أن يظل الرجل أعزب إلا إن خاف الوقوع في الخطيئة » .

هذا هو الموقف المسيحي الذي ما زال يحكم العقلية الغربية والسلوك الغربي من الجنس واللذة الجنسية .. شعور بالاثم ، والانحطاط أو الخطأ .. نعم هذا التصور الذي يحكم السلوك الغربي ، حتى يومنا هذا وفي ذروة الاباحية الجنسية ، والاندفاع الى اللذة بكل ضروبها .. ذلك أن « الانحلال » على أوسع نطاق ، انه يعكس نفس الاحساس بالاثم ، لأن السلوك الانساني ، ازاء ما يؤمن بأنه اثم ، يتخذ أحد أسلوبين ، إما التطهر بالتعفف عنه .. وإما الاغراق فيه ، المنبعث من العجز عن مقاومته ، وبالتالي التسليم لسيطرته ، فالتحلل الجنسي ، والتباهي بهذا التحلل ، والاصرار على المجاهرة ، كلها تعكس الاحساس بالاثم ، ومحاولة اخفاء صرخات الضمير ، باحداث أكبر قدر ممكن من الضجيج والصخب .. أو محاولة انتزاع اعتراف « السلطة » بمشروعيته .. .

---

١ ــ ن. م ص ١٣٥ .
٢ ـ الجنس في التاريخ ١٣٢ .

فما موقفنا من الجنس واللذة ؟! .

يبدأ الله سبحانه وتعالى بأن يمن علينا بخلق المرأة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [1] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [2] ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [3] .

والجنس وتشريعاته تحتل مكانا بارزا في القرآن والسنة ، ورسول الله وكبار المسلمين من الصحابة والتابعين والفقهاء مارسوا الحياة الزوجية والجنسية على أكمل وجه . والرسول يأمر بالزواج أساسا ، ويجعل العزوبية استثناء : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (الجماع ومسئوليات الزواج) فليتزوج ، فانه أغض للبصر . وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (أي مسكن أو مخفف للشهوة) .

وقد أعلن النبي انه : « لا رهبانية في الاسلام » ورفض موقف الصحابي الذي قال إنه لن يتزوج ليتفرغ للعبادة (مفهوم بولس) ورد عليه النبي : « أنا أكثركم عبادة ، وأنا أتزوج النساء ، فمن خرج عن سنتي فليس منا » .

وقال : « مسكين مسكين رجل لا زوجة له ، مسكينة مسكينة ! امرأة لا بعل لها » وقال معاذ : « زوجوني .. لا ألقى الله تعالى وأنا أعزب » ! رضي الله عنه وعنهم ان كانوا قد زوجوه .

والمتزوج عندنا أكمل دينا (فالزواج نصف الدين) وهو أولى بالصلاة خلفه من الاعزب .. وأولى بتولي الخلافة أو الامارة من الاعزب في حالة تساوي الشروط الاخرى . . .

---

١ ــ (النساء ــ ١) .
٢ ــ (الروم ــ ٢١) .
٣ ــ (الأعراف ــ ١٨٩) .

والامام الحافظ أبو عبد الله بن القيم الجوزية (ولد سنة ٦٩١ وتوفي سنة ٧٥١ هـ) يحدد أسباب الاتصال الجنسي ، أو لماذا خلق الله الغريزة الجنسية فيقول : « يحفظ به الصحة ، ويتم به اللذة وسرور النفس ، ويحصل به مقاصده التي وضع لأجلها ــ فإن الجماع وضع في الأصل لثلاثة أمور هي مقاصده الأصلية :

● حفظ النسل ودوام النوع الى أن تتكامل العدة التي قدر الله بروزها الى هذا العالم .

● اخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه ، البدن .

● في قضاء الوطر ونيل اللذة ، والتمتع بالنعمة . وهذه وحدها هي الفائدة التي في الجنة اذ لا تناسل هناك ، ولا احتقان يستفرغه الانزال .

وما زلت معجبا بالتحدي الذي ألقيته في كتابي « دراسة في فكر منجل » منذ عشرين سنة ، تعليقا على هذا التحليل الرائع من فقيه في عصور « التخلف الاسلامية » اذ قلت : نتحدى أي « دكتور » أن يضيف سببا رابعا للاتصال الجنسي غير التي ذكرها شيخنا منذ سبعة قرون ؟! أيعاب علينا أن نتيه على الدنيا بتفوق العقلية الاسلامية .. ؟! .

وفضلا عن الالمام العلمي بطبيعة الغريزة الجنسية واهدافها ، فهناك التفوق في تحديد اللذة كهدف في حد ذاته ، بل وجعلها هي الأصل وهي المنتهى ، ففي الجنة ، تنعدم الأهداف الأخرى ، حفظ النوع ، والحاجة الفيسيولوجية .. ولا يبقى الا اللذة للذة .. ومن هنا استنتجنا أن المفهوم الاسلامي عن الجنس في جنة عدن الأولى كان للذة وحدها ، وبلذة كاملة .. .

وأحسب أنني مطالب بأن أقف لحظة عند التشابه الموجود في رواية التوراة والقرآن حول اكتشاف آدم وحواء لسوآتهما فأخذا يخصفان عليهما من ورق الجنة .. فقد يبدو أن تفسيرات « ترتوليان » « والاكويني » قريبة من هذا النص القرآني ، ولكن ذلك غير صحيح ، فليس في التراث الاسلامي ولا في سلوك

الرسول والصحابة ، ما يعطي أي ايحاء بوجود مثل هذا الفهم عن الجنس ، فليس في الاسلام حب بين رجل وامرأة بلا جنس ، لأن ذلك يفضي الى جنس بلا حب . وقد رأينا أن شيخنا قد نص على اللذة كهدف من اهداف خلق الغريزة الجنسية ، بل جعلها هي الدائمة ، بانتفاء التناسل ، وافراز الغدد .. ومن ثم حق لنا القول بأن الجنس بين آدم وحواء كان للذة وحدها .. وتفسير ظهور السوأة ، انهما كانا يمارسان اللذة بدون أي شعور بالخجل أو الاثم ، أو أي احساس بأن الجنس فعل خاص تحيط به رموز خاصة ، تميزه عن سائر المتع ، فلا عيب فيه ، ولا مبرر للخجل منه ، ومع الاعتذار للقديس اغسطين فلابد أن أجهزتهما الجنسية كانت نشطة ، والا لاستحال عليهما ممارسة الجنس بلذة أو بدون لذة .. واذا كان آدم قد لاحظ بعد الخطيئة ـــ انتعاظ جهازه فخجل ، فماذا لاحظت حواء ، أو بالأحرى ماذا خجلت منه خشية ان يلاحظه الآخرون ؟ ونشاط جهاز المرأة التناسلي لا يمكن ملاحظته من الخارج بسهولة .. .

في اعتقادنا أنه بعد المعصية ، لم تظهر اللذة ، فهذه موجودة من قبل ، بل ظهر الاحساس بالألم والخجل ، ومعرفة ما سيترتب على الجنس من الحمل ، والميلاد .. والأولاد .. الخ .. فاللذة كانت موجودة وصافية وبلا تعقيدات ، ثم أضيفت اليها التعقيدات والمسئوليات ، والقلق ، والخجل .. فإذا ما حسن سلوكنا في هذه الدنيا ، فسنعود للجنة حيث الحالة الأولى ؛ أي الجنس لذة خالصة بلا حياء ولا ندم ولا توجس ، حتى وإن استمرت الثياب كلون من المتعة ، اذ لاشك أن الانسان أكثر جمالا وإثارة بالثياب ـــ معظم الناس على الأقل ـــ وخاصة إذا كانت من ثياب الجنة ، سندس واستبرق .. الخ .

فعندنا أنه في البداية كانت المتعة واللذة مع القيد الوحيد الذي وضع على الشجرة ، والتحذير من الشيطان . فلما حدثت المعصية ، كان الخجل والندم والقلق ، والعار ، والعورة .. وكل التعقيدات التي جاء الاسلام ليحررنا منها . ويعيدنا الى المفهوم الأول .. وبعد المغفرة يذهب هذا كله وتعود اللذة التي بلا حدود ولا قيود ولا حواجز نفسية .. .

اما بالمفهوم المسيحي الغربي ــ فكما رأينا ــ في الأصل كان « التطهر » فإما أن الجنس لم يوجد أصلا . أو أنه كان موجودا بافتراض تكاثر الناس في الجنة ، ولكن بلا شهوة ، ولا متعة ، ولا اثارة ، ولا لذة .. فلما كانت الخطيئة كان الشبق والشهوة واللذة ! .. ولذلك فالأطهار هم الذين يمارسون سلوك الجنة الأول ، يكبحون الشهوة ، ويمتنعون نهائيا عن الجنس ولذته .. أو يمارسونه للهدف الذي « جعله الله » وهو التناسل فقط ، بلا شهوة أو اشتهاء ، أو على الاقل يتظاهرون بذلك وسيكافأون في الآخره ، بالاعفاء الكامل من الجنس . ومن الطبيعي أن يكون المفهوم المسيحي عن الجنة ، أنها متعة للأرواح بلا أجساد ، وأن تكون جنة المسلمين حافلة بالمتع الجسدية .. أمتعنا الله وأمتعكم بجنة المسلمين ان شاء الله .

وسنجد احد مظاهر الدورة الحضارية في كتابات الامام الغزالي ، فهو الذي وصل الى الذروة في معرفة عصره ، كان يمثل في نفس الوقت ، نقطة الانحدار التي تبدأ بتبني افكار الحضارة المتخلفة .. فالغزالي زاهد صوفي ضد اللذة للذة ، بل ضد الزواج يقول '' المريد في ابتداء امره يجب الا يشغل نفسه بالتزويج فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ، ومن انس بغير الله تعالى شغل عن الله ، فشرط المريد العزبة في الابتداء ، فإن غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم .. الخ (الاحياء ٣) .

وينقل عن الجنيد : '' أحب للمريد المبتديء أن لا يشغل قلبه بثلاث والا تغيرت حاله : التكسب وطلب الحديث والتزويج ، وقال احب للصوفي ان لا يكتب ولا يقرأ لأنه اجمع لهمه ، اما عن لذة النكاح فما شغل عن الله فهو محذور '' ! .

وهو نص يمكن ان يقال في دير او ينقل عن قس في جيش الصليبيين الذين كانوا يغزون وطن الغزالي كنذير مبكر بغروب شمس الحضارة الاسلامية . ولو تأملت هذا الذي يقوله الغزالي ويستشهد به لوجدته يلخص ، أو يوصى بكل ما يحقق فناء الحضارة الاسلامية وهزيمتها .. وتأمل فلسفة الفناء هذه المشبعة بالفكر المسيحي

وقتها ، وفلسفة النهوض والانبعاث والتقدم التي في تعاليم الرسول واحاديثه .. فالرسول يعد المسلم بالثواب كلما جامع زوجته ، والرسول يقول لا رهبانية في الاسلام .. وما من صحابي الا وتزوج اكثر من مرة .. ولذا اعطوا البشرية حضارة جديدة .

ولا قيد في المتعة الحلال عندنا ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾[1] .

والاتصال الجنسي عندنا يثاب عليه قال صلوات الله : « وفي بضع أحدكم صدقة » (أي في الجماع) فقالوا : « أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر .. قال أرأيتم لو وضعها في حرام ، كان عليه فيها وزر ، فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر » .

وقد ذهبنا الى أن تعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام ، كانت لازالة هذا المفهوم الذي روجته الكنيسة عن كراهية الزواج ، وخاصة الزواج من المطلقة أو الأرملة ، ولذلك كانت كل زوجاته إلا واحدة ، سبق لهن الزواج .. .

وكما قلنا فإن الجنس عنصر أساسي في الزواج ، بل وتتم به شرعية الزواج ، وقال ابن القيم الجوزية : « والمودة بين الزوجين والمحبة بعد الجماع أعظم مما كانت قبله ، والسبب أن شهوة القلب ممتزجة بلذة العين ، فإذا رأت العين ، اشتهى القلب ، فإذا باشر الجسمُ الجسمَ اجتمعت شهوة القلب ولذة العين ، ولذة المباشرة » « وفيه كمال اللذة ، وكمال الاحسان الى الحبيب ، وحصول الأجر ، وثواب الصدقة ، وفرح النفس ، فإن صادف ذلك وجها حسنا ، وخلقا دمثا ، وعشقا وافرا ، ورغبة تامة ، واحتسابا للثواب ، فتلك اللذة التي لا يعادلها شيء ، ولا سيما اذا وافقت كمالها ، فإنها لا تكتمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة ، فتلتذ العين بالنظر الى المحبوب ، والاذن بسماع كلامه ، والأنف بشم

١ ــ (المؤمنون : ٥ ــ ٧) .

رائحته ، والفم بتقبيله ، واليد بلمسه ، وتعكف كل جارحه على ما تطلبه من لذتها ، وتقابلها من المحبوب » .

قارن هذا الابداع في التنعم بما أحل الله ، وما يحققه الجنس مع الحب ، قارن هذا بما يقوله الغزالي ، في كراهية الجماع ، بل وكراهيته الأشد للجماع بين المتحابين قال : « ان العشق هو غاية الجهل » وتفسيره يعكس الكراهية المسيحية للجنس واللذة والحب اذ قال : العشق هو غاية الجهل بما وضع له الوقاع ، وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم ، لأن المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع ، وهي اقبح الشهوات واجدرها ان يستحى منه ، حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد ، والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فتكتفي به ، وهذا لا يكتفي الا بشخص واحد معين ، حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية » .

كيف هوى الفكر الاسلامي الى هذا الحد وعند من .. فيلسوف مثل الغزالي .. واين هذا من حديث ابن القيم ، ووصفه للجماع بين المتحابين واعتباره قمة النعيم والنعمة من الله .. وانت ترى أن شيخنا لا يحرم عضوا من لذته ، بل ويقرر : « ومما ينبغي تقديمه على الجماع ، ملاعبة المرأة وتقبيلها ومص لسانها » . وعن جابر بن عبد الله قال : « نهى رسول الله ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة » .

وهي أمور لم تكتشفها أوروبا المسيحية إلا بعد شيخنا بسبعمائة سنة ؟! وما زال الجدل على أشده في الكنيسة حول مشروعية الجنس الجاف بل حتى مطلع هذا القرن كانت الزوجة الأمريكية التقية تتحرج من القبلة بشهوة مع زوجها ! ودعك من مص اللسان ، أو ما هو ألذ للزوجين ! وقد أشرنا في غير هذا الموضع الى جواز الاستمناء ، بل وأن تساعد الزوجة زوجها على الاستمناء . وقد حرم علينا الوطء في فترة الحيض ، ولكن الجنس دون الوطء في ايام الحيض ، ليس فقط من المباح ، بل أذهب الى أنه سنة ، فقد كان عليه الصلاة والسلام : « يأمر عائشة أن تأتزر ويباشرها » . في أيام الحيض .

وعندنا يمنع الجنس أثناء الصيام ولكن الله سبحانه وتعالى ينبهنا الى أنه مباح

في ليلة الصيام من غروب الشمس الى طلوع الفجر . قواك الله يا أخي ـــ لما علمه العزيز الحكيم من الضيق الذي كان يعانيه المسلمون ، ولم يطلب منهم أكثر من الامتناع عن الجماع وهم « عاكفون في المساجد » وهو طلب جد معقول ومنطقي .. قال عز وجل ..

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [1] .

وقد طلبت زوجة « رفاعة القرظي » الطلاق لصغر عضو زوجها ، فحكم لها بذلك . والزوجة لا يجوز لها أن تمتنع عن تلبية رغبة الزوج قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده . ما من رجل يدعو امرأته الى فراشها فتأبى عليه ، إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها » . واذا كان لا يمكن اثبات امتناع الرجل عن قصد .. فان الشرع قرر لا ضرر ولا ضرار ، واعتبر من الضرر عدم اشباع الحاجة الجنسية للزوجة ومن ثم لها حق الطلاق سواء كان امتناع الزوج عن عجز أو كراهية أو عن رغبة في الايذاء والازعاج .

واذا كان « الجماع » يجب أن تسبقه الملاعبة ، فإن مفهوم النص والشرح في حديث « الافضاء » أن التعبير عن الشعور خلال الجماع مباح .. .

قال رسول الله ﷺ : « إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة . الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم يفشي سرها » . وشرح الحديث الامام النووي (٦٣١ هـ) فقال : « وفي هذا الحديث تحريم افشاء الرجل ما يجري بينه وبين

---

١ ـــ (١٨٧ ـــ البقرة) .

امرأته من أمر الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك ، **وما يجرى من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه** » .

ولا يمكن أن يجتمع في تراثنا ، كل هذا الغزل اذا كان الجنس مكروها في ديننا ، أو الحب مريبا . بل العكس ، ان النظرة المتحررة للجنس جعلت المسلمين يرون في العشق علاقة نبيلة شريفة ، لا يتغنى بها فقط ، بل اعتبروا أن الجمع بين العاشقين فضيلة ، ومثوبة ، يسعى لها أجلاء الصحابة ، رضي الله عنهم ..[1] .

مرّ أبو بكر الصدّيق ، رضي الله عنه — في خلافته — بطريق من طرق المدينة فإذا جارية تطحن وهو تقول :

وهويته من قبل قطع تمائمي
متمايساً مثل القضيب الناعم
وكأن نور البدر سنّة وجهه
ينمى ويصعد في ذؤابة هاشم

فدقَّ عليها الباب ، فخرجت إليه ، فقال : ويلك ! أحرّة أنت أم مملوكة ؟ فقالت : بل مملوكة يا خليفة رسول الله ﷺ . قال : فمن هويت ؟ .. فبكت ثم قالت : بحق الله الا انصرفت عني .. فقال : لا أريم أو تعلميني فقالت :

وأنا التي لَعِبَ الغرامُ بقلبها
فبكت لحبِّ محمدِ بن القاسم

فصار الى المسجد وبعث الى مولاها فاشتراها منه ، وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب .. .

وجاءت جارية لعثمان بن عفان تستعدي على رجل من الأنصار ، فقال لها عثمان : ما قصتك ؟ .. فقالت : يا أمير المؤمنين كلفت بابن أخيه ، فما أنفك أراعيه . فقال له عثمان : إما أن تهبها لابن أخيك ، أو أعطيك ثمنها من مالي .

---

١ — في الحلال طبعا .. .

فقال : أشهدك يا أمير المؤمنين أنها له .

وأُتي عليّ بن أبي طالب بغلام من العرب وجدوه في دار قوم بالليل ، فقال له : ما قصتك ؟ فقال : لست بسارق ولكن أصدقك :

تَعَلَّقْتُ في دار الرباحيِّ خَـوْدَةً
يذلّ لها من حسنها الشمسُ والبدرُ
لها في بنات الروم حُسْنٌ ومنصب
اذا افتخرت بالحسن صدّقها الفخر
فلما طرقت الدار من حَرِّ مهجة
أتيت وفيها من توقدها جمر
تبادر أهل الدار لي ثم صيَّحوا :
هو اللصُّ محتوماً له القتل والأسر

فلما سمع « عليّ » شعره رقّ له وقال للمهلب بن رباح : اسمح له بها ونعوضك عنها .

واشترى معاوية بن أبي سفيان جارية من البحرين ، فأعجب بها اعجاباً شديداً ، فسمعها يوماً تنشد أبياتاً منها :

وفارقته كالغصن يهتز في الثرى
طريراً وسيماً بعدما طرّ شاربُهْ

فسألها فقالت : هو ابن عمي .. فردّها اليه وفي قلبه منه .

ودخلت عزة يوماً على أم البنين اخت عمر بنْ عبد العزيز فسألتها : يا عزة ما قول كثير :

قضى كل ذي دَين فوفَّى غريمه
وعزة ممطولٌ مُعنًّى غريمها ..

ما كان هذا الدين ؟ .. فقالت عزة : كنت قد وعدته بقبلة ، فتحرجت منها .

فقالت أم البنين : أنجزيها وعليّ اثمها .. الخ[1] .

لست أريد أن أطيل .. وحسبك أن تعلمي أيتها المسلمة .. أنه ما من أمّة قد عشقت كما عشقنا ، وما من أمّة قد أقبلت على الحياة كما أقبلنا ،لم نصدف عنها صدوف العاجز الكاره لها .. ولا انتحرنا بادمانها .. وستبقى ليالينا في دمشق وبغداد والقاهرة والحمراء وقرطبة .. حلم البشرية كلها ، وليلة الغرام للمرأة ، فقد عاشت فيها أروع وأمتع الحب ، يحوطها حنان الرجل واعزازه .. وتنعم فيها ، لأول مرة ، بالمساواة الكاملة كانسانة ، وبالمكانة السامية كحبيبة القلب .. وما من أمة في تراثها عشر ما في تراثنا من غزل بالمرأة ووله بها .. .

وفي اعتقادي أن الرجل الذي يستمتع بالجنس بلا عجز ولا عقدة اثم .. لا يمكن أن يحتقر المرأة .. .

فليس في الفكر الاسلامي ، من سبب لاحتقار المرأة أو الاعتقاد بثانوية مركزها ، بل ويمكنني ان اضيف هنا عنصرا اخلاقيا لنشوء الانطباع عن ثانوية مركز المرأة واستغلال الرجل لها .. ذلك ان الطبيعة اهتمت بلذة الرجل لانجاز عملية الاخصاب ، ولم تهتم أو قل لم تعلقها على استكمال المرأة شهوتها .. فالمعروف ان الاخصاب لا يتم الا إذا افرغ الرجل او انزل منيه بالقذف ، اي يستكمل شهوته تماما ، بعكس المرأة التي تؤدي مطلب الطبيعة بنجاح ، اي يتم الاخصاب والحمل دون ان تفرغ اي دون ان تبلغ ذروة استمتاعها بوصول منحنى التوتر الجنسي الى قمته ثم استرخائه ، بل تتم العملية كما قلنا بقذف الرجل في رحمها ، ولو كان اغتصابا ، وعلى كره وبغض منها ، بل يمكن القول ان اهتمام الطبيعة بالجانب الجنسي يتلاشى فور قذف الرجل وتحقيق الهدف بافراغ الحيوانات المنوية ، في المكان المطلوب لتبدأ مرحلة اخرى من مراحل حفظ النوع .. بينما تؤكد غالبية الدراسات ان المرأة في هذه اللحظة بالذات تكون في قمة الاشتهاء والتشبث

١ ــ غلبت عاطفة أم البنين على تقواها .. وبقية القصة : فاعتقت أم البنين بكلمتها هذه أربعين رقبة وكانت اذا ذكرتها بكت وقالت : ليتني خرست ولم أتكلم بها .

بالرجل ، وانسحابه قبل ان تبلغ غايتها يدمر أعصابها ويصفع شعورها ويهين كرامتها إذ تتشبث به وهو كاره منصرف عنها وأقبح صور هذه الحالة هو ما نراه في أنثى الكلب إذ تطبق على عضو الذكر حتى تنال بغيتها .. .

كذلك يمكن القول بأن الرجل لا يمكن اغتصابه أو اجباره حرفيا على مزاولة الجنس ، إذ لابد أن يتحقق من جانبه الانتصاب ؛ وهذا يعني توفر حد أدنى مهما يكن حجمه ومبرره ؛ من الشهوة والارادة ، بينما يمكن أن تتم العملية الجنسية والخصاب دون رغبة من المرأة ودون شهوة منها بل رغم أنفها في بعض الاحيان وهو ما يصنف بالاغتصاب وأيضا بعض حالات الدعارة المحترفة .. وهذا من شأنه أن تبدو المرأة في مركز ثانوي ، مركز المغتصب أو « الشيء الجنسي » الذي يستخدمه الرجل لاشباع شهوته وتستخدمه الطبيعة لاستمناء الرجل دون اهتمام بعاطفتها أو إرادتها أو حتى اشباع شهوتها فهي اداة جنسية وليست شريكة متساوية في العملية الجنسية . فالذين يقصرون هدف الجماع على التناسل هم الذين وضعوا الاساس في « تشيء » المرأة أي جعلها شيئا يستخدمه الرجل أو الطبيعة لانجاز المطلوب . وسنرى ان الاسلام قاوم ذلك ومنعه .

وصحيح آن المرأة لم تستسلم لهذا الوضع ولا واقعيا كان الجنس عملية خاسرة بالنسبة لها ؛ بل ويمكن القول أن الشعور بفداحة الغبن اذا لم تصل الى ذروة الاستمتاع مثل الرجل ؛ لم يتضح بشكل حاد إلا حديثا جدا ؛ بل كان اهمال إشباعها حافزا لطلبها المزيد من الجنس : وتطوير عملية الانتقاء الطبيعي لتحقيق التلاقي ؛ وأكثر من ذلك نحن نذهب الى القول بأن المرأة كانت تحقق الاشباع في غالب الأحوال ؛ حتى ولو لم يكن ذلك ضروريا من وجهة نظر الطبيعة المستغرقة في تحقيق الاخصاب وحده . الا أن المرأة تعلمت بغريزتها أو من خبرتها كيف تضاعف من جهدها لتلحق بالرجل فتصل الى ذروة منحنى استمتاعها معه أو حتى قبل أن يفرغ هو .. خاصة وأن المرأة تستطيع أن تتحمل الرجل للحظات بعد ان تفرغ ؛ بعكس الرجل الذي ينحدر منحنى شهوته رأسيا فور القذف . كذلك استطاعت المرأة اقناع الرجل أن صبره عليها حتى تصل هي أيضا إلى ذروة الشهوة ؛ يضاعف من لذته ويرفع حرارة الممارسة الجنسية ؛ ويبرز رجولته ويزيد اعتزازهما

معا بهذه الرجولة .. وترى الرجل من عامة مصر يفخر لا بعدد المرات التي جامع فيها المرأة في ليلته بل بعدد المرات التي استطاع أن يستفرغها .

ولكن المرأة لم تنس ابدا ؛ ان عليها أن تلهث لكي تلحق بالرجل ؛ وأن تكشف بصورة صارخة استمتاعها وحرصها بل استعطافها له لكي يضاعف من جهده ويطيل صبره ليكون كوصف صباح لفريد شوقي في الأغنية العجيبة : « عليه صبر وطولة بال .. وعليه قوه تهد جبال » !! كما لا يفوت المرأة أنها في اغلب الاحيان تبذل جهدا أكثر مما يحتاجه أو يبذله الرجل لتصل إلى ما يصل إليه .. ثم لا يخفي تأثير الوضع الذي جرى عليه الجماع « الرسمي » وهو افتراش أو علو الرجل للمرأة ؛ حيث يطرحها تحته كأنها فريسة يلتهمها الوحش الأقوى ؛ أو شيء ملقى أسفله ؛ وهو وضع يخلق ـــ على الأقل خلال تلك اللحظات البالغة الأهمية والمكثفة الزمن ـــ شعورا بأن الرجل « يعلوها » وأنها لا تصل إلى لذتها إلا بقبول علوه هذا والاستسلام له . ويمكن أن أضيف عنصرا اخر هو اللغة ففي سائر اللغات يعني فعل الجماع الفعل بالمرأة فهي المفعول به مما جعل أنصار حرية المرأة في الغرب في تطرفهم المعتاد يصرون على تغيير اللغة ويجعلون الفعل صالحا للاستخدام على الوجهين فتكون المرأة فاعلا ومفعولا به وكذلك الرجل .. فهي تجامع الرجل وتطأه .. .

وقد ساعدت الفلسفة البولسية وما تفرغ عنها في الفكر الغربي على تأكيد إحساس المرأة بانحطاط مكانتها من خلال التركيز على أن هدف الجنس الوحيد هو حفظ النوع ؛ وهو يتحقق ـــ كما رأينا ـــ دون اهتمام بمشاعر المرأة أو رغبتها . كذلك كرهت الكنيسة الغربية تعبير المرأة عن استمتاعها ، وباستثناء مرحلة المراهقة والكبت الطويل : لا يمكن للمرأة أن تصل الى الاستمتاع اذا ما حرصت على كبت انفعالها حتى لا يصدر عنها قول أو حركة تدل على اللذة أو

الاستمتاع .. كما نصت تعاليم الاباء على ان وضع افتراش المرأة هو الوضع الطبيعي والشرعي .. .

« كانت محاكم التفتيش تسأل المتهم في غرب المكسيك سنة ١٦٩٧ : هل حاولت أن تطء امرأة وهي راكعة كالحيوان على أربعة اقدام ؟! » .

ومن ثم فنحن لا نملك إلا أن نفتح أعيننا دهشة أمام وعي الاسلام بكل هذه العوامل وحرصه على معالجتها اقتلاعا لما يسمى أو يروج عن انحطاط مركز المرأة . ولم تكن معالجة الاسلام بالغاء الطبيعة فليس ذلك في وسع الانسان ولا من رسالات الاديان ؛ وأيضا لم يقفز الاسلام الى التطرف المضاد مكتفيا باعلان مساواة المرأة ولو على مستوى الشعارات أو حتى أمام القانون انتصارا على الرجل ! بل شرع ما يمكن من السيطرة على قوانين الطبيعة وتطوير اثارها بما يكفل سعادة المرأة والرجل معا وتخلصهما من أية شعور بالاستغلال من طرف لطرف .. فقد حرص الاسلام على تحقيق اكتفاء المرأة أو بلوغها شهوتها في الجماع مع زوجها ابتداء من النهي عن الجماع قبل الملاعبة ؛ بل ذهب بعضهم إلى ان الملاعبة فرض بنص القرآن تفسيرا لقوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [١] فقالوا إن التقديم هو الملاعبة : والملاعبة كما شرحنا تثير المرأة وتسهل بلوغها مأربها خلال الجماع الذي يعقب هذه الملاعبة .. ونهى الرسول عن أن يقع الرجل على امرأته كما تفعل البهائم .. والبهائم بالطبع لا تهتم على الاطلاق بمزاج انثاها ولا اشباع هذا المزاج وتذكر مثال الكلب .. كذلك اباح الاسلام كافة أوضاع الجماع بلا تحديد ولا فرض لوضع شرعي .. ومن ثم فقد يعلو الرجل المرأة أو قد تعلوه هي فلا إحساس بمركز أسفل .. .

---

١ ــ (البقرة ــ ٢٢٣) .

وهناك أحاديث تتحدث عن قذف المرأة ماء مثل ما يفعل الرجل وقول الفقهاء ان الغسل لا يتوجب عليها الا اذا انزلت .. وبصرف النظر عن التفسيرات العلمية في ذلك الوقت فإن الحديث عن إنزال المرأة وجعله شرطا للاخصاب وللجنابة ؛ يعطي المرأة الحق في المطالبة بحقوقها الشرعية ويحث الرجل على الاهتمام بتلبيتها، وما أظن أن رجلا مسلما يسعد برؤية امرأته تقوم من جماعه فتتوضأ وتصلي لأنه لم يستطع ان يوجب عليها غسلا[1] !

* * *

---

١ ــ اذا كانت لا تأخذ برأى الجمهور فى وجوب الغسل إذا التقى الختانان .

□ الموقف من المرأة

وان كان هذا خارج موضوع البحث نوعا ما إلا أنه لا بأس من الاشارة هنا ، الى ارتباط الموقف من الجنس بالموقف من المرأة .. فايمان المسيحية الغربية بنقص المرأة ، وانها كانت السبب في طرد آدم ، وظهور الجنس أو اللذة ، كان له تأثيره المزدوج على انحطاط مركز المرأة في التصور الكنسي ، وعلى كراهية الجنس الذي يلجيء الرجل الى الركوع بين رجلي المرأة .. !

وقد ورثت الكنيسة انتقاص مكانة المرأة من الحضارتين الاغريقية والرومانية ، وأضافت اليه تفسير « الخطيئة الأولى » وفقا لرواية التوراة .

« وفي أثينا لم يكن للنساء من حقوق سياسية أو قانونية أكثر من العبيد ، وكن يلحقن بأقرب ذكر ، ولا تأكل مع زوجها الا نادرا ، ويستحيل اذا كان عنده ضيوف ، ولا تخرج من البيت الا نادرا » . وفي كتابات الاغريق أن المرأة غير موثوق بها ، وغير عاقلة وشهوانية منحطة[1] . « وكان زنا الزوج بلا عقوبة ، ولكن الزوجة تعاقب اذا زنت » .

١ ــ راجع كتاب الجنس في التاريخ وقد نقلت المؤلفة رواية بلوتراك عن زوجة أحد الحكام الاغريق الذي عرف من أصحابه أن رائحة فمه كريهة ، فرجع غاضبا الى بيته وسأل زوجته .. لماذا لم تخبره فردت عليه ببراءة : كنت أظن أن كل الرجال كذلك ! وهذا يذكرنا بنكته مصرية معروفة ، ولا سبيل لذكرها !

« وفي القانون الروماني كانت تابعة للرجل ، تنتقل هي وأملاكها الى ملكية الزوج » . وقال « كاتوه » في مجلس الشيوخ الروماني : « المرأة حيوان لا لجام له » وكان القانون الروماني يلزم الأب بتربية كل الاولاد الذكور ، والبنت الأولى فقط ، أما بقية البنات فيلقين في العراء عند عمود مخصص لذلك ، يمتن أو يلتقطهن مديرو بيوت الدعارة .. .

وقال بولس الرسول ، المؤسس الحقيقي للكنيسة الكاثوليكية : « المرأة خلقت لينتفع بها الرجل ، ولذلك يجب أن تخضع له في كل شيء . ويجب ألا تعلم في الكنيسة فقد شاء المسيح ألا يجعل أي امرأة ، ولا حتى العذراء مريم من الحواريين ، وقد حافظت الكنيسة على تقليد الذكورة باستمرار ، فالقسيس يجب أن يكون شبيها بالمسيح ، واذا ما قامت امرأة بالقداس سيكون من الصعب رؤية صورة المسيح فيها » . وهذا رأي الفاتيكان في عام ١٩٧٧ ان الكنيسة الكاثوليكية لا تعتبر نفسها مخولة برسم قسيسات [١] . بل والرأي الذي أعلنه البابا أخيرا في الثمانينيات في اثناء زيارته للولايات المتحدة .

وقال بولس : « يجب أن تمارس المرأة الصمت والطاعة لكل ما تؤمر به ، فهي ابنة حواء التي أغوت آدم بالتعدي » . وقال كلمنت بابا الاسكندرية : « إن المرأة مساوية للرجل في كل شيء . ولكن الرجل افضل منها في كل شيء » .

وفكرة الخطيئة الأولى ، تحمل المرأة مسئولية شقاء الجنس البشري ، فهي التي غرر بها الشيطان ، وهي التي تولت اغراء الرجل فكانت الخطيئة الأولى التي رزح تحتها البشر .. وطردوا من الجنة حيث لا شقاء ولا متاعب .. ولا جنس في رأي ترتوليان : « فلو كان آدم لم يعص ربه ، لعاش طاهراً حصوراً ، ولتكاثر النوع الانساني بطرق غير هذه الطرق البهيمية » .

والعهد القديم صريح وواضح في تحميل حواء مسئولية هذه الخطيئة الفادحة :

---

١ ــ مجلة التايم ــ فبراير ٧ / ٢ / ١٩٧٧ .

« فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر ، وأخذت من ثمرها وأكلت ، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل » . ولما سأل رب التوراة آدمها هل أكلت من الشجرة . التي أوصيتك ألا تأكل منها ، وشى آدم التوراة بزوجته : « المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة » . وفي العهد الجديد « ان آدم لم يغو ، ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي » .

أما في الاسلام ، فالآيات التي أشارت الى حديث الشجرة ، تحمل المسئولية للطرفين بلا تخصيص ، الا في آية واحدة ، ينفرد فيها آدم بالمسئولية ، وتلقي الكلمات التي غفر بها لآدم وزوجه .

﴿ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ﴾

﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما ﴾

﴿ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (١٢٠) فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى (١٢١) ﴾

فلا خطيئة لحواء عندنا ، بل ان هذه المعصية قد انتهت بغفران الله لهما .. انه لغفور رحيم .. .

ثم ان الخطايا في ديننا لا تورث ، وربنا الغفور الرحيم لا يطارد الجنس البشري بمعصية آدم وحواء .. .

ومن ثم فلا حقد على حواء ، ولا عقوبة أبدية لبناتها .. بل هن نور حياتنا وحبات قلوبنا ، وكمال ديننا ، والجنة تحت اقدامهن .

وقد أجمعت الدراسات الحديثة على أن الحضارة الاسلامية هي التي علمت أوروبا المسيحية احترام المرأة ، والنظر اليها كانسانة بل كأجمل نعم هذا الوجود ، بالنسبة للرجل علمناهم « حب » المرأة والغزل المهذب فيها ، وايضا نحن الذين

علمناهم حب « مريم » العذراء واحترامها .. وان كانوا قد فعلوا ذلك على طريقتهم .. .

تقول مؤرخة الجنس :

« كل الذين جاءوا الى العالم الاسلامي ، ولو حتى الى أسبانيا وصقلية فقط ، عادوا بسلب لم يحسوا به ولكنه كان أثمن من كل ما حققوه أو سلبوه ، وهو نظرة جديدة للحياة من الاحتكاك بحضارة اكثر تقدما ورقيا مما كان بوسع نبلاء الغرب تخيله .. حفنة من الأفكار والانطباعات والوعي والتصور ولكنها كانت كافية لجعلهم اكثر انسجاما مع التغيرات التي كانت قد بدأت فعلا في اوروبا » وقد سافر الى اسبانيا أو فلسطين نصف فرسان فرنسا خلال الثلاثين عاما التي تلت عام ١٠٩٧ (بداية الحروب الصليبية) .

ولكن التأثير لم يقتصر على هؤلاء الذين ذهبوا ، ولا كان الصورة الأنقى ، فالذين بقوا في اوروبا أو « القاعدون » سواء لأنهم اصغر أو أكبر من سن القتال — أو أعجز أو أحكم واعقل من المشاركة في المغامرة الاستعمارية .. كان هؤلاء القاعدون « يتذوقون تجربة مثيرة بشكل آخر خلال اعمال المسلمين ومؤلفاتهم ، عن علم وحكمة المسلمين ، وايضا مؤلفاتهم عن علم وحكمة العالم الكلاسيكي (أي ثقافة اليونان والرومان ج) هذه المعرفة وصلت مصفاة نقية عبر اسبانيا المسلمة التي عبرها ايضا جاءت الآداب التي ستؤثر على وضع المرأة في أوروبا »[١] .

الكنيسة الغربية كانت تنظر للمرأة من خلال صورة حواء المسئولة عن سقوط البشر ، فلما حلت « مريم » التي جاءت مع العائدين من الحروب الصليبية تغيرت النظرة لصالح المرأة ، وكان ذلك في القرن الرابع عشر .

فالحق أن الاسلام أهدى « ماريه » أو « مارى » للغرب المسيحي وساهم مساهمة مباشرة في تحرير المرأة الاوروبية ، ومن سخرية التاريخ ان هذا تم في

١ — Sex in history pp. 244 .

ذات الوقت الذي كانت المرأة المسلمة تتراجع لتدخل الحريم التركي ، المؤلم في تخلفه .

تعتقد « راي تناهيل » أن العرب أخذوا الحجاب عن بيزنطة « حيث كانت المرأة معزولة عن الحياة العامة ومحجبة ولا يسمح لزوجها برفع الحجاب إلا خلال العقد وللحظة قصيرة يختلي فيها العروسان » .

وسنثبت بتوسع في دراسة اخرى ، تعلم أوروبا احترام المرأة من العرب ، وانه قبل الاحتكاك بالمسلمين والاطلاع على القرآن والموقف الاسلامي من السيدة مريم لم يكن لها كبير ذكر في الأناجيل ولا في الكنيسة .. ولكن نعلق هنا على ما ذكرته مؤرخة الجنس وهو أن الذي علم أوروبا حب « مريم » العذراء هم شعراء التروبادور ، أي الذين نقلوا هذا الشعر من الاندلس المسلم ، نقول انها كمؤرخة منصفة واسعة الاطلاع كان يجب أن تدرك ان حب مريم جاء من الفكر الاسلامي ، ومن صميم الدين الاسلامي ، بعد الاحتكاك العظيم في الحروب الصليبية ، واذا كانت بيزنطة قد سبقت الكنيسة الغربية في احترام مريم وتقديسها فلأن بيزنطة جاورت الاسلام أربعة قرون قبل ان تبدأ الحروب الصليبية ، ولا حاجة للقول بأن أية مقارنة بين الانجيل وأعمال الرسل ، وتراث الكنيسة في القرون الاولى ، وبين القرآن ، حول مريم ، تؤكد أنه لا وجود « لمريم » في الفكر المسيحي الأول ، أو أنها كما تقول المؤرخة ظلت الى القرن الثالث عشر : « مجرد قديسة عادية » أما في الاسلام فقد أعلنت منذ القرن السابع « سيدة نساء العالمين » فهي التي اصطفاها الله على نساء العالمين ، هي « البتول » التي احصنت فرجها ليس لها في الأناجيل الأربعة سفر ، ولها في القرآن سورة كاملة ، وجاء اسمها في القرآن ٣٤ مرة وفي ١٤ سورة ، وذكر « عيسى » في القرآن ٢٥ مرة منها ١٥ منسوبا الى أمه « عيسى بن مريم » وورد لقب المسيح في القرآن ١١ مرة ، منها ثماني مرات « المسيح ابن مريم » . ولم يرد ذلك ولا مرة في الاناجيل ولكي لا يقال ان ذلك طبيعي لحرص الأناجيل على تأكيد أنه ابن الله نقول انه حتى عندما أراد كتاب الاناجيل اثبات نسب المسيح الآدمي ، لتأكيد أنه « ابن داود » نسبوه ليوسف النجار وليس لمريم !! .

مريم عندنا بالنص القرآني أفضل من أم نبينا عليه الصلاة والسلام وأفضل من

جميع زوجاته وبناته .. وتأمل ذلك الصحابي رضي الله عنه الذي « ثنيت له وسادة ليحدث » فقال : « خديجة هي خير من ركب الابل من النساء » ثم تنبه الى خطورة المنزلق الذي ساقه اليه لسانه فبادر قائلا : « ومريم بنت عمران لم تركب الابل قط » ! .

حسبك هذه الواقعة لتعرف مدى مكانة مريم عليها السلام في نفوس المسلمين وإذا كان المسيحيون تعلموا احترام مريم من المسلمين ، فقد شوهوا الموقف ، إذ كرموها باعتبارها أم المسيح أو أم الاله .. أما عندنا فمكانة السيدة مريم ، وما أكرمها الله به لا يرجع الى أنها ولدت المسيح .. حاشا لله أن تكرم الأمهات في ديننا بنباهة أو صلاح الاولاد ، وإلا كان لآمنة بنت وهب السبق الذي لا يدرك فقد ولدت خير الخلق ، وخاتم الانبياء والرسل وإمامهم يوم المعراج والاسراء .. وحبيب الله والشفيع اليه .. .

ولكن مريم حازت تلك المكانة لعاملين :

الأول أنها كانت صالحة عابدة قانتة .. مؤمنة صابرة . أحصنت فرجها ، وكانت لها معجزاتها التي شاهد زكريا بعضها .. وهو الرزق الذي كان يأتيها من عند الله .. وكلما عجب زكريا من وجود ذلك في غرفتها التي اعتكفت فيها للعبادة ، ردت عليه رد المؤمنة الواثقة : « هو من عند الله » « إن الله برزق من يشاء بغير حساب » .

والعامل الثاني هو أن الله ابتلاها بأقسى امتحان تتعرض له عذراء عابدة ، ناسكة زاهدة محصنة عفيفة .. وهو الحمل بدون زواج ، ولا والد معروف لحملها .. مما عرضها في زمانها ومحيطها وجيلها لأشنع اتهام ، بل ما زال اليهود والمشركون يرددونه الى اليوم . وقد أبلغها سبحانه وتعالى بذلك ، وأدركت هي خطورة ما سيترتب على هذا الاختيار الالهي لها .. بل وتمنت لو كانت قد ماتت قبل هذا وصارت نسيا منسيا ، لادراكها الكامل بما سيقال عنها ، وما ستتعرض له ، واهون ما جوبهت به هو التذكير بأن أمها لم تك بغيا ؟ ! ومع ذلك آمنت وصبرت وصدقت ما يستحيل على كثير من العقول حتى اليوم تصديقه .. .

وقبول مريم ومباركتها وتفضيلها على نساء العالمين ، بعبادتها ، سابق على ابلاغها فضلا عن حملها للمسيح .. .

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[2].

من هنا يحق لنا القول أن « مريم » في المسيحية حاليا ، هي هدية المسلمين للعالم المسيحي . وان كانت صورتها أو ممارسات حبها وتوقيرها ، قد اتخذت صيغة مخالفة للعقيدة الاسلامية . بحكم العقلية الغربية ، والتطور الذي أصاب الفكر المسيحي .

تقول مؤلفة « الجنس في التاريخ » :

« حتى مطلع القرن الثاني عشر لم تكن « مريم » اكثر من احدى القديسات في التقويم المسيحي الغربي ، ولكن بمجرد ما استوردت عبادتها من بيزنطة (وقد شرحنا مصدر ذلك) حتى جذبت عواطف واعجاب القديس برنارد رجل الكنيسة المشهور الذي كان مسئولا عن اصلاح نظام الرهبنة ، وبنفوذه انشئت مئات الأديرة

---

١ ــ (آل عمران ٣٥ ــ ٣٧) .

٢ ــ (آل عمران ٤٣) .

في أوروبا حيث وهب الرهبان أنفسهم فيها « للعذراء » يلبسون الرداء الأبيض تحية لطهارتها ، ويضيفون محرابا خاصا « للسيدة » في كنائسهم . ولم يكد يحل القرن الثالث عشر حتى كان الشعر والشعراء الجوالون يخلطون بين « السيدة » « والعذراء » بين « الحب المقدس » « والدنس » وأصبحت العذراء سيدتنا » Our lady- Notre Dame شخصية ارستوقراطية مميزة أكثر انسجاما في بيت الامراء في قصور الغرب منها في الخان المشهور في بيت لحم . ولكن في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، تحولت بتأثير الفرنسسكان الى أم الفقراء والبؤساء ، والعائلة المقدسة التي لم يكن لها مكان في الأناجيل ، أخذت مكانها في مجتمع القرن الخامس عشر في روما « ولو أن العامة ـالذين لا يرتبط الدين عندهم بالمنطق ـــ كانوا على استعداد لقبول مريم كعروس المسيح وأمه .. مما أثار مشاكل منطقية في العقيدة ، وعند جودفرى أوف ادمونت ، أنها أيضا عروس العضوين الآخرين في الثالوث (أي الآب والـروح القدس ج) . وقد ظلت « مارى » شوكة في جنب الفكر الكنسي لمخالفتها لنظرة المسيحية عن وضع المرأة ، حتى اضطرت في النهاية لاعلانها حالة خاصة »[١] .

* * *

١ ـــ ص ٢٥٧ وانظر دراسة موسعة لنا عن مريم في الاناجيل في كتابنا : « خواطر مسلم عن الجهاد والاقليات والاناجيل » .

□ لماذا الزنا؟

وقد يبدو من النظرة السطحية ان مفاهيم الكنيسة الغربية اكثر « عفة » أو تخلق مجتمعا اكثر عفة من المجتمع الاسلامي ــ ولكن هذا غير صحيح ، لأنها مخالفة للطبيعة ، وقد اضطر كبار رجال الكنيسة ذاتهم إلى الاعتراف بالعجز عن « خصي » المؤمنين ، ومن ثم ترى « قديسا » مثل توماس الاكويني ، الذي يعتبر فيلسوف الكنيسة ومجددها فكريا ، يقر البغاء كوسيلة لمكافحة اللواط ، ويقول إن البغاء مثل « المراحيض » اذا الغيتها امتلأ المكان بالاقذار .. كذلك اذا ألغيت البغاء ، انتشر « اللواط » . « ولذا شاركت الكنيسة في مهنة البغاء ووضعت البنات (المومسات) تحت اشرافها »[1] .

« وكانت هناك كنيسة للدعارة في « افنيون » حيث تقضي الفتيات بعض الوقت في الصلاة والواجبات الدينية ، ثم يتفرغن بقية النهار والليل لخدمة الزبائن ، الذين يشترط فيهم أن يكونوا مسيحيين ، اذ لم يكن يسمح لغير المسيحيين بالدخول .

---

١ ــ ص ٢٦٤ الجنس في التاريخ وكان المفروض أن توضع تحت اشراف مصلحة المجاري ! .

وقد ظل هذا التقليد متبعا من المومسات المسيحيات في الخليج الى عام ١٩٥٦ !
وهذا يذكرنا بقصة الغلام الشهيد وملك قرطبة[١] .

وقد اعجب البابا جوليوس الثانى « بكرخانة » افينون هذه إلى درجة أنه فى مطلع القرن السادس عشر أسس واحدة مماثلة فى روما ذاتها « وأصبحت مارية المجدلية ، قديسة المومسات » ! .

ويمكن أن ندرك مدى انتشار البغاء من حقيقة ان كولومبوس سافر إلى أمريكا عام ١٤٩٣ مع خمسين بحارا أصيب بعضهم « بالزهرى » فى أمريكا ، ولكن بعد عودتهم بثمانية عشر شهرا كان الزهرى منتشرا فى معظم أوروبا ! .

وتوماس الاكوينى الذى أباح البغاء هو الذى قيل فيه « لو أمكن تحميل رجل واحد مسؤلية تشديد موقف الكنيسة من اللواط ، فهو توماس الاكوينى فيلسوف وفقيه القرن الثالث عشر » .

وقد عزل احد رجال الدين فى بريطانيا عام ١٢٧٤ بعد ما انجب ٦٥ طفلا غير شرعى[٢] .

ولكن استخدام أو اباحة البغاء لم يقصد به مجرد تطهير المدينة من قذارات اللوطيين ، بل استعين بها على فرض التقشف في المعاشرة الزوجية ! فإن محاولة الكنيسة التدخل في فراش الزوجية ، ومقاومة المشاعر الطبيعية ، أدت إلى ازدهار البغاء ، ففى العصر الفيكتورى فضل الرجال أو حتى نُصحوا بتفريغ شهواتهم مع المومسات أو العشيقات ، ليكون الجنس مع الزوجة رفيعا مهذبا باردا رصينا ! « آمن آباء الكنيسة ان الجنس حتى فى الزواج لا يسمح به الا إذا كان الهدف منه هو التناسل فقط ، ولو أن الكنيسة الكاثوليكية آمنت بذلك ولونت تلك النظرة ، الفكر الكاثوليكى كله ، فيما يتعلق بالجنس ، إلا أن تأثيرها كان محدودا ولكن من

١ــ انظر فصل اللواط . وهو الغلام المسيحي الذي رفض حب الملك المسلم لأنه وثني .
٢ــ المسيحية واللواط ١٣٣ ــ ١٤٨ .

الغريب انه خلال القرن التاسع عشر تبنى البروتستانت تعاليم القديس اغسطين اكثر مما فعل اسلافهم الكاثوليك وقال الدكتور اليس ستوكمان الامريكى عام ١٨٩٤ « ان أى زوج يطلب من زوجته الجماع بغير هدف الانجاب ، انما يحول زوجته إلى مومس خصوصية »[١] « وإذا لم يكن رجال العصر الفيكتورى قد ذهبوا في التطرف مذهب الدكتور إلا أنه كانت هناك قناعة عامة بأن الرجال لا يجوز لهم اظهار شهوتهم الحيوانية مع زوجاتهم الا في أضيق الحدود مرة فى الشهر وهو الأمثل ، أو مرة فى الأسبوع اذا كانت الحالة حرجة[٢] ، ويمنع تماما في فترة الحمل أو الحيض . ولكن الرجال وجدوا مصرفا ، بل اعتقدوا أنهم يخدمون زوجاتهم بتصريف طاقاتهم في الخارج ، وأن اللجوء إلى المومسات يتفق مع الدين . فالقديس أغسطين خلال مناقشته للجنس قال : إنه لولا خطيئة المرأة ، والتفاحة ، والحية .. لبقى الجماع باردا وعملية عقلية محسوبة وخالصا من كل إثارة وليس الا بعد الخطيئة الأولى ظهرت الشهوة والعاطفة في الموضوع . وقد حمل أطباء القرن التاسع عشر هذه النظرة إلى نتيجتها المنطقية ، ففضلوا الجنس مع المومس الذى يتم بلا حب ، عن الجنس مع الزوجة ، فازدهر البغاء على نحو لم يسبق له مثيل . ورغم قلة الاحصائيات . فقد اعترف البوليس بوجود ثلاثين ألف مومس فى باريس .

ولكن المصادر الرسمية تقدر الرقم الحقيقى بمائة وعشرين الفا ، ونفس الخلاف ، في لندن ، فقد اعترف البوليس بوجود سبعة آلاف مومس ، بينما قدرهم تقرير احدى الجمعيات بثمانين ألف مومس . وفى فيينا (١٨٢٠) كانت توجد بغي لكل سبعة رجال ، وفى نيويورك ١٨٣٠ عشرون ألف مومس وفي الفترة ما بين ١٨٣٠ ــ ١٨٤٠ كانت تحال سبعة الآف امرأة معظمهن من البغايا إلى العلاج من السيلان أو الزهرى ، وفى عام ١٨٦٥ عالجت ثلاث مستشفيات في لندن ، ثلاثين الف حالة من الرجال والنساء ، وفى باريس ١٨٦٠ كان اكثر من ستين

١ ــ الجنس فى التاريخ .

٢ ــ وقد وعدها الاعرابى « أربعا في أربع » فى ليلة واحدة هى ليلة المبايعة ! .

بالمائة من المومسات اللائى دخلن سجن « سانت لازار » مصابات بمرض سرى ، وخلال ثلاثة شهور فقد الحرس الامبراطورى عشرين ألف يوم عمل بسبب تردد رجال الحرس على المستشفيات للعلاج من الامراض السرية . وفى كوبنهاجن في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر كان كل رجل أو امرأة من بين ثلاثة يحمل أو تحمل اصابة بمرض سرى . وفى أمريكا فى عام ١٩١٤ قدر أحد الخبراء أن نصف الذكور في الشعب الامريكي مصابون بالسيلان »[١] .

وهكذا ترى ان المُنبتّ لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى .. وأن التعاليم الاسلامية هي التى نظمت وضبطت الحياة الجنسية بما يكفل الاشباع الكامل النظيف والانساني ... ووضعت العلاقة التي تنتفى معها الحاجة إلى الزنا . .

فالزواج في الاسلام ، وهو المصرف الطبيعي للغريزة الجنسية ، مطلوب ومأمور به .. وهو أيضا سهل جدا ، لا يحتاج إلى طقوس خاصة ، ولا إلى رجل ذى صفة خاصة لعقده ، بل يستطيع أى رجل وامرأة أن يتزوجا ..إما بالشهود أو بالاعلان ، أو بهما معا .. وأجاز أبو حنيفة الزواج بلا ولي وبشهادة فاسقين . ومالك أجازه بلا شهود وان كان الاجماع على الولى والاعلان أى الاشهار . والمرأة البالغة تختار وليها ، أو بالأحرى تعينه .

وواضح أن اشتراط الشهود ، أو الاعلان أو هما معاً انما يحميان حقوق الزوجة والأطفال ، فالعادة عند انكار الزواج ، أن يأتى هذا الانكار من جانب الزوج ... ومن النادر جداً وقوع حالة عكسية ، وان وقعت فغالباً بعد وفاة الزوجة ، إثر نزاع على الميراث . ولكن الشهود والاعلان ليست مراسيم ، وكتابة عقد الزواج ليست من نوع الطقوس التى بغيرها لا يتم الزواج شرعاً ، انه كما رأينا ضمانات قانونية لحماية الشريك الأضعف . ولتحويل الزواج من سلوك ذاتي بين ذكر وأنثى إلى سلوك اجتماعي ، باشهاد المجتمع عليه . ذلك أن القيد الذي يضعه الاسلام على

---

١ ــ الجنس في التاريخ . ويمكن ان يقال الآن إن عشرين مليون امريكي وامريكية مصابون بالهربس والايدز .

حرية الفرد ، هو دائماً أبداً لمنع تعسف الفرد فى استخدام حريته بما يضر مصالح الآخرين .

وما دام يستطيع أي فتى وفتاة بلغ بهما الحب حالة السعار التي تتحدث عنها « فرانسوا ساجان » ... ان يستمتعا بها على سنّة الله ورسوله .. دون انتظار مباركة شخص بعينه ... فلماذا يزني المسلم ؟ إلا إن كان الزنا يتم مع سبق الإصرار عليه .. .

ولا أظن اننا سنقف طويلا عند البغاء ، فذلك ليس جنساً ولا حباً ، ولا حتى آدمية ... وما من أحد يجرؤ على المطالبة به اليوم أو الدفاع عنه . وان كان تاريخنا لم يخلُ من بعض الرقعاء . طالبوا بإباحته لمنع الكبت والأمراض السرية ! .. منطلقين من نظرية المجاري ! .

البغاء العام انحطاط للرجل والمرأة ... فلنتركه سريعاً ، حتى ولو سموه باسم « مشاعية النساء » واقترن بما يسمونه الشيوعية البدائية ... فإن تكوين الأسرة هو أول الصفات الآدمية ، والملكية الفردية لا دخل لها في استمرار الاسرة .

نناقش اذن الزنا الفردي ... والمرأة في الأغلب الأعم لا ترفض الزواج بالرجل الذي أسلمته جسدها إلا إن كانت تسلم هذا الجسد وحده ، دون قلبها سواء بدافع من الشهوة الحيوانية وحدها ، لأن الحيوان يمارس الجنس بلا حب [1] — بل هناك حيوانات عليا لا يخلو جنسها من حب — والجنس بلا حب حيوانية ، بل سلوك حشري ! أو حرصاً على مكسب غير عاطفي ... أو لأنها ترى الرجل غير كفء لها ، ولكنها تشتهيه ... هذه المرأة تهين نفسها ، وتقر ذلك في أعماق ضميرها وهي تزني ... لأنها تسلم جسدها لمن لا تحترمه ... اذ لوا احترمته لتزوجته ، ومثل هذه الزانية سبّة للجنس كله ... أما اذا سلمت المرأة قلبها ، فليس أسعد منها ولا أعظم عندها من أن يختارها الرجل الذي امتلك قلبها ، ومنحته حبها ، شريكة لحياته ، ومكملة لدينه ، وأمًّا لأولادها .

١ — والغريب كما رأينا أن الامام الغزالى امتدح ذلك ! .

الغالب اذن أن الرجل هو الذى يحب التملص ... الرجل الذي يمارس الجنس مع المرأة ، وهو لا يريد أن يرتبط بها ولا أن يحمل أولادهما اسمه ... هذا الرجل مهما كان فوران عاطفته ، يخفي احتقاراً للمرأة .. .

فتحريم الزنا هنا ، يعني ـــ ضمن ما يعنيه ـــ تحريم احتقار المرأة .. .

وحالة أخرى للزنا ، هي تلك التي تتم مع اتفاق الطرفين على استبعاد الزواج وهو في الغالب الزنا بحليلة آخر ... وهذا هو الجنس المشوه ، الذى يقوم على خيانة ثالث ... وعلى اقرار من الطرفين بأنها علاقة لا تتجاوز هذه الرعشة المؤقتة مهما احيطت بالشبق والحنان ... فهى مدمرة ، خاوية ، ممتزجة بإحساس وضيع بالخديعة .. خديعة الرجل للمرأة ، يقول بلسانه مالا يتجاوزه إلى قلبه .. قلبه الذي يوقن أنها علاقة عابرة بلا مسئوليات ... يهمس في أذنها أنه مستعد « للموت » فى سبيل حبهما ... وهى على يقين برفضه « الحياة » فى سبيل هذا الحب ! . .

وخيانة المرأة للرجل ، تريد أحضانه ولكنها لا تقبل العيش معه سوى لحظات مختلسة ، علاقة يغلفها الكذب والشك في واحدة من أصدق اللحظات ... وكيف يصدق الرجل رعشة امرأة وهو يعرف أنها تكررها مع غيره ... ربما بعد ساعات ، وربما قبل ساعات ... وأنى لرجل أن يكتشف الزيف في هذه اللحظات من الصدق ؟! وكيف تصدق المرأة رعشة رجل مطمئن تمام الاطمئنان ، انه لا يحمل مسئولية عواطفه ، بل يحملها لرجل غيره ؟ . .

وماذنب الطفل الضائع بين يقين كاذب ، وشك لا يجرؤ حتى على الشك ! . .

من هنا كان زنا المحصن يستحق الرجم ... وكان حديث الرسول عن ابن مسعود « سألت رسول الله : أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك ، قال : قلت له إن ذلك لعظيم ، ثم أى ؟ قال : ثم أن تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك ، قلت : ثم أي ؟ قال : ثم أن تزاني حليلة جارك » .

نعم ! الشرك بالله لا يتفق وقدسية التوحيد ، وهو انحطاط بالانسان عن المرتبة

التي رفعه الله إليها ، فلم يجعل له ربّا إلا رب العالمين وحده ، والزنا بين المتزوجين ، شرك بالعاطفة الانسانية الصادقة ، وخيانة للحب واهدار للجنس .. لأن الزواج عندنا ليس ورقة ، إذ لابد في الزواج الاسلامى ، من الارادة الواعية والاختيار الحر ، فما دامت قد اكتملت الارادة الواعية وعبرت المرأة باختيارها الحرّ عن رغبتها في هذا الزواج ، فليس من حقها أن تخون ثقة شريكها في هذا الزواج ... ونفس الشيء للرجل المتزوج .

فإن قيل : إن القلب متقلب ، وإن الاختيار قد يخطيء ، والارادة قد تضل ... قلنا : إن الدين يسر لا عسر ... فإن حق تصويب الخطأ مكفول عندنا ... ما الذى يمنعها من الطلاق وزواج من تحب !؟ . .

والاسلام قبل أن يشرع رجم الزانية المتزوجة ... ألغى القيود التي كانت تعترض زواج المطلقة .. ففي الشرائع الأخرى ، كان زواج المطلقة زنا ! .. ومن ثم كان القرار الذي يتخذ بالزواج يستحيل إلى قيد رهيب على ارادة الانسان ، رجلاً كان أو امرأة ، لا يستطيع الفكاك منه ... فجاء الإسلام وحررنا من هذا الرق .. ولذا فليس ثمة مبرر واحد لكي يزني المسلم أو المسلمة ...

والحرية الشخصية عندنا قد اكتملت للرجل والمرأة بحق الحب والزواج ثم بحق الطلاق ... لا بالتفريط أو بالاباحية الجنسية ، فليست الإباحية هي مرادفة الحرية ...

فتحريم الزنا في الاسلام لا ينبعث من كراهية الجنس بل من احترام الجنس ... وتنزيهه عن العبث ، ومن احترام المرأة وتنزيهها عن أن تكون أداة لمتعة الرجل ... وحتى لا ينسب الطفل لغير لحظة الحب التي أنجبته ... واذا علمت أن الزنا لا يجوز إثباته بالتجسس أو الشبهة ، وأن عقوبة الرجم لم تطبق في التاريخ الإسلامي إلا على معترف أو معترفة ، وأن هذا الزاني المعترف لو أنكر بعد أن أصابته الأحجار ، بل لوفرّ هارباً من لوجب الأحجار وقف تنفيذ الحد ... وأنه في العصور الوسطى للاسلام ، لا لأوروبا ، أوشك سلطان المماليك أن يواجه ثورة حقيقية

لأنه رجم زانياً معترفاً ، ولكنه عدل عن اعترافه في آخر لحظة ! .. أقول : إذا علمت هذا ، إذن لعرفت أن عقوبة الزنا قد عبرت فيما عبرت عنه ، عن احترام عميق للمرأة ، وتقدير عميق للجنس ... فما من شبهة فرض ، ولو خيالي لظرف ، يجبر فتى وفتاة على الزنا في نظام الزواج الاسلامي ، الذي بلغ القمة في تحرره وبساطته ، وقدسيته في نفس الوقت .. .

واذا عرفنا أن « الخلفاء والفقهاء أفتوا بأن الرجل اذا شرط مبلغا من المال أو شيئا ذا قيمة مقابل وطء المرأة ، فلا حد للزنا ولكنه زواج ، فقد أعطاها أجرها وهى قبلت » والفكرة أن الزواج عرض وقبول من طرفين ليس بينهما مانع شرعى — قانونى من الزواج . وما عدا ذلك فهو طقوس لا أهمية لها . وهذا ما جعلنا نستنتج أن « الزنا » الذى يحاربه الاسلام ويركز عليه هو الزنا الذى يتم بين شخصين يستحيل زواجهما ، وهذا هو « الزنا بحليلة جارك » أى بالمرأة المتزوجة عموما ، وإن كان الحديث قد ورد بصيغة الوصايا العشر[1] .

وقد حلا لبعض المشككين ، فترة من الوقت ، الطعن في الأسباب التى أدت إلى تحريم الزنا . مما يطرحه الذين يحاولون « تبرير » الاسلام .. فقالوا عن اختلاط الانساب أنه يمكن ضبطه بوسائل منع الحمل ، ولما اكتشفت مركبات السلفا عام ١٩٣٥ والبنسلين عام ١٩٤١ . شاع الاعتقاد بأن الانسان قد تخلص نهائيا من الأمراض السرية ، وسقطت حجة الأخلاقيين والمتدينين في نقد الزنا أو العلاقات الجنسية غير المحدودة . وقل حرص طلاب اللذة الحرام ، حتى أصبح يعالج من « السيلان » كل عام في الولايات المتحدة وحدها ثلاثة ملايين .. وفى العالم كله مائة مليون ! ولكن من ذا الذى يهتم ان هى إلا « كورس بنسلين » . .

١ — بعض الصبية الذين يعادون الاسلام لأسباب عائلية يثيرون شغباً حول كلمة « أجرها » وكأنها الأجرة التى تدفع للمستخدم بالمفهوم المعاصر ، وقد ورد لفظ « الأجر » في القرآن مائة وثمانى مرات ٦ مرات بمعنى المهر للنساء و٥ مرات بالمعنى الحرفى للأجرة والباقى كله ٩٧ مرة بمعنى الجزاء أو المكافأة والثواب وهذا هو المعنى الأرجح بأغلبية الاستعمال الساحقة ، وعندما يقول الرسول « إن أجرى إلا على الله » فلا يمكن أن يكون « الأجر » كلمة معيبة .

ولكن سرعان ما تلبد الجو .. فالميكوربات ككائن حى ، لا تكف عن تطوير مقاومتها للمبيدات . فهى لا تقل حرصا على الحياة ، ولم يقتصر الأمر على ظهور أجيال من ميكروب السيلان أو الزهرى تحتاج إلى جرعات أكبر ، وربما مركبات أقوى وعلاج أطول ، بل تطور ميكروب عادى من ميكربات البرد إلى أخطر وأوسع الأمراض السرية انتشارا (Herbs) وهو غير قابل للشفاء حتى الآن ، ولذلك نسمية نحن « الانفلونزا الجنسية » اذ يقال إنه من فصيلة ميكروب الأنفلونزا .. وهو ينتقل بأى تلامس جنسي ، من الفم أو الجهاز التناسلى ، أو حتى الشرج .. ويبقى في الجسد فلا يخرج منه ، وسرعة انتشاره ، وعدم القدرة على علاجه ، جعلتنا نختار له تسمية « الانفلونزا » . ويقدر عدد المصابين به في الولايات المتحدة بعشرين مليونا ! وهو أبرز آثار « الثورة الجنسية » التى اجتاحت أمريكا في الستينيات ، وبعد انتشار المضادات الحيوية ، وحبوب منع الحمل ، وشيوع أو علانية الشذوذ الجنسي . وتبادل الزوجات ، والجنس الجماعى ... وقد أشرنا إلى المرض الآخر الأشد خطورة والذى لا علاج له ، الذى ينتشر بين اللوطيين . وهو (الإيدز ــ AIDS) .

ولا حاجة لأن يرد أحدهم بأن الطب سيكتشف دواء للمرضين حتى وان كان لم يكتشف دواء للأنفلونزا رغم مرور سبعين عاما على فتكها بالعالم في حمى الأنفلونزا الأسبانية (١٩١٩) . ولكننا جد واثقين أن العلم سيكتشف دواء لكل الأمراض الموجودة حاليا ، فهذا هو نص الحديث النبوي الشريف [١] ، إلا أننا أيضا وبنفس اليقين نؤمن أن الأمراض ستطور نفسها ، وستظهر أجيال أكثر قدرة على مقاومة الدواء ــ بل وستظهر ميكروبات وفيروسات جديدة ، متحولة أو مولدة تحمل أمراضا وأعراضا لم يسبق ظهورها ، ولا دواء لها لفترة من الوقت ... فما دام « البغاء » أو الزنا يمارس .. أى الاتصال الجنسي المفتوح ، غير المحدود الأطراف .. فلابد أن تظهر الأمراض السرية .

١ ــ لكل داء دواء وقد ورد فى ما سبق .

والأصل في الاستمتاع الجنسي هو الاقبال أو الاشتهاء بلا تحفظ ، والممارسة بلا قلق ، ثم الاسترخاء بلا ندم أو خوف .. وهذا لا يتأتى إلا في علاقة شرعية حتى اذا أمن الطرفان كل القوانين والمفاجآت وكان الزنا مباحا كما هو الحال في بعض البلدان .. فإن هذا الاستمتاع لا يتحقق اذا كان المستمتعان يبدآن بالشك في نظافة كل منهما ، ثم يتخذان الاحتياطات ، وينتهيان بالقلق والمبادرة لازالة الآثار تحسبا للأخطار .. !! وقد أثبتت الدراسات الأخيرة أنه بعد ظهور المرضين الجديدين « الهربس والايدز » .. هبطت نسبة ممارسة الجنس بشكل حاد في أمريكا .. وتشهد المحاكم الآن دعاوى مرفوعة من « محبين » ضد بعضهم بتهمة « رمتنى بدائها وانسلت » . .

وباختصار اذا كان أبشع الزنا ، هو الزنا بين المتزوجين ، فإن الزنا عموما يحمل شرا خطيرا ، والجنس يجب أن يكون في دائرة مقفلة [1] .

وقد شرحنا في كتابي « دراسة فى فكر منحل » ، رأينا في سبب تشريع عقوبة « الرجم » حيث أثبتنا أن المسلم المحصن لا يحتاج للزنا الا اذا كان قد انتوى الغدر والفاحشة ... غيراني أحب اليوم أن أقول كلمة حول هذه العقوبة ...

وقد سبق منا القول ، أنها موجودة في التوراة . وان الاسلام لم يخترعها ، ... يسمح المبشرون المنافقون لأنفسهم بالحملة على « وحشية » الاسلام ! أو أنهم يرون ان ما كان يليق « دينيا » في عهد « موسى » لا يليق في عهد المسيح أو محمد ، أو بمعنى اكثر دقة ، ما كان جزاء عادلا فى شريعة موسى يصبح وحشية وتخلفا في شريعة محمد ؟! هذا موقف من مواقف النفاق الفاجر ، فإما أن ينتقدوا التوراة ويقولوا انهم اضطروا إلى تنقيح قانون اله التوارة لأنه متخلف ، واما أن يكفوا ألسنتهم عن نقد الاسلام .

---

١ ـــ أي تشمل تعدد الزوجات ، لأنها ما دامت مغلقة على الرجل الواحد ونسائه فلا سبيل لتفشي الأمراض السرية .

وقد كان أول تطبيق للرجم فى المدينة . أو فى تاريخ الاسلام كله . في حادثة اليهودية التي احتكم أصحابها إلى النبي فحكم فيهم بالتوراة ، وكان في ذلك ما فيه من اعلام النبوة ، وعدل النبي.. ففيها علم رسول الله بأحكام التوراة واثبات أن اليهود لا يلتزمون بتوراتهم والا ما جاءوا إلى الرسول يطلبون حكما ، وكأنهم يلتمسون مخرجا من أحكام دينهم . وفيها أيضا فقه حكم الأقليات غير المسلمة ، وفيها العدل باخضاعهم لشريعتهم .

أما المسيح فقد رفض رجم الزانية في حادثة تماثلها ، ويبدو أن زانيات اليهود يُمتحن بهن كل نبي ! والسبب في امتناع المسيح ، أنه لم يجد في متهميها من يرقى إلى مرتبة الشاهد العدل ، فقال لهم : « من كان منكم بلا خطيئة فليقذفها بأول حجر » وشهد الله أنهم لم يجمعوا خطيئة المعصية مع خطيئة النفاق . ولذلك امتنعوا عن الرجم .

ورفض المسيح صلوات الله عليه أن ينفذ هو الحد لأنه كان ــ كما قلنا ــ يتجنب ممارسة السلطة ، يتجنب التدخل بأية صورة فيما يتعلق بنظام الحياة في المجتمع أو الدولة .

أما الرجم في التشريع الاسلامى ، فلا شك أنه مورس فى عهد الرسول في حادثتين . نشأتا بالاعتراف الاختيارى والاصرار عليه ، والروايات مجمعة على أن رسول الله كان يتمنى لو وجد سبيلا لمنع تنفيذ الحد . وتمنى لو أن أصحاب القضية لم يبلوا السلطة الاسلامية بأنفسهم فقد حاول الرسول بكافة الطرق والحجج منع تنفيذ الحد بالبحث عن شبهات ، ولكن المذنب في كل حالة ، أصر على الاستشهاد ، أو التطهير .. وثابت أن الرسول لم يرجم بنفسه ، ولا شاهد الرجم . بل عاتب المنفذين ، لأنهم استمروا في الرجم حتى بعدما حاول المتهم النجاة بجسده من ألم الضرب ، فقد اعتبر ذلك التصرف منه « عدولا عن الاعتراف .. » وعاتب النبى خال ماعز لأنه لم يستر عليه بثوبه أى لم يخف خبر زناه عن السلطة ! .

كذلك اشرنا إلى القيود التي وضعها الشارع لثبوت التهمة ، وهي الأربعة شهود من الرجال ـــ الذين كان يستحيل توافرهم قبل ظهور الجنس الجماعي .. وحجتنا أن هذا النصاب لم يتوافر قط في تاريخ الدولة الاسلامية عبر ١٤ قرنا ، فلم نسمع عن عقوبة الرجم للزنا ثبتت بالشهود ، ومرة أخرى فإن الشاهد الرابع الذى برأ « المغيرة » وجعل عمر رضى الله عنه يهتف « الله أكبر » اذ ثبتت بشهادته براءة المغيرة .. هذا الشاهد « النفي » .. شهد بأنه رأى « أقداماً بادية وأنفاسا عالية ، وأمراً منكراً » . واعتبر ذلك غير كاف لاثبات الزنا .. اذ لا بد كما هو معروف من اثبات التفاصيل التى أشرنا اليها . .

وشروط الشهادة ، واستبعاد شهادة النساء[١] ، واشتراط وقوع الشهادة وقت الفعل ، وتحت تأثير الانفعال من المنظر ، وليس بعد مدة لكى لا تكون عملية ابتزاز أو ضغينة ولذلك قال عمر « ايما قوم شهدوا على حد ، ولم يشهدوا عند وقوعه ، فإنما شهدوا عن ضغن ولا شهادة لهم » .

ثم حض المسلم على كتمان الشهادة ، أو التستر على الفاعلين بعكس جرائم الحقوق حيث يحث الدين المسلم على اظهار الحق ، ويحث المسلم على الشهادة ، إلا في جرائم الجنس ، فقد طلب من الفاعل أن يكتم ذنبه ، فلا يعرض نفسه للعقوبة بالاعتراف ، بل يكتفي بالتوبة بينه وبين الله . ولا يعلن الأمر ولا حتى للسلطة فقد قال رسول الله : « من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فإنه من يُبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله » .

وقال « من أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله عز وجل إن شاء

---

١ ـــ حكمة منع شهادة المرأة في جرائم الزنا متعددة : منع الثرثرة وانتشار الاقاويل ، وأهم من ذلك تجنيب حياء المرأة من مساءلة القاضي والدفاع في التفاصيل المطلوبة لا ثبات صدق الشهادة وإلا تعرضت لعقوبة القذف ، ثم لا يخفى ما يثور في محيطها هي من تساؤل عن كيفية تمكنها من دقة الرؤية ؟ .

غفر له وان شاء عذبه » . وعن الشافعي « : نحن نحب لمن أصاب حداً ، أن يستتر وأن يتقي الله عز وجل ولا يعود لمعصيته » .

ثم طالب الدين الناس بتجنب الشهادة في هذا اللون من الافعال الامتناع عن التبليغ عن مرتكبي هذا الفعل ، بل وجعل الكتمان أو التستر عملا صالحا يكافئه الله عليه : « من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة » حديث . وعن ابن ماجه عن ابن عباس عن رسول الله : « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته حتى يفضحه في بيته » .

ولا أدرى ما الذى يغرى مسلم بالتبليغ عن واقعة جسية وهو إن اضطربت شهادته أو تناقضت مع شهادة واحد من ثلاثة آخرين ، تعرض للجلد والتشهير ورفضت شهادته بعد ذلك على جميع مستويات التقاضي . وإن ثبتت شهادته كان ذلك « بشرى » له بأن الله سيفضحه فى بيته !! .

لا أظن أن أحداً يفعلها إلا إن كان من هواة الشر والشغب والذين يحبون أن تشيع الفاحشة ، ولذلك تلمس عمر بن الخطاب رضى الله عنه براءة « المغيرة » بما توسمه من صلاح الشاهد ، ولابد أنه أدرك أن تطوع هؤلاء بالشهادة يخفى أهدافاً سياسية ، تتعلق بخلافهم مع المغيرة أو السلطة أكثر مما هو غيرة على الحرمات أو فهما للدين .

ثم يأتى حض السلطة على تلمس اسقاط العقوبة بكافة الوسائل ، ومنها اغراء المتهم بالانكار أو طرح شبهة كأن يقول بأن الفعل لم يقع تماما .. الخ وعن عائشة : « ادرأوا الحدود بالشبهات عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن السلطان لئن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء بالعقوبة » .

وهذا ما جعل بعض الفقهاء يقولون : ان عقوبة الزنا « عقوبة قصد بها الزجر والردع والارهاب أكثر مما قصد بها التنفيذ والفعل »[1] ومعهم حق فنحن أمام

١ ــ سيد سابق .

عقوبة لا تطبق إلا علي « معترف » يتحدى السلطة والمجتمع ويصر على اعترافه ويطالب بتنفيذ القانون فيه .. هو شخص قرر أنه لا يستحق الحياة ، وجاء يستعدى السلطة على نفسه .. ولكني افضل لو قلنا أن العقوبة القاسية ، قصد بها « التبغيض » وابراز بشاعة الجرم ، ومدى استنكار الدين له ، حتى أن مرتكبه تسقط حرمته ، ويسقط حقه في الحياة . فهى أكبر من الحياة ، لأننا لو قلنا إنها عقوبة لم يقصد بها التنفيذ والفعل ، استدلالا من القيود الهائلة التي تبطل التنفيذ العملى ، أو كما قال سيد سابق : « فاشترط المشرع شروطا يكاد يكون من المستحيل توافرها » . فإن حكمة الزجر والردع والارهاب تنتفي ، فالعقوبة قصد بها ردع النفس المسلمة وابراز أن زنا المحصن امتهان للنفس وامتهان للشريك وخيانة وغش لطرف ثالث ، فهو جريمة لا تليق بكرامة انسان حر ، رجلا كان أو امرأة .. وهذه هي الفاحشة .

فالمشرع يعتبر « اشاعة الفاحشة » أخطر من « الفاحشة » ذاتها ، فهو يود لو لم تقع « الجريمة » ويود أيضا ألا تنفذ عقوبة .. ولذلك كان التحذير من رمي المحصنات ومن اشاعة الفاحشة أقوى ، بل وبداية التشريع .

وهذا عن جرائم الزنا « بتعريفنا » أما مادون الوطء فيستحسن التغاضى عنه حتى من قبل السلطة وبعد ابلاغه اليها وخاصة اذا كان من طرف الفاعل .

قال رجل لرسول الله : « إني عالجت امرأة من أقصى المدينة فأصبت منها ، دون أن أمسها ، فأنا هذا فأقم على ماشئت . فقال عمر بن الخطاب ستر الله عليك لو سترت على نفسك » (تأمل !) ولم يرد النبي ﷺ ، شيئا فانطلق الرجل فأتبعه النبي رجلا فدعاه فتلا عليه :

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ فقال له رجل من القوم يا رسول الله أله خاصة أم للناس عامة ؟ فقال للناس عامة [1] .

واستدل الشيخ « سيد سابق » من ذلك على أنه « : اذا كان الاستمتاع بالمرأة

١ — رواه مسلم وابو داود والترمذى .

الاجنبية فيما دون الفرج فإن ذلك لا يوجب الحد المقرر لعقوبة الزنا وإن اقتضى التعزير » .

« وسئل علي بن أبى طالب : » لي ابنة عم أهواها ، وقد كنت نلت منها ؟! .

فقال : إن كان شيئا باطنا (يعني الجماع) فلا .. وان كان شيئا ظاهرا (يعني القبلة) فلا بأس .

(حرفيا من موسوعة فقه على بن أبي طالب عن ابن ابي شيبة) .

ولا أظن أن الشباب يتجاوز هذا ، فيما يحدث فى العربات ، أو أثناء المذاكرة أو حتى فى دور السينما أو فى خلوة مختلسة سريعة بفعل الرغبة وفورة الشباب والعاطفة ، والله غفور رحيم .. فإن اتيحت الخلوة « الشرعية » وتأكدت النية والفرصة للطرفين لفعل الوطء . فما من سبب يحول دون اتمام ذلك بالزواج ولو فيما بينهما . والزواج العرفي معروف ومشهور (وان اتجه الرأي الآن لكراهيته فلسوء استخدامه ، ولما ترتب عليه من مشاكل واهدار لحقوق المرأة . ثم هو اذا حرمه القانون صار ممنوعا .) بل وبعض الشيوخ افتوا بزواج المتعة في بلاد الغربة وأنا أميل لرأيهم .

وقبل أن ننتقل لحديث العقوبة ، نقول إن الاسلام الصالح لكل زمان ومكان ، يثبت اليوم أن العقوبة لم تكن خيالية ، إذ يمكن أن يأخذ المشرع يوما بقبول الصورة أو الشريط السينمائى وتأكيد أربعة خبراء أن ما جاء به هو فعل الوطء الكامل ، كما يجوز اثبات الزنا بالحمل مع استحالة نسبته للزوج ، أو بتحليل دم الطفل .. الخ ما يمكن أن يكتشفه العلم . .

□ في عقـوبة الزنـا

وعقوبة الزنا كما قلنا هي الرجم والجلد ، الأولى بالسنة والثانية بالقرآن قال الله تعالى:
﴿وَٱلَّـٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [1] .

ففى البداية كانت عقوبة النساء هي تحديد الاقامة في المنزل ، مع وقف المعاشرة الزوجية ــ على الأرجح ــ ويقول الشيخ سيد سابق إن العقوبة كانت أولا الايذاء ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ﴾ [2] ثم تدرج ذلك إلى الحبس في البيوت وذهب إلى القول : أى والنساء اللاتى يأتين الفاحشة وهي السحاق الذى تفعله المرأة مع المرأة فاستشهدوا عليهن أربعة من رجالكم فإن شهدوا فاحبسوهن في البيوت بأن توضع المرأة وحدها بعيدة عمن كانت تساحقها ، حتى تموت أو يجعل الله لهن سبيلا إلى الخروج بالتوبة و « الزواج المغني عن المساحقة » .

١ ــ النساء : ١٥ .

٢ ــ النساء : ١٦ .

وفى موضع آخر قال ان الآية يقصد بها اللوطيون والسحاقيات ، وهذا على أية حال يعنى أن اللواط والسحاق اذا كانت قد وردت لهما عقوبة في القرآن فهي الايذاء مع اتاحة الفرصة للتوبة والصلاح فلا يمكن أن يصل الايذاء إلى حد القتل كما افتى البعض اذ ليس بعد القتل توبة ولا إصلاح .

ثم نزلت آية :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾ [1]

وينسب لرسول الله ﷺ قوله عند نزول الآية : « خذوا عني .. خذوا عنى .. قد جعل الله لهن سبيلا : البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » .

وذهب « سيد سابق » إلى أن الله قد جعل لهن بهذه الآية سبيلا يخلصهن من انتظار الوفاة في البيت !! .

والحديث المنسوب لرسول الله يحتاج لتأمل ، اذ لا يمكن أن يكون الرجم سبيلا لخلاص امرأة محددة اقامتها ؟! فالحياة أفضل سبيلا من الموت . والأمل في التوبة أو ثبوت البراءة أكبر مع استمرار الحياة .

اما الموت فبئس السبيل . كذلك فإن الرسول لم ينفذ ما ورد بالحديث فهو صلوات الله عليه لم يجمع الجلد مع الرجم . وانما الذى جمع هو علي بن ابي طالب .

أما « سيد سابق » فيفهم من تعليقه أنه يتحدث عن « الجلد » فهو السبيل المخلص من انتظار الوفاة بالبيت .

---

١ ــ النور : ٢ .

وقد ثار الشك في نفوس المسلمين حول مصدر التشريع فى عقوبة الرجم في صدر الاسلام . مما جعل عمر يقول أو ينسب له القول . فعن ابن عباس قال خطب عمر فقال :

« ان الله بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا . وإنى خشيت إن طال زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلون بترك فريضة أنزلها الله تعالى فالرجم حق على من زنى من الرجال والنساء اذا كان محصنا وإذا قامت البينة أو كان حمل أو اعتراف . وأيم الله لولا أن يقول الناس : زاد عمر في كتاب الله تعالى لكتبتها » .

أما الآية المنسوخة ، تلك التى يتحدث عنها ، فقد وردت عن امامة بن سهل عن خالته العجماء وعن أبى بن كعب : « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة » . وأول ما يتبادر إلى خاطري أن هذه ليست آية قرآنية ولا يمكن ان يقبلها من له حس قرآنى ، ولكنني أقول لكي لا نطعن في شهادة خالته العجماء وأبي بن كعب — وان كنت قد لا حظت أن رواية ابن عباس عن عمر لم تتضمن الآية — اقول إن من إعجازه سبحانه وتعالى أن الآية التى تنسخ تفقد جرسها القرآنى أو موسيقاها ، وليس ذلك على الله بعزيز . أما خطبة عمر فقد كان يمكن أن نحذفها كلية ، لضعف آخرها ، ونبوه عن منطق أمير المؤمنين عمر « لولا أن يقال زاد عمر .. الخ » ! ما أبرده من سبب وأسخفه من قول ، معاذ الله أن يصدر عن أمير المؤمنين . أكل ما يمنع عمر من الاضافة للقرآن ، وإعادة قيد ما نسخ الله ، هو مخافة قول الناس ؟! وأى عجب أن يقول الناس « زاد عمر » إذا أضاف فعلا ، وإلا فماذا يعني قوله « لكتبتها » إلا الزيادة ؟! .

هذه الفقرة لم ترد على لسان عمر ولا ابن عباس ، بل هي زيادة مستزيد لا يخشى أن يقول الناس عنه « زاد في خطبة عمر » .

فإذا سلمنا بجوهر الحكاية فاننا نستخرج منها الآتى :

● الآية كانت موجودة وهى التى تنص على رجم الزانى والزانية ، ولكنها نُسخت أيِ حذفت من القرآن حذفها الله سبحانه وتعالى ، وعلى هذا اجماع المسلمين .. وإن قالت أغلبيتهم بأن حكمها بقى .. ودليلهم فعل رسول الله .

● ونفهم أيضا من خطبة عمر رضى الله عنه ، أن من حق المسلمين ، ان يقولوا الرجم لم يرد في القرآن ، فمن حقنا ابطاله ، لأن عمر بنص الرواية قال : « أخشى إن طال زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلون بترك فريضة انزلها الله تعالى .. الخ » فرغم ثبوت السنة بالرجم ، إلا أن أمير المؤمنين عمر رأى في عدم وجود نص قرآنى ، حجة يستند اليها من يدعو لابطال العمل بهذه السنة . وهو قول شديد الأهمية ويحتاج لتدبر .

ومن ثم حرص على التأكيد بأنها « فرض » من الله سبحانه وتعالى ورد في القرآن ، وإن نسخ النص .

وقد ذهب الخوارج وبعض المعتزلة هذا المذهب الذى خشاه عمر بن الخطاب فقالوا بأن الرجم غير واجب ، وحجتهم أنه لم يذكر في القرآن . وعلق سيد سابق على ذلك بأنه باطل ، وهو يقصد طبعا أن السنة ملزمة ، ولكن الرواية المنسوبة لعمر ، تشير إلى أنه لم يذهب هذا المذهب ، وإلا لا كتفى بتأكيد السنة ، ولم يخف أن يقول قائل بابطال الرجم لأنه لم يرد فى كتاب الله .. وكل الذين يركزون اليوم على الآية التى نسخت ينطلقون من نفس المنطلق .

● ونحن نتساءل عن تفسير لقول على بن أبى طالب رضى الله عنه :

« اجلدها بكتاب الله وارجمها بقول رسول الله » وفى رواية « بسنة رسول الله » وذلك عندما جمع بين الجلد والرجم .

لماذا لم يقل على بن أبي طالب : « وارجمها بحكم الله » ؟! .

لماذا فرق بين مصدر التشريع ، فنسب الجلد إلى الكتاب والرجم إلى السنة ؟!

إلا لأن هذا هو الواقع فعل ، فالرجم لم يرد في كتاب الله ولا أمر الله به سبحانه وتعالى مباشرة وبصريح اللفظ . .

وإذا كانت الآية قد نسخت وبقى حكمها ـــ كما تقول الأغلبية ـــ أكان ذلك يخفى عن على بن أبي طالب شيخ الفقهاء وأولهم باجماع الأمة ؟؟ أو كان يعجزه التعبير عن هذا المعنى وهو سيد البلاغة ؟! .. ولماذا ندور كالدبور وقد وضحها أمير المؤمنين بأوضح ما تكون الألفاظ : « الجلد من كتاب الله والرجم سنة » . .

ولعل هذا هو ما استند إليه بعض الفقهاء في قولهم إن الرجم هو نسخ للكتاب بالسنة.

وعقوبة الجارية نصف عقوبة الحرة قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]

فلو قلنا أن حد المحصنات هو الرجم فكيف ينتصف هذا الحد ؟ ألا يوقعنا هذا السؤال فى حيرة امام النص الواضح ؟! .

وعمر بن الخطاب وعلى بن أبي أبى طالب وابن مسعود والحسنى والنخعي ومالك والأوزاعى وابو حنيفة والشافعى رأوا « أن حد العبد والأمة خمسون جلده بكرين كانا أو ثيبين » . ألا يعنى هذا أنهم قضوا بنصف العقوبة . ؟! .

وذهب بعضهم إلى جلد الأمة مائة جلدة إذا لم تحصن والاقتصار على خمسين اذا أحصنت ؟! لكي ينسجم مع حكم الآيتينن ، الأولى لما ورد بها من تعميم الزانى والزانية فاجلدوهما مائة جلدة . والثانية بالتخصيص ! وهو تناقض من أصحاب هذا الرأى اذ تصبح عقوبة الثيب أو المحصنة أقل من عقوبة البكر ؟! .

على أية حال ، يقى السؤال : اذا حكمتم بأن نصف العذاب على المحصنات = خمسين جلدة ، فإن المنطق والفهم والحساب يجعل العذاب

١ ـــ سورة النساء ـــ الاية : ٢٥

الكامل = مائة جلدة وليس الرجم . وسبحان من لا ينطق وحيه عن الهوى .

ويبقى من حقنا أن نتساءل ، ومن حق الله علينا أن نتفكر : لماذا نسخ الله الآية ؟ .. لماذا نسخ العزيز الحكيم ، آية الرجم من القرآن ومحاها محواً من كتابه الكريم ؟ بل محاها من قلوب الناس ، فإن كان هذا النص الركيك ، فقد نسخ حرفها وجرسها وبيانها ، حتى جاءت غريبة تنكرها اذن المسلم ؟ .

لقد أشبع القدماء قضية حدوث النسخ بحثا .. ألم يحن الوقت لأن نتفكر في سببه ؟! [1] .

* * *

١ ــ مدرس باحدى الكليات هاجمني في كتابه الذى لا يقرأه بالطبع إلا البؤساء الذين سيمتحنون فيه ، وقال إنني « كصحفى » لا يجوز أن اكتب فى هذه القضايا ، وقد اخطأ فى اسم كتابى هذا وقال انني أرمى من وراء ذلك إلى اضعاف الحكم الشرعي تمهيدا لالغائه بدعوى انه لم يثبت بالقرآن » .

ورغم قلة علمه وسوء أدبه فهو نفسه يحس ان عدم ورود النص في القرآن يعطي حجة لابطاله !

□ الجنس من الظاهر

فإذا انتقلنا إلى بحث انواع الجنس الأخرى ، غير الجماع بين الرجل والمرأة ، فإنه تجدر الاشارة إلى ما يقوله علماء النفس ، عن تطور احساس الانسان الجنسى ، أو طلبه للذة الجنسية عبر ثلاثة اكتشافات ، خلال نضوجه البيولوجي والنفسى وهى :

جسده ...

الجنسية المثلى .....

ثم اكتشاف الجنس الآخر ..

ونحن لن نخوض في مناقشة صحة أو خطأ ذلك ، ولا مدى صوابية تعميمه ، فهذا أمر خارج نطاق البحث . ولكن نناقش الأفعال الجنسية المحتملة في كل حالة ، من الحالات الثلاث . وما يمكن أن يترتب عليها من حدود ، وما ورد فيها من نصوص ، وآراء .. ومن ثم ما الموقف الإسلامى منها ..

وأول مرحلة هى ــ كما قلنا ــ استحداث اللذة من ذات الجسد ، ويتبادر إلى الذهن على الفور ما يسميه العرب « جلد عميرة » ، وهو معروف لدى الذكر والأنثى ، ويطلق عليه العلماء « الاستمناء » والتسمية الشائعة هى « العادة السرية » وهى تسمية قبيحة ونحب أن نحدده بأنه : كل حالة قذف يحققها الذكر أو الأنثى

بدون الجماع (الشائع أن الأنثى لا تقذف ، والمقصود هنا ، هو وصولها إلى منحنى النشوة ، كما يحدث للذكر ولو دون خروج سائل ملحوظ ، وهو ما يميز الذكر ، ولكن منحنى الأنثى شديد الوضوح وان كانت دراسات حديثة تشير إلى وجود قذف عند المرأة ، إلا أن هذا ليس المهم . فما نتحدث عنه هو وقوع الاستفراغ .. أو قضاء الشهوة) فإذا تم بين الانسان نفسه ، أى بدون اشتراك طرف آخر ، فهو هذه العادة السرية ، أو الاستمناء أو جلد عميرة .. أما الحالات الأخرى التي يتم بها القذف أو الاستفراغ بمشاركة الطرف الآخر دون الجماع ، فأحكامها متعددة وهى ما تندرج تحت الاصطلاح الاسلامى الجميل « الملاعبة » وبالاصطلاح الغربي الغليظ Oral Sex .. الجنس الجاف .. أو الشفهى ..

وأول ما يرد على الخاطر بالنسبة « لجلد عميرة » أو العادة الجنسية هو سؤال أو بالأحرى نكتة لا يفهمها من قست قلوبهم : إذا كان قد أبيح لنا نكاح ما ملكت اليمين .. فلماذا لا ننكح اليمين ذاتها .. ؟ !

لقد حرمت التوارة ، جلد عميرة أو « الاستمناء » انطلاقا من قصة « اينوس » الذى ضن بمنيه على أرملة أخيه التي تزوجها رغما عنه بموجب شريعة اليهود ، التى تفرض على الأخ ، التزوج من أرملة أخيه ، ولكنه كره أن تنجب منه ، فكان يهدر منيه على الأرض بالاستمناء . فالأصل فى الاستنكار هو اهدار المني . ولا شك أن الاهدار المتعمد مستنكر من ناحية نتائجة الاجتماعية والديموغرافية أو الحضارية خاصة الاهدار المتضمن نزعة عنصرية ، ولكن في حالة المراهقين غير المتزوجين وغير القادرين على الزواج أو الصوم الدائم ، فإن الاهدار محتوم ، ولعل أكثر صوره طهارة أو بُعداً عن الشبهات ، هي حالة الاستكفاء الذاتي هذه ، فلا اهدار ، ولا فاحشة ، لأن الفاحشة لا تتم إلا بالمشاركة أو المجاهرة ، أو بهما معا .. كذلك لو تصورنا حالة زوجية ، يتعذر فيها الاخصاب مثل فترة الحيض ، أو الحمل ، أو مرض الزوجية ، أو المفارقة المؤقتة ، فإن اللجوء إلى جلد عميرة يبقي الرجل عند حدود الحرمات ، ويجنب أبا عميرة نفسه ارتكاب معصية قد تفضي إلى جلده هو .

وقد قال الحنابلة عن الاستمناء : « إذا استمنى الرجل خوفا على نفسه من الزنا ، أو خوفا على صحته ، ولم تكن له زوجة ، أو أمة ، ولم يقدر على الزواج فلا حرج عليه وقال الأحناف بوجوب الاستمناء إذا خيف الوقوع في الزنا . وقالوا لا بأس به إذا غلبت الشهوة ، ولم يكن عنده زوجة أوَ أمة ، واستمنى بقصد تسكينها » .

وقيل مس الرجل ذكره بشماله مباح باجماع الأمة كلها .. اما الاستمناء فلم يرد فيه تحريم ، وأباحه ابن عباس والحسن وبعض كبار التابعين . وقال الحسن : « كانوا يفعلونه في المغازى» ، وقال مجاهد : « كان من مضى يأمرون شبابهم بالاستمناء .. يستعفون ذلك » .

وحكم المرأة مثل حكم الرجل فيه .

انظر كيف كان من مضى أكثر تسامحا ، وأكثر فهما لروح الإسلام ، واكثر قدرة على تفهم احتياجات الانسان ،وكيف يجأر الآن داعية مكبوت من فوق المنابر يحذر الفتيان من العادة السرية ــ وهو مصطلح غربي منحدر من الديانة اليهودية ــ المسيحية ــ وتأمل أنهم أباحوا ذلك في زمن كان يمكن فيه للمراهق في سن الثالثة عشرة أن يمتلك جارية يفرغ معها شهوته ، بينما يحرمونه الآن على شباب يعيش في أوروبا وأمريكا بلا زوجة ولا جارية حتى مشارف الثلاثين ..

وأذهب إلى القول بأن مساعدة الزوجة لزوجها في التخلص من التوتر بغير الوطء ، تجعل العملية أكثر حلالا ، وأقل شبهة ، وأكثر صحية . وإذا كان عليه الصلاة والسلام قد مارس مع زوجاته أو مع عائشة بالتحديد ، أنواعا من الجنس غير الوطء ، مثل حديث كان يأمرها أن تأتزر إذا جاءها الحيض ثم يباشرها ، أى من الخارج ، أو كما ورد في احدى الروايات « كان يفخذ لها » فهذا دليل صريح على مشروعية ما يسمى في الغرب ، « بالجنس الشفهي » ، أى الوصول إلى الاشباع بغير الايلاج أو الوطء . وما وصل الينا من سنته صلوات الله عليه ، ما هو إلا المؤشر ، أو المبشر الميسر على الأمة ، فهو ليس اكثر من رمز ، ولا يتصور أن ترد

الحالات على سبيل الحصر . وليس لنا أن نحرم مالم يحرم علينا ، فكل ما يسبق الجماع أو حتى يحل محله ، مثل التقبيل والمص ، والتفخيذ ، والاستمناء للرجل بواسطة الـزوجة ، واستفراغ الزوجة أو استنزالها بغير وطئها ، كله مباح ، ومستحب . بل قد نهينا عن المواقعة ــ أى الجماع ــ قبل الملاعبة ، وقال الرسول للذى أراد الزواج : « فهلا بكر تلاعبها وتلاعبك » ويذهب البعض إلى أن الملاعبة قبل الجماع فرض بنص الآية : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله ، واعلموا أنكم ملاقوه ، وبشر المؤمنين ﴾ والملاعبة وإن أفضت غالبا إلى الجماع ، إلا أن ذلك ليس ضربة لازب ولا نتيجة محتومة في كل مرة ، فقد تنتهي الملاعبة بالحرث في البحر ، وقد تكون هدفا في حد ذاتها ، دفعا للسأم أو من باب التغيير ، أو لزيادة الألفة والمحبة ، وبحثا عن مزيد من المتعة ، أو في وقت لا تكون الأرض فيه صالحة لا للبذر ولا للحرث فأقبل يا أخي المسلم وأدبر واستمتع كما شئت في حلالك واتق الحيضة والدبر أصلحك الله ..

وهذا ينقلنا لحديث الوطء في الدبر ، وان كنا من الرأى الذى يستنكره .. إلا أننا نحب أن نعرض وجهات النظر المختلفة :

وأولها أن اتيان المرأة في دبرها ، لم تشرع له عقوبة ، ولا عرف عن رسول الله أنه عاقب أحداً عليه ، واختلف الفقهاء حوله ، فمنهم من أباحه ، إذ نسب إلى ابن عمر تفسيره لآية : نساؤكم حرث لكم بقوله : « أتدرى يا نافع فيم نزلت هذه الآية ، قال لا .. قال في رجل من الأنصار أصاب امرأته في دبرها ، فوجد من ذلك وجدا شديدا فأنزل الله سبحانه : نساؤكم حرث لكم » .

وقد يتساءل البعض إذا كان ما ذهب إليه المفسرون الآخرون ، من أن « أنى شئتم » تعني كيف شئتم .. فكيف استنتجوا منها أنها تعني « أي وضع ما عدا الدبر » .. والتفاسير التي وردت حول نزول الآية تطرح أسئلة كثيرة .. فهى تدور حول افتراض أن اليهود يحرمون وطء المرأة من الخلف ، أى وجها لظهر ، وفى حديث عمر : « يا رسول الله ... هلكت .. قال وما أهلكك .. قال حولت رحلي

البارحة » فلم يرد عليه النبي ، فأوحى الله بالآية : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [1] .

أولا : اليهود لا يحرمون وطء المرأة من الخلف ، وان كان آباء الكنيسة في زمن متأخر ، اعتبروا وضع الاستلقاء على الظهر ، وافتراش الرجل لها ، هو الوضع الشرعي ، إلا أن الحقيقة المؤكدة ، هي تحريم اليهود لوطء المرأة في الدبر وكذلك المسيحية ، والفكرة الأساسية هي كراهية اهدار المني . وكراهية البحث عن اللذة غير مقترنة بالهدف الالهى ، وهو التناسل في مفهوم الآباء الأوائل ، ثم تقديس « الوضع الطبيعي » من احترام الطبيعة عند الفلاسفة المسيحيين .. وعلى سبيل المثال فإن تعبير Sodomy في ولاية فرجينيا الأمريكية يشمل بالتحريم ليس فقط اللواط ، بل يشمل أيضا الجنس الجاف أو الوطء في الدبر بصرف النظر عن جنس الفاعل والمفعول معه وقد ادان سان أوغسطين الجنس الجاف وكافة اشكال الجماع التي لا تكون فيه المرأة مستلقية على ظهرها ، وتحت الرجل أو التي لا تحقق الايلاج في فرج الانثى (اللواط تاريخ ص ٢٦) .

إلا أن الاستشهاد باليهود في تفسير الآية والحديث ، يعزز الرأى القائل بأن الحديث كان يدور حول الاتيان في الدبر ولا نرجح القول بأن « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه قصد بقوله « حولت رحلى » أنه غير وضع الجماع ولكن في نفس الموضع .. فالتعبير « حولت رحلي يوحى بتغيير الموضع ، وليس فقط الوضع .. والعرب كانوا يستخدمون شتى الاوضاع ، حتى أن مسيلمة الكذاب في الشعر المنسوب إليه يغرى « سجاحا » المتنبئة بقوله : فإن شئت سنلقاك وان شئت على أربع ..

وعلى أربع هو الاتيان من الخلف ..

ولكن يبدو أن المفسرين استفظعوا نسبة ذلك إلى عمر — حتى قبل التحريم — رغم الرواية التي تقول انه جاء يصرخ : « هلكت يا رسول الله ... » .

١ — (٢٢٣ — البقرة) .

وسكوت رسول الله لأنه لم يجد له من عنده مخرجا ..أو ما يقطع بعدم هلاكه فيبشره به .. بل انتظر حتى يفصل الله سبحانه وتعالى في الأمر !

أيعقل أن يكون كل هذا التحرج من أجل وضع خاص تمت به المجامعة الشرعية في المحل المعتاد بين زوج وزوجته ؟ ! .

ويمكن أيضا القول بأن أحاديث الوطء في الدبر طعن في معظمها فحديث أبى هريرة : « ملعون من أتى امرأة فى دبرها » ورد فى اسناده ابن مخلد وهو « لا يعرف حاله » وحديث أبي هريرة : « من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد » في اسناده أبو تميمة وعنه قال البخاري « لا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة » وقال البزاز : « هذا حديث منكر » وفي اسناده حكيم بن الأترم ، وهو « لا يحتج به » وحديث خزيمة بن ثابت أن النبي « نهى أن يأتى الرجل امرأته في دبرها » في اسناده عمر بن أصيخة وهو مجهول .

ولكن ورد في حديث عمرو بن شعيب قال النبي عن وطء المرأة فى دبرها هو « اللوطية الصغرى » ولاحظ أن اللوطية الكبرى ذاتها لم يشرع لها لا في القرآن ولا السنة حد. كذلك حديث : « أقبل وأدبر واتق الحيضة والدبر » ذكره أحمد والترمذى ..

وقال صاحب « الفقه على المذاهب الأربعة » : اتفقت كلمة علماء المسلمين على من أتى ، امرأته أو أمته في دبرها وترك القبل فلا يقام عليه حد ، حيث لم يرد من الشارع الحكيم حد في هذه الحالات . وذهب الشيخ « سيد سابق » إلى أن الشافعية يرون شبهة في وطء المرأة في الدبر ، الشبهة المبطلة للحد (هذا وليس في القرآن ولا السنة حد لهذا الوطء) قال الشيخ :

« الشافعية يقسمون الشبهة التى تبطل الحد إلى ثلاثة أقسام :

١ــ شبهة في المحل ، أى محل الفعل ، مثل وطء الزوجة الحائض . أو الصائمة أو اتيان الزوجة فى دبرها . فالشبهة هنا قائمة فى محل الفعل المحرم ،

إذ أن المحل مملوك للزوج ومن حقه أن يباشر الزوجة ـــ وإذا لم يكن له أن يباشرها وهي حائض أو صائمة ، أو أن يأتيها فى الدبر ـــ إلا أن ملك الزوج للمحل وحقه عليه يورث شبهة ، وقيام الشبهة يقتضى درء الحد ، سواء اعتقد الفاعل بحل الفعل أو بحرمته ، لأن أساس الشبهة ليس الاعتقاد والظن ، وانما أساسها محل الفعل ـــ وتسلط الفاعل عليه شرعا » (وهذه الفتوى تنطبق أكثر على سائر « المحلات » الأخرى في جسد المرأة ، والتى لم يرد فيها أى نص ج) .

وفى رأينا أن النص الذى يستفاد منه التحريم ليس آية « نساؤكم حرث لكم .. » وإنما « فأتوهن من حيث أمركم الله » وإن تجنب القرآن التحديد الصريح ، إلا أن المعنى مفهوم .. غير أنه لا حد على من فعله لا فى القرآن ولا فى السنة ، بل حتى إن وجد هذا الحد من القياس (عند من سموه اللوطية الصغرى) فهو مدروء بشبهة الملكية للمحل (بين الزوجين طبعا) وهو على أية حال مما يجرى بين المرء وزوجه وما لم يقع فيه الغصب والاكراه ، فلا سبيل لوصوله إلى علم القضاء . وهو فى اعتقادنا فعل غير مستحب ، ليس انطلاقا من مفاهيم التوراة والكنيسة التى لا ترى للجنس سببا أو مبرراً إلا الاخصاب ، فنحن نذهب إلى أن اللذة الجنسية هدف فى حد ذاتها ومباحة شرعا فى الاسلام بلا أدنى شبهة ، ولا تحرج .. ولكن هذا الفعل يعطى المرأة حظا أقل من المتعة التى تستحقها ، والمؤهلة لها بالجماع الفطرى ، وقد تكون له مضاعفات جانبية من الناحية العضوية أو النفسية ، والعامة فى مصر يرددون قولا بذيئا ولكنه يحتوى على قدر من التجربة الصادقة[1] .

أما عن الحيض فأقول إنه يوجد شبه اتفاق عام بين الجنس البشرى على كراهية الجماع فى فترة الحيض ، وربما تكون من حيل الطبيعة التى تريد تركيز الجماع فى فترة الاخصاب ، والحيض ليس منها ، وربما يتكشف العلم عن ضرر غير واضح الآن ، والأخطار التى يحملها الدم تتكشف كل يوم عن أمراض عجيبة ، وآخرها هذا الميكروب الذى يسلب الجسم مقاومته فيصبح سهل المنال ، لأية جرثومة ،

---

١ ـــ وهو قولهم : عايز تغيظها .. الخ ولا حياء فى الدين أو العلم .

تعبث فيه كما شاءت .. أفلا يجوز أن يكون ذلك وقاية للرجل مخافة أن يكون به خدش بسيط فيتلوث بهذا الدم المتدفق وينتقل اليه ما قد يكون بدم المرأة من أمراض أو فيروسات كامنة ؟! أو حتى من أجل المرأة التى لا تكون فى أحسن حالاتها فترة الحيض ، ولا أظن أنه يطيب لها حالة الرجل الغارق فى الدم والملطخ به . .

ولا أظن أن القائلين بشهوة البعض للجماع فى فترة الحيض لما يزعمون من حرارة ولزوجة ، لا أظنهم يقولون ذلك عن صدق أو تجربة وانما عن مكابرة ومعاندة ، ولمجرد شهوة تحدى المحرمات التى تبدو لهم غير مفهومة الأسباب .

على أية حال ، لقد اكتفى القرآن بقوله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[1]

فهو لم يصفه بأكثر من أذى ولم يقل نجس ، أما الحضارات الأخرى فقد أسرفت فى كراهية الحيض ، وبالتالى المرأة فى المحيض ، وتقول « تاناهيل » مؤرخة الجنس « إنه حتى القرن التاسع عشر كان الأطباء الأوربيون يعتقدون أن لمسة المرأة الحائض تُعفن لحم الخنزير ! » .

أما وقد وسع الله عليكما — يا أخى المسلم ، وأختى المسلمة — فى فترة الحيض ، بغير الجماع ، من أسباب اللذة، فلماذا اللجاجة ، وهى فترة أيام ليس الا .. تستمتعان فيها بريادة آفاق جديدة فى الحلال ؟[2] .

* * *

---

١ — (٢٢٢ البقرة) .

٢ — لاحظ أن الوطء فى الدبر ، والحيض ، قضايا اثيرت من جانب المسلمين بسؤالهم للنبي ، وذلك نتيجة احتكاكهم باليهود فى المدينة ، ورب قائل : لو لم يسألوا ما حرمت ! ولكن الايمان يفترض أن السؤال قد طرح بارادته تعالى .

□ اللـواط !

ونتنقل الآن إلى علاقة متفق على شذوذها واستنكارها ، وهي الجنسية مع المثل ، أو الشذوذ الجنسي .. أى ممارسة الجنس مع نفس النوع ، الذكر مع الذكر ، وهو ما يعرف عندنا باللواط ، والأنثى مع الأنثى ، وتسميه العرب « المساحقة » وهو فعل جنسى مخالف للصيغة التى يتم بها تكاثر الأنواع .

وهو عند علماء النفس ، يوجد بمجرد الاشتهاء ، وليس بالضرورة اتيان فعل معين ، ولا حتى وقوع الاتصال أو المصارحة ، انما مجرد الاشتهاء الجنسي لشخص من نفس النوع ، يعني وجود حالة شذوذ جنسي .

ولم يصل العلماء — حتي اليوم — إلى رأى نهائى فى أسباب هذه الظاهرة ، إلا أننا نحاول أن نحصر مجمل الآراء فى هذه التفاسير :

● الذين يرونها ظاهرة طبيعية موجودة في كل انسان تنتظر ظروفا خاصة لتعلن عن نفسها ، فإن لم يتح لها ذلك ظلت مكبوتة فى اللاوعى أو قد تكبت بظروف مانعة من القانون والتقاليد فى المجتمع ، وقيم الفرد ومعتقداته . ولكنها موجودة ، ومهما كتمت تعبر عن نفسها بصيغة ما ، وإن صعب على غير المتخصص اكتشاف صيغ هذا التعبير .

ودليل هؤلاء أنه ما من مجتمع أو حضارة أو ثقافة قد خلت من تلك الظاهرة مع اختلاف الظروف وتباين الأفكار ، سواء فى مجتمع يفرض الحجاب على المرأة ويعقد الاتصال الجنسى العادى أو فى مجتمع يبيح الاختلاط الشديد إلى حد الاباحية بين الرجل والمرأة . ورغم ذلك يوجد الشذوذ الجنسي ، بل لقد لوحظ انه ــ أى الشذوذ ــ ينتشر مع الاباحية الجنسية بعكس ما كان متوقعا ، من الذين نادوا بالاختلاط كوسيلة لمحاربة الشذوذ . فإن به يكشف عن انتشار أوسع للشواذ .

وقد أخذ بهذا الرأى ــ اعتبار الجنس الشاذ ظاهرة طبيعية فى الانسان ــ كلا من فرويد ، وتقرير كنسى الشهير فى الولايات المتحدة فهما يران أن الناس يولدون ولديهم الاستعداد لاشتهاء الجنسين ، ولكن العوامل الاجتماعية تفرض عليهم تفضيل أحد الجنسين .

وهو نفس رأى الاغريق و الرومان . فقد اعتبرها ارستوفان : « حاجة طبيعية » وقال « اكزينوفون » انها « جزء من طبيعة الانسان » وزعم ؛ وتراك « إن عاشق الجمال ينشده حيثما وجده فى الأنثى والذكر »[1] .

وقد زعم تقرير « كنسى » المشهور ، ان ١٣٪ من الذكور البالغين و ٧ بالمائة من البالغات هم من الشواذ أى يفضلون نفس الجنس وان اربعين بالمائة من الذكور البيض وعشرين بالمائة من البنات مروا ومررن بتجربة لواط أو سحاق ، بعد سن البلوغ . إلا أن الدراسين المعاصرين ، وجماعات الدفاع عن حقوق قوم لوط ، يشككون فى هذه الأرقام الآن . ويقولون إن التقرير نشر في الأربعينيات ، وكان المناخ العام ضد اعلان هذا الشذوذ ، لما يجره عليهم من متاعب ويستشهدون بما جرى من مطاردة اللوطيين في الخمسينيات فترة المكارثية . وقالوا ان البعض لا يدرى انه شاذ ، والبعض يرفض أن يعترف بشذوذه ، ولو بخداع نفسه ! والبعض

١ ــ انظر : حوار حول الحب ترجمة هلمس هولد ، الناشر : جامعة كمبردج بالولايات المتحدة عام ١٩٦١ صفحة ٤١٥.

يخشى ان يصرح حتى ولو كان على يقين من شذوذه ويصر هؤلاء على رفع النسبة في الولايات المتحدة إلى حوالى ثلاثين بالمائة ، وهى نفس النسبة المقترحة لغرب أوروبا .

● وهناك من يرونها مرحلة في التطور الجنسي ، فكل انسان طبيعي ، مكون عندهم من شقين ، سالب وموجب ، أو أنثوي ومذكر ، ولكنه بالنمو والنضوج البيولوجي والنفسي ، يتغلب فيه أحد العنصرين ، ويتراجع أو يضمر العنصر الآخر . ولذا تمر مرحلة يشتهي فيها الصبي اللعب مع الصبيان ، ويكره البنات ، أو ينفر منهن ، ونفس الشيء ، بالنسبة للبنات الصغيرات . ثم يجتاز كل منهما هذه المرحلة ليأخذ اتجاهه الجنسي ، الصيغة الشائعة ، وهي الميل للجنس الآخر . ولكن بعض الحالات يحدث لها ما يسمى بالتثبيت ، أو التخلف الجنسي فتظل في المرحلة التي أشرنا اليها ، ولا تطور ، وهؤلاء هم من يسمون باللوطية والسحاقية أو الشواذ جنسيا أو قوم لوط أو gay في المصطلح الغربي الحديث .

ولهذا التخلف أو التثبيت أسبابه العديدة عند أهل هذه النظرية فمنهم من يرجعه إلى خلل في الغدد ، ومنهم من يرجعه الى ظروف البيئة ، أو أحداث خاصة في حياة الفتى أو الفتاة في سن التكوين الجنسي .

فمن يرى أنه خلل في الغدد ، وأمثلتها واضحة فيما نراه من تبدل ملحوظ في الشخصية المصابة ، فهو يحمل اسم ذكر ولكن مظهره العام ومسلكه أنثى ، والعكس كذلك . وهذه حالات مرضية تعالج بعمليات تعديل الجنس . ويجمع العلماء على أن هذا التفسير يتناول قطاعا شديد الخصوصية ، في ظاهرة أكثر شمولا وتنوعا . (وهم الذين عرفوا عند العرب بالخنثى) .

ويرى العلماء أن نسبة كبيرة جدا تكاد تكون الأغلبية من اللوطيين والسحاقيات ، هم من ذوى الاشتهاء المزدوج Bisexual ، أي يمارسون الجنس العادي والشاذ معا ، ومعظم مشاهير اللواط ، كانوا متزوجين . وليس هناك ما يمنع السحاقية من الزواج والانجاب بالطبع ، إلا إن اشتد انحرافها ، إلى حد كراهية الرجال .

وفي الأدب العربي حديث طويل عما يسمونه « نواسي المزاج » نسبة الى بيت شعر سخيف ، منحول الى أبى نواس « الحسن بن هانيء » والذي يقال فيه على لسانه أنه يبيت ما بين جارية وغلام .. الخ .

وبصرف النظر عن نوعية الممارسة ، فإن العلماء ، يعتبرون الممارس ، من اللوطيين واللوطيات اذا كانت نشوته أو نشوتها الحقيقية مع الطرف المماثل ، حتى ولو كانت تستمتع أو كان يستمتع أيضا مع الجنس الآخر .. ولا يأبهون بمن يدعي « أنه سيان » ولا بالحالات النادرة التي يكون فيها الأمر كذلك فعلا .. .

● وهناك من يرى أنها مسلكية دخيلة على النفس البشرية ، يمكن أن تنقرض أو يمكن تفاديها اذا ما أحسنت التربية ، ومنعت مسبباتها ، وهؤلاء يرون أنها مسلك خلقي وأن المجتمع سيبرأ منها اذا ما عزل أو قمع كل شاذ يُعرف ، فلا تنتقل الى الجيل الجديد ، فهي تعلم ولا تولد في الانسان كالتدخين مثلا .. وهذا رأى جمهرة الأخلاقيين ورجال الدين ، وأمير المؤمنين الذي قال : « لولا أن الله ذكر اللواط في القرآن ما ظننت أحداً يفعله » .

ونقول إن الباحثين لم يجمعوا على تعليل علمي وان اعترفوا جميعا بأنها ظاهرة وجدت في كل المجتمعات بنسب متفاوتة من العلنية ، وانها ظاهرة آخذة في الانتشار في الحضارة الغربية اليوم ، الى الحد الذي يجعل المشرعين وعلماء النفس والاجتماع يميلون الى اخراجها من دائرة الشذوذ والتجريم الى الاباحة ، لا القانونية فحسب ، بل وحتى من ناحية القبول الاجتماعي والأخلاقي . فنسبتها تتجاوز الأربعين بالمائة بين الذكور في بريطانيا وأمريكا ، ومعظم الدول الغربية اسقطت عنها العقوبة بين البالغين مع تفاوت في تقدير سن البلوغ ما بين الثامنة عشرة والحادية والعشرين .. ويلاحظ أن سن الجنس القانونية بين الذكر والأنثى يكون دائما أقل ، مما يؤكد أن المشرع حتى في هذه المجتمعات ، ما زال ينظر الى اللواط أو المساحقة ، كفعل غير مرغوب فيه ، يتمنى شفاء المواطن منه وذلك بتأخير سن السماح به . فهم في بريطانيا يسمحون للفتى بالزواج وأن يكون أبا

من سن السادسة عشرة ، ويعطونه حق الانتخاب ، وخدمة العلم في الجيش الامبراطوري من سن الثامنة عشرة ، ولكن لا يسمح له بالشذوذ إلا في سن الحادية والعشرين ، عندما يصبح حالة ميؤسة ، ويصبح المنع ــ في نظرهم ــ سببا لمخالفات قانونية ومدخلا لجرائم أشد ضررا على المجتمع .

ومن وجهة نظرنا : فهي ظاهرة ترجع لكل هذه الأسباب مجتمعة ، وهي تنتشر وتأخذ شكل الفاحشة العامة في مرحلة انهيار الحضارات ، أو بمعنى أدق في مرحلة ازدهار الحضارة وترفها ، واطمئنانها الخارجي ، عندما يصل منحنى الصعود الى نقطة القمة ويبدأ في الانحدار حتى وان استقر فترة ، أو بدا مستقراً عند القمة . وهي أيضا تنتشر أو تبقى منتشرة في المجتمعات التي انهارت حضارتها ، وأتيح لها لأسباب غير طبيعية ، وسائل الترف ، مع فقدان القوة الذاتية ، وفقدان الرغبة والقدرة على الخروج من مرحلة التخلف .

واذا كنا سنشرح نظريتنا بالتفصيل ، إلا أنه تجدر الاشارة الى رفض « جون بوزول » لهذا التفسير الحضاري ، فهو يقول ان اللواط موجود في كل العصور والمجتمعات ، وان الفارق هو فقط ، في اباحته ، أو تحريمه . ويرفض القول بأنه يظهر في مرحلة الانهيار ، فيقول : إنه خلال القرنين الأولين من عمر الامبراطورية ، عندما كانت روما في قمة القوة والنفوذ ، انتشرت كتابات الاغريق اللوطيين . ونحن لا نقول خلاف ذلك . ان الظاهرة لا تشيع بعد الانهيار . ولا هي من نتائج الانهيار ، بل هي من علامات الافول ، ومن اسباب الانهيار . وهي تبدأ في الظهور عندما يصل المنحنى ــ كما قلنا ــ الى أعلى نقطة . وقد يبقى المنحنى ثابتا في الظاهر ، وتبقى الدولة أو الامبراطورية ، أو الحضارة المعنية متربعة على القمة ، لعدة قرون ، لسبب بسيط ، أنه لا توجد حضارة أخرى قادرة على ازاحتها ، أو جاهزة لقلبها . ولكن الحضارة السائدة ، تتوقف عن النمو والصعود ، ومن ثم تبدأ رحلة الانحدار ، بظهور عوامل الانهيار ، وممارسات الترف ، ويعكف مترفوها على الفسق فيها ، حتى يأتي أمر الله في شكل قوة انسانية اكثر خشونة واكثر تقشفا . وظهورها عند وصول الحضارة الى ذروة تألقها يخدع الدارس ، ويجعله

يظن أنها علامة أو حتى سبب التقدم ، وهي حقا قرينة على التقدم ، ولكنها في نفس الوقت مؤشر الانهيار .

ففي مرحلة الصعود الحضاري ، تنتشر القيم التي تحقق القوة ، فالعربي مثلا في الأمة الحبلى بالميلاد الحضاري ، كان يفخر بأنه والد عشرة وأخ لعشرة وعم عشرة ، وخال عشرة .. وكانت مقاييس الجمال هي التي تنطبق على الأنثى الولود ، القادرة على حسن تغذية وليدها : كبر الصدر وكبر العجيزة .. ذلك ان الصعود الحضاري ، يتطلب الكثرة العددية ، ويغلب مصلحة الأسرة على حساب الفرد، والمجتمع على الأسرة .. ومن ثم يندفع الرجال الى الزواج للتكاثر ومباهاة الأمم . ولا ترى المرأة لها من مهمة أشرف ولا أسمى من انجاب وتربية محاربين وبناة ، عناصر مباهاة الأمم ، ولو كان هذا على حساب متعتها الفردية ، ذلك ان سعادتها القومية والحضارية تغطي ، وتعوض متاعبها الفردية ، بل إن متعتها الفردية تتحقق من خلال هذا التفوق الحضاري .. ولا توجد حضارة صاعدة ، مارست تحديد النسل أو أحبت المرأة العجفاء العاقر ، او استغرقتها المتع واللذات الفردية ـــ أو كما في موضع بحثنا ـــ أباحت اللواط ، أو تفشت فيها هذه الظاهرة .. .

● **أبدا ...**

فإذا ما انتصرت الحضارة على تحديها ، وحققت أمنها القومي ، وبدأت في الاستمتاع بنتائج بنائها الحضاري ، تغيرت المقاييس ونما الشعور الفردي على حساب المسئولية الجماعية ، ويتضخم احساس الفرد بذاته ، وحرصه على زيادة تمتع هذه الذات .. وتتراجع الرغبة الاستشهادية ، أو الاستعداد للتضحية ، على مستوى الجيل الواحد ، وعلى مستوى الأجيال ، فالجيل الحاضر لا يعنيه ولا يريد التضحية من اجل الجيل القادم .

يسود شعار : أنا ومن بعدي الطوفان ، أو ما يتردد في الغرب الآن « هذه حياتي » وهي « حياة واحدة » فلماذا أضحى بها من أجل جيل آخر .. .

لا يحبون الادخار ، ولا التقتير على النفس لاعطاء مستوى أعلى من التعليم أو الحياة لأطفالهم إلا في أضيق الحدود ، أو الى الحد الذي لا يسبب لهم متاعب اكبر من المتع التي يتطلعون اليها .. ومن خلال اقناعهم بأن الانفاق على الاولاد « استثمار » جيد لأموالهم .. بل يتحولون الى كراهية الانجاب ، فيلجأون الى تحديد الأسرة ، وتصبح الأسرة النموذجية التي بها « ولد وبنت » لكي لا ينخفض مستوى معيشتهم ، ولكي لا تتبدد حياتهم في تربية الأولاد ، وتكف الأمهات عن ارضاع اولادهن ، لأن الرضاعة تفسد الثوب وجمال الصدر . وتنقلب المقاييس بما يخدم هذه الاهداف ، فتصبح المرأة الولود مذمومة ، والعائلة الكثيرة الأفراد غير حكيمة ، بل حتى مقاييس الجمال تتغير فيبدأ الاعجاب بالمرأة النحيفة التي لا تستطيع الحمل إلا بصعوبة ، ولا صدر لها لإرضاع ابنها أو « الغلامية القد » .. ثم تأتي الخطوة الطبيعية نحو عشق « الغلام » الذي لا ينجب ولا يحمل مسئولية عائلية ولا قومية ولا حضارية .. أي الفردية في قمتها .. ومن هنا فنحن نراها ظاهرة انقراض حضاري .

« ظبي يرق الماء في وجناته ويرق عوده
ويكاد من شبه العذا رى فيه أن تبدو نهوده

الحسن المهلبى

وكان المخنثون موجودين ومعروفين في الجاهلية ، واستمروا لفترة على زمن رسول الله في المدينة وكانوا يدخلون على النساء ويقومون بدور الخاطبة .. ثم اختفى حديثهم صدر الاسلام ليظهروا في ظل الدولة الاسلامية الأولى في شكل الفنانين أو المغنيين كما هو الحال الان في الغرب فأول مغن هو " طويس " كان مخنثا يحلي يديه ويلبس ملاءة مصقولة ويضرب بالدف . وكما نشاهد الآن في الغرب تنتقل الموضة أو الانحراف من الفنانيين للشباب ويشتهر بها المحترفون ويتغنى بها الشعراء بل تصبح صفة من صفات الطبقة الحاكمة المترفة وعلامة على الارستقراطية يقول الشاعر الفاجر :

بأبي ظبي كلفت به واضح الخدين والفلج
مر بي في ذي خنث ... ...[1]

وقال أبوسويد :

كان لحبيب بن أوس حمار وحصان وغلام مؤنث فإذا نزل أخذ الحمار ينهق والغلام يَمْجُن في كلامه »[2].

وكانت مراوح الخلفاء مكتوب عليها :

أنا في الكف لطيفة مسكني قصر الخليفة
أنا لا أصلح إلا لظريف أو ظريفة
أو وصيف حسن القد شبيه بالوصيفة[3]

ونحن مرة أخرى نخالف « جون بوزول » الذي رفض القول بأن اباحة الشذوذ تؤدي الى انقراض السكان . لأن هذا الرأي ــ يقول ــ يعني التسليم بأنه لو أبيح الشذوذ لانصرف اليه الجميع وتركوا الجنس الطبيعي ! .. .

ونقول إن الاتهام والدفاع كليهما فيه مبالغة شديدة ، فصحيح ستبقى النسبة الكبرى تفضل الجنس الطبيعي ، فحتى في سادوم وعامورا احتاج الأمر لغضبة إلهية لكي ينقرض السكان . وصحيح أن نسبة كبيرة من الذين يمارسون الشذوذ ، اذا استحال عليهم ذلك سيتجهون الى الجنس المعتاد ، ومن ثم يتناسلون ولو على حساب لذتهم الحقيقية .. إلا أن انتشار هذه الظاهرة تكمن فيه رغبة انتحارية ، رغبة في الانقراض ، كراهية الاستمرار البيولوجي ، ومن ثم يتم تصريف الجنس بلا حرث ولا زراعة ، وحتى الزارعين يقل انتاجهم ، وفي المجتمعات التي ينتشر فيها اللواط كظاهرة حضارية ، تنخفض نسبة تزايد السكان ليس بسبب انصرافهم

١ ــ (العقد الفريد ٧) .
٢ ــ (العقد الفريد ٨ ص ١٣٠) .
٣ ــ (الأغاني ٧) .

للشذوذ ، ولكن كمناخ عام . وقد اشارت بعض الدراسات الى انتشار ظاهرة الشذوذ الجنسي في مستعمرات القردة اذا ما ازدحمت بسكانها وضاق المكان بالقردة ، أو شح الطعام أو حتى ساد القلق بين الذكور .. .

والحضارات عندما تصل الى القمة وتبدأ في الانحدار يكون قد توفر لها الأمن الوطني ، أو على المستوى الجماعي ، ولكن ينتشر فيها القلق الفردي ، انظر مثلا علو نسبة الانتحار في بلاد آمنة من الناحية الوطنية أمناً شبه مطلق مثل السويد والولايات المتحدة ، وانعدام هذه الظاهرة تقريبا في اللاجئين الفلسطينيين أو الكمبوديين .

باختصار ان حضارة صاعدة يصبح شعارها : الفرد في سبيل المجموع « وزرعوا لنأكل فنزرع ليأكلوا » ومن « كانت بيده فسيلة وقامت عليه الساعة فليزرعها » اما الحضارة الآفلة فشعارها « غد بظهر الغيب واليوم لي » « لا تشغل البال بماضي الزمان ، ولا بآتي العيش قبل الأوان .. واغنم من الحاضر لذاته .. » .

وفي الحضارات المنهارة فعلا : « بيت أبوك خرب خذ لك قالب » .

فإذا انتقلنا الى التطبيق ، نقول انه لا توجد أية اشارة لا من قريب ولا من بعيد في التاريخ الفرعوني القديم للواط ولا أزعم أنني قد درست اسباب ذلك ، أو أن لدينا ما يكفي من نصوص لاصدار حكم قاطع في هذا الشأن . ويمكن القول أن التاريخ الفرعوني ، كان تاريخا شديد « الرسمية » وان الكتابة لم تكن ظاهرة عامة أو شائعة ، ومن ثم فإن معظم الآثار المكتوبة التي وصلت الينا تدور أساسا حول تاريخ الفراعنة ملوك البلاد والآثار ، « والأمناء على تاريخها » . وهؤلاء بالطبع لا يثبتون في تاريخهم إلا ما يعتبرونه مشرفا ، وهذا في حد ذاته ـــ ان كان مقبولا كتفسير ـــ يعني ـــ على الأقل ـــ استنكار الظاهرة ، من جانب المجتمع ، فهي سوأة تخفى ولا يتفاخر بها ! ولكن يلاحظ أيضا أنه لا توجد حتى قصص غرام في تاريخ الفراعنة المكتوب ، مثل الاغريق ، بل وحتى التوراة .. وكل الفراعنة نراهم في وضع رب الأسرة المثالي ، كالمرشح الأمريكي ـــ بجانب زوجته ويحيط

بهما الأطفال . وقد يقال : وماذا نتوقع من الصورة الرسمية التي ينشرها البلاط الملكي ؟ ولكن حتى الأساطير الفرعونية عن الآلهة تلتزم بالعفة ، فلا شذوذ بين الآلهة ولا مشاعية جنسية كتلك التي نراها في ديانات اليونان والرومان . فقصة أوزريس التي تعتبر محور الدين الفرعوني في مصر القديمة ، هي قصة وفاء زوجة لزوج محب ، قصة ، تعتز بها وتحرص على تدريسها ، أية مؤسسة أخلاقية . كما أضيف ، أن جميع تماثيل وصور الآلهة والفراعنة والرجال والنساء العاديين محتشمة مغطاة بالثياب ، ولو على الأقل حول العورة . بعكس تماثيل ورسومات الاغريق التي تحرص كلها على ابراز عورة الذكور بالذات ، مع أن المناخ كان يفترض العرى في مصر الافريقية ، والكساء في اوروبا الأكثر برودة !! كما لا توجد في ملايين الاواني والمزهريات الفرعونية التي عثر عليها مثل تلك المزهريات التي سجلت الفعل الجنسي في شتى الاوضاع او التخيلات ، عند الرومان واليونان والهنود وغيرهم[1] . فهناك اذن موقف مختلف جذريا من المسألة الجنسية . . .

وقد يكون السبب أن المجتمع المصري ككل لم يمر بمرحلة التفسخ الحضاري المترف فعندما وصل الى قمته تعرض للغزو الخارجي والاحتلال والدخول تحت سيطرة حضارات أخرى . وهو تفسير ضعيف لا نصر عليه ، ثم ان قلة الوثائق المتاحة تجعل طرح تفسير لهذا الرأي ، مجرد تخمين ، وقراءة في المجهول ، لولا أن لدينا — لحسن الحظ — النص القاطع الذي يبرىء ساحة الفراعنة ، وهو قوله تعالى لقوم لوط : ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[2] والفراعنة سبقوا قوم لوط في الوجود وهذه براءة من الله .

أما الاغريق فقد مارسوه ، أو على وجه الدقة ، مارسته الطبقة الحاكمة ، وهذه هي التي وصلنا تاريخها ، فلم تكن هناك وسائل لنقل الكثير عن سلوك العامة .

١ — أشار أحد القراء الى وجود مزهريات من هذا النوع ولكن من عصر البطالمة .

٢ — العنكبوت : ٢٨ .

ونحن على يقين من انتشارها بين الخاصة بشكل علني[1] ومقبول . حتى أن الدراسات الحديثة — وربما ببعض المبالغة — لا تكاد تستثني أحدا من المشاهير أو الفلاسفة أو الآلهة في حضارة الاغريق ، من ممارسة الشذوذ الجنسي . وكثير من الألفاظ العلمية المستخدمة حاليا لوصف أنواع الشذوذ الجنسي مقتبسة من القاموس الاغريقي .

وقال المؤرخون ان اسبرطة اشتهرت بالسحاق ، وأثينا باللواط ، وكانت هناك بلدة اسمها « لسبوس » ، منها اشتقت الكلمة الدارجة الآن في عصرنا هذا « Lesban » لوصف المرأة السحاقية[2] وكلمة Catamiti وتعني لوطيا سلبيا مشتقة من اسم شاب إغريقي اغتصبه « زيوس » كبير الآلهة .

---

١ — Christianity, social tolerance, and Homesexuality. By: John Boswell .

وقد بذل مؤلف هذا الكتاب — المذكور اعلاه — جهدا غير مبرر لاثبات ان الطبقة الراقية كانت تمارس الشذوذ مع الطبقات الفقيرة أو العامة . ويستشهد « لقد نام الأباطرة مع ممثلين ، والملوك مع الجنود ، والسناتور مع العبد » . وهذا صحيح ولكنه لا ينقض النظرية التي أخذنا بها والمستمدة من قوله تعالى : ﴿ أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ﴾ فالطبقة الحاكمة أو المترفة هي التي تشرع القيم وتسن الاخلاق للمجتمع ، فهي التي تبدأ المجاهرة . ولكن هذا لا يعني أنها تمارس ذلك داخل اطارها وحدها فلو فعلت لما كانت المجاهرة المدمرة ، وكانت الفاحشة محدودة ، ولكن من عوامل الانهيار التي يتم بها القانون الالهي ، أن تفقد تلك الفئة احترامها ومهابتها لدى العامة وهذا لا يكون إلا بوصول العامة الى مخادعها ، والاطلاع على فضائحها . والعامة بدافع الرغبة في المال والسلطة يستجيب بعض أفرادها لاغراء مضاجعة الطبقة الحاكمة . ولكن اللواط لا يصبح ظاهرة عامة بين العامة إلا في حالة سادوم وعامورة .. حتى في أوروبا وأمريكا اليوم فإنها اكثر شيوعا بين المثقفين ، والبروليتاري الذي يمارسها يفعل ذلك كمظهر للتحضر وللاندماج في الطبقة المثقفة ، التي لا تستطيع الاكتفاء الذاتي ، ولا تصبر عليه ، بل تحتاج دائما الى دم جديد من الشعب .

٢ — اللواط عند العرب هو ما يكون بين ذكرين من جنس أما المساحقة فلم ترد في القرآن ولا في قصة لوط لأن الآية صريحة في وصف جريمتهم إنكم لتأتون « الرجال » شهوة . ولكن اللغة العربية تعني بالمساحقة ما يكون بين المرأتين من فعل جنسي .

تشرفنا ! .

وكان اللواط من خصائص الطبقة الحاكمة ، والآلهة ، أو من علامات النبل وامتيازات التفوق ، وليست بمفهوم الشذوذ المرضي .. فمعظم النبلاء كانوا يجمعون بين زوجة وغلام معشوق ، وان وجدت حالات غلب فيها الشذوذ مثل أفلاطون الذي لم يتزوج حتى مات في سن الثمانين . ووضع نظرية « الحب الأفلاطوني »[1] في حب الغلمان[2] والغريب أنهم كانوا يعلموننا أن الحب العذري بدا عند أفلاطون ، وهو كما ترى حب الغلمان ، أما الحب العذري الحقيقي فهو حب قيس وليلى وجميل وبثينة .. حب صحراء نجد .. حب رجل لامرأة ، ولكنه لا يصل الى الجنس لأسباب خاصة بهما .

وأفلاطون على أية حال (٤٢٧ ق. م ــ ٣٤٧ ق. م) تعرف بسقراط وهو صغير .. وسقراط مشهور باللواط ، متهم بافساد الشباب . وأعدم عام ٣٩٩ ق.م .

وقد دافع أرسطو عن اللوطين ووصفهم بأنهم يكونون افضل الرجال عندما يكبرون ! .

وقد عبد الاغريق « هرقل » بسبب شجاعته وقوته وفحولته ، فقد فض بكارة خمسين عذراء في ليلة واحدة ، ومع ذلك كانت له علاقة جنسية مع ابن أخيه Tolaus ، كما سقط في حب هيلاس الجميل ذي الشعر المجعد المرسل على جبينه[2] وكان له عشرون عشيقا ! .

وقد وضع ستارتون دليلا لمراحل الاثارة في الغلام « إن زهرة غلام في الثانية عشرة مرغوبة ، ولكنه أحلى في الثالثة عشرة واشهى في الرابعة عشرة ، ويزداد

---

١ ــ وقد علق سيسرو على الحب الأفلاطوني للغلمان فقال :
إذا كان مجرد حب عذرى فلماذا لم يحب أحد غلاما قبيحا أو شيخا جميلا (من كتاب الاله المحبوب . قصة هارديان وانطونيوس بقلم رويستون لا مبرت) .

٢ ــ Sex in history .

سحره أو جاذبيته في الخامسة عشرة ، أما السادسة عشرة فهي السن المقدس ! » .

وفي تاريخ اليونان إن الديموقراطية في أثينا ، أقامها لوطيان عاشقان ! .. .

وهناك روايات عديدة عن شذوذ سقراط ، وقد أعدم بهذه التهمة ولكن مغامراته مع تلاميذه ، بقيت لنا ، وعشق هؤلاء التلاميذ له ، واضطجاعه على فراش واحد مع أحد التلاميذ ، ومفاجأة بقية الطلبة له ، وغيرة الذي كان يعشقه بينهم ، الى حد الصياح في وجه أستاذ الفلاسفة « إنك تقلب الدنيا رأسا على عقب لتجلس بجانب الفتى الجميل » ورد سقراط الهادىء أو البارد دائما ـــ كما عرفنا من محاوراته مع زوجته ، وإن كنا نتعرف الآن على سبب جديد وأكثر جدية لخلافاتهما الزوجية ! .

رد سقراط : « ان حبي لهذا الفتى يجلب لي المشاكل فهو لا يسمح لي بأن ألقي نظرة أو لمحة على غلام جميل فضلا عن أن أكلم أحدا غيره .. إنه يغار على الفور . وأخشى أن يغتصبني هذا الفتى في يوم من الأيام » .

ولم تكن مخاوفه من باب التمنيات ـــ كما يقولون ـــ بل لقد حاول فعلا تلميذه « Alcibiades » اغتصاب سقراط في الفراش .

وان كانت معظم الروايات لا تشير صراحة الى ممارسة فعلية ، إلا أن عشق الغلمان كان شائعا ، بل لعله كان من مميزات الطبقة المثقفة ! [1] .

---

١ ـــ وهذا تفسيرنا للواقعة التي وردت في تاريخ المتنبي ، عندما بعث أحد معاونيه يستأجر مومسا مذكرا مشهورا في عصر المتنبي ، واحضره سكرتير المتنبي فعلا ، ولكن الشاعر الكبير ـــ وفقا للرواية ـــ ترك الغلام في الفراش ينتظره ، وظل هو طوال الليل يكتب ، ولم يرفع نظره اليه (كما روى الغلام للسكرتير الذي روى القصة للعالم ـــ انظر كتاب الأستاذ محمود شاكر عن المتنبي) . ولا يمكن أن نجد تفسيراً لذلك إلا رغبة المتنبي في أن يشاع عنه أنه قضى ليلة مع هذا الفاعل المشهور . وقد حدث وشاعت القصة ، وأثبتت في التاريخ . فإذا عرفنا انه كان عصرا شاع فيه عشق المذكر في الأدب ، ولا نكاد نجد بيتا واحداً للمتنبي يوحي بذلك . كان لنا=

أفلاطون كان عشيق الكس اوف ديون وخلال ثلاثة اجيال كانت رئاسة الاكاديمية التي اسسها تنتقل من عاشق الى عشيقه .

ارسطو كان عاشقا لتلميذه Hermias الذي خلده في قصيدة أورفيدس الكاتب المسرحي كان عاشقا للشاعر اغاثون Agathon فيداس النحات كان عاشقا لتلميذه Agoracritus .

ويبدو أنها كانت قد تفشت على نحو ، أثار المثقفين ذاتهم فنجد أرسطو يسخر من انتشارها في الطبقة الحاكمة ، وتقبلهم لها كرمز من رموز النبل ، فيقول أرسطو على لسان أحد النبلاء يعاتب صديقا : « أيصح يا ملعون أن يأتيك ابني من الملعب ، خارجا لتوه من الحمام ، نظيفا منتعشا نشطا ، فلا تغازله ، ولا تقبله ، ولا تحتضنه ولا تلعب في خصيتيه .. وتدعي مع هذا ، أنك أحسن صديق للعائلة ؟! » والا حنا مش قد المقام ! .

والسخرية واضحة ، والصورة كاريكاتورية ، ولكنها تعكس على الأقل تقبل هذه الطبقة لذلك السلوك . وإن لم تصر عليه علنا كما وضعه أرسطو . الذي زعم أن نسبة الشواذ في عصره تعادل نسبة الطبيعيين .

وهناك مزهريات وأواني شراب ، وصلت الينا ، عليها رسوم اللواط ، سوء بالايلاج أو الملامسة ، وما بين ذلك وذاك .. ومعظمها بين رجل وغلام مراهق .

ويقول هانزليخت : « ان فكرة الاغريق عن الجمال مذكرة تماما حتى الفتيات كانت ترسم أو تنحت بملامح غلامية » .

ويؤكد نفس المؤلف :

« ان الاغريق كانوا يشجعون الشذوذ في مرحلة قصيرة في حياة فتيانهم منذ

=الحق في استنتاج أنه أراد تأكيد التذوق ، والاعتذار عن خلو شعره من هذا الباب ، لينسجم مع قيم عصره . ونستغفر الله من سوء الظن وخطأ الفهم . انه التواب الرحيم .. .

أن يقص شعره في السادسة عشرة ، فخلال التدريب في الجيش حتى يصبح مواطنا كاملا . ثم يفترض فيه ان يتزوج وينجب ، على أنه يفترض ايضا انه في مرحلة متقدمة يأخذ مراهقا تحت حمايته ويكرر الدورة » .

وقال ان لفظة Pederasty بالانجليزية وهي التي تعني عشق الغلمان مأخوذه من paiderastia وجاءت من Pais وتعني ولد و erastia وتعني عشق . ومعناها حب الراشد adult لغلام في سن البلوغ » .

ويقول جون ادينغتون : « ان اللواط نشأ في معسكرات الجيش اليوناني » ص ٢٥ .

وعند سوفوكليس أن « أوديب » ملعون لأن أباه أحب غلاما . وفي تاريخ الاغريق قتل أكثر من سياسي « على يد غلمان رفضوا الاستجابة ، أو بدافع الغيرة لهجرانهم الى غلمان اكثر غلمنة » . « وكان الشاعر Agathon يستقبل ضيوفه وهو في زي النساء وبالمكياج » .

وكما تقول مؤلفة « الجنس في التاريخ » فإن اللواط وجد في سائر المجتمعات حتى التي توفر فيها المومسات أو الجواري ، وملك اليمين . وأن معظم المجتمعات حرمته أو تجاهلته إلا اليونان ، وحضارة المايا في أمريكا الجنوبية ، فقد حاولتا تنظيمه . وكان البغاء المذكر موجودا في اليونان ويمكن استئجار الغلمان ، بالساعة أو الليلة . ويصل الأمر في بعض الأحيان للقضاء . وقد قضى المشرع « سولو » باعدام من يضبط في مدرسة أطفال تحت سن البلوغ . كما حرم ممارسة اللواط بين عبد وغلام ولد حرا[1] . أو إرغام الفتيان على البغاء . وزعم أرسطو في كتاب

---

١ ـــ ولكن العكس كان مسموحا به بالطبع ، فقد قبض على رجل في غرفة متزوجة ، فنجا من العقوبة باعلانه انه انما تسلل من أجل غلام عبد . ويرى « جون بوز ول » ان سولون حرم اللواط على العبيد باعتباره ترفا يختص به السادة الاحرار . وفي الأدب العربي في العصر العباسي ، واواخر الاندلسي نجد تعبير غلام « مؤاجر » وهو الذي يستأجر لفعل الفاحشة نظير أجر . وهو = المومس المحترف بلغة العصر الحالي

الجمهورية : ان اللواط نظم في جزيرة كريت . بواسطة الدولة كوسيلة لتحديد النسل . كذلك عرفت السحاقيات ، وشاع استخدام الآلات التي تشبه عضو الرجل : « قطعة من الخشب مغطاة بالجلد وتدهن بزيت الزيتون قبل الاستعمال » .

وزعم أفلاطون أن « تحريم اللواط يرجع الى الشر في قلوب المشرعين ، والطغيان من الحكام والخنوع من جانب المحكومين . وأن البرابرة والشعوب المستعبدة يعتبرونها مخجلة أو عارا مثل الفلسفة والرياضة ، وهكذا كان طغاتنا الى أن حطمهم حب اريستوتيون وهارموديوس » — وهما كما أشرنا — مؤسسا الديموقراطية اليونانية ! كذلك كتب Philostratus الى غلام رافض ، « إن رفضك يثبت أنك لست من اثينا ولا اسبرطة ، ولابد أن تكون من بلد بربري غير متحضر » .

ولاحظ أنه مع اختلاف الموقف ، فإن وجهتي نظريهما تتفقان مع تحليلنا ، وهو أنها ظاهرة ترف في مجتمع « متحضر » .

وقد يقال إن شيوع اللواط بين الاغريق سبق امبراطورية الاسكندر[1] ، مما ينقض نظريتنا عن الانهيار الحضاري . والعكس هو الصحيح ، لأن امبراطورية الاسكندر ، كانت المد العسكري لحضارة وصلت ذروتها ، كانت تعبيرا عن تفوق الحضارة الأغريقية ، الذي أنجز فعلا في مرحلة التطهر ، وقد زال التفوق العسكري فور موت الاسكندر ، وان استمرت الحضارة عدة قرون بعده ، وكانت هي الحضارة العالمية الى ظهور الرومان . ومن ثم فنحن نتحدث عن عملية نشوء الحضارة ، عملية الخروج من شرنقة التخلف والتبعية الحضارية ، هذه هي المرحلة التي تحتاج للتطهر والروح الجماعية ، ولكن الحضارة بعد أن تجتاز هذه المرحلة ، وتبدأ في العطاء بل وتبدو أكثر تحضرا وانتاجا وثقافة من مرحلة النشوء[1] . هذه المرحلة هي التي نعتبرها مرحلة الانهيار الحضاري .

=وفي روما « كان في كل بيت عبد غلام لاستعمال المراهقين من أهل البيت قبل زواجهم (انظر المسيحية واللواط ص ٧٨) .

١ — كان للاسكندر غلامه وقد غرق في النيل واسمه هكتور .

تماما كالكائن الحي ، فهو يصل الى ذروة نضجه وقوته في الأربعين مثلا ، ولكن هذه هي بالذات ، سن الانحدار والاتجاه نحو الموت (انظر دراستنا عن المواجهة الحضارية) ونفس الظاهرة سنجدها في حضارة بابل عندما وصلت الى الذروة وأصبحت لديهم واحدة من عجائب الدنيا ، فأباحوا الشذوذ الجنسي بكافة أنواعه . واندثرت حضارتهم .

كما توجد بعض الشواهد على انتشارها في الحضارة اليابانية والصينية في عصور الانهيار فالقس البوذي في اليابان في القرن العاشر كان يحيط به عدد من الغلمان يطلب منهم « الحب والاخلاص » ثم تطورت بين المحاربين الى قسم بالاخلاص مدى العمر وفي القرن السابع عشر تحولت الى لواط (الجنس في التاريخ) .

وقطع امبراطور الصين آى تي ، أكمامه لكي لا يجذبها من تحت رأس حبيبه تونغ هسين المتوسد على ذراع الامبراطور[١] .

وقبل أن ننتقل الى الرومان نشير بسرعة ، الى الشعب الذي اختار أن يكون خارج التاريخ أو المجرى العام للحضارة البشرية ، وإن كان قد بذل جهدا صاخبا في لفت الأنظار اليه ، وكان لديه من الكبر ما جعله يدعى أنه هو التاريخ ، والبشرية على هامشه .. ونعني اليهود .

حرم اليهود اللواط تحريماً شديداً فاق موقف أي حضارة أخرى[٢] فقد نصت التوراة على قتل الفاعل والمفعول به ودمهما عليهما[٣] ونلاحظ ان المجتمع اليـهودي « المستقل » ظل محاربا ومتوترا متوجسا طوال تاريخه (بحكم اصراره

١ ــ المسيحية واللواط ص ٢٧ .

٢ ــ مع ان « جون بوز ول » يزعم في كتاب المسيحية والشذوذ الجنسي . ان « التسامح الديني والعنصري ، وقبول اللواط في المجتمع ، يسيران جنبا الى جنب وان المجتمعات التي تضطهد اليهود هي التي تحرم اللواطة وتشتد في قسوتها على اللوطيين والعكس بالعكس ، ويعتبر النازية أوضح مثال لذلك » . والملاحظة صحيحة ولكن التفسير يحتاج لوقفة طويلة جدا ..

٣ ــ وربما كان هذا هو اساس فتوى بعض الائمة من المسلمين .

على عدم الاندماج في محيطه) ومن ثم لم يتعرض لظواهر انحلال الحضارات ، بعد اكتمال نموها . بعكس اليهود في المهجر إذ يضمون أعلى نسبة من اللواط المعلن [1] ، وتعتبر بعض الدراسات الحديثة ، أن التوراة هي مصدر كل المواقف والتشريعات المعادية للشذوذ الجنسي بسبب قصة سيدنا لوط مع سكان مدينة أو مدينتي « سادوم وعامورا » وقد اشتق فعل اللواط في اللغة العربية من اسم سيدنا « لوط » رغم معارضته الشديدة لهذا الفعل وكونه هو وحده ـــ في المدينة ـــ الذي لم يمارسه صلوات الله عليه . أما في اللغات الاوروبية فإن الفعل **Sodom** أي الاتيان في الدبر مشتق من اسم مدينة لوط .

ويذهب بعض الكتاب ان التشدد اليهودي في ادانة اللواطة هو مظهر من مظاهر مقاومة الحضارة الاغريقية ، واوضح مصدر لذلك ـــ كما يقول كتاب اللواطة / تاريخ ـــ هي كتابات يهودي مصري هو فيلو جيودايس .

وسنعود لحديث سيدنا لوط في الحديث عن المسلمين .. وننتقل الآن الى الرومان بعد الاغريق جاء الرومان ، ويزعم '' نورمان كانتون '' ان الشذوذ الجنسي كان سبب انهيار الامبراطوريتين الرومانية والعربية ولا توجد شواهد ولا حتى تلميحات عن وجود هذه الظاهرة في الأدبيات الرومانية ، خلال سنوات تحول « روما » من قرية مجهولة الى عاصمة امبراطورية عالمية .. سنوات الصراع من أجل البقاء ، ومن اجل فرض الذات الرومانية على العالم .

ويقول كانتون : « ولو أن اللواط وجد في زمن الرومان ، ولكن من الواضح من سجلات التاريخ انه في عصر الجمهوريين كان يعاقب عليه بشدة ، وكذلك في نهاية الجمهورية وبداية الامبراطورية كان ينظر اليه بعداء أدى الى

---

١ ـــ ولكن يجب دراسة ذلك في اطار نظرة اليهود للجنس مع الاممين ، إذ أن الظروف القاسية التي تعرضوا لها في ظل المجتمعات الغربية ، جعلت « الجنس » إحدى وسائلهم لحفظ النوع اليهودي .

تحريمه خلال تلك الفترة كان اتهام أحد باللواطة يعني نعته بأقبح الصفات (Homosexuality A history by vern. L. Bullough) .

« في عام ٣٠٠ ق. م أعدم مسئولون وقواد كبار في الجيش لأنهم حاولوا اللواطة مع مجندين أصغر . ولكن بعد مائة سنة الغيت عقوبة الاعدام ــ وتحولت الى غرامة ! » .

« وفي حوالي سنة ٦٩ بعد الميلاد كان يجري اغتصاب الاولاد والمجندين الحسني الوجه . بل وكان الجنود يجبرون على اشباع شهوة الامباشية » .

« وقد استخدمت تهمة اللواطة ضد يوليوس قيصر ، واتهموه بأنه وطأه ملك Bithyrians » .

وقال عنه سيسرو « رجل كل زوجة وامرأة كل رجل » .

« ثم تطورت من فضيحة تهدد بدمار سمعة السياسي الذي يرتكبها ، إلا أن أصبحت عذرا يبرىء الساحة ، فقد دفع متهم بأنه لم يكن يتآمر مع دوميتيان ، بل اجتمعا لمجرد ممارسة الحب ، وقد علق السناتور الذي كان يحقق في المؤامرة : الحق ان شكله مثير » ! .

وهكذا فما أن اصبحت « روما » سيدة العالم ، والممثلة لحضارة العصر ، وتجمعت فيها ثروات وثقافات وفنون ومهارات العالم ، حتى دب الترف والانحلال في الطبقة الحاكمة ، وظهر اللواط على أوسع نطاق .. وقد جاء في « انهيار الامبراطورية الرومانية » إدوار جبون (طبعة ١٧٨٩) أنه من بين الخمسة عشر امبراطوراً الاوائل الذين حكموا الامبراطورية الرومانية منذ تحولها الى امبراطورية . كان واحد منهم فقط هو السوى المزاج من الناحية الجنسية ، وهذا يعني ان الامبراطورية حكمت حوالي ٢٠٠ سنة بأباطرة شاذين جنسيا .

« وأحد الأباطرة أرسل وفودا من القصر الى جميع اقطار الامبراطورية يلتمسون

الرجال الذين لهم غرمول كالبغال . وفتح الحمامات العامة لكي يتجسس على هذا النوع من الرجال للعمل في « الخاصة » الامبراطورية » ص ٨٠ (المسيحية والتسامح) .

« وتعلم نيرون كما تقبل اللواط من معلمه سنيكا الذي كان بدوره لوطيا » ص ١٣٠ .

وسنسمع ان كل امبراطور كان له غلام عشيق ، وهو نفس ما سينقله التاريخ عن الامبراطورية التالية ، أو الخلفاء العباسيين والاندلسيين .. ولا يفوتنا هنا أن نسجل مفارقة بين وضع الأباطرة ، والملوك في حضارتنا التي اعتاد الغربيون تخصيصها بالاستبداد ، منذ أن اخترع اليونان في حربهم مع الفرس تعبير « الاستبداد الشرقي » وصوروا كل حاكم شرقي على انه فرعون أو إله يخضع لمشيئته الشرقيون لما فطروا عليه من خضوع ، ولكن هل في حضارتنا حاكم مهما كان طغيانه استطاع أن يعلن زواجه من غلام ويجبر الناس على تحيته باعتباره الامبراطورة ؟! أو هل استطاع طاغية مسلم مهما كان فجوره أن يعلن معشوقه إلها ويبني له مدينة ؟! .. إن أحد ملوك الطوائف في الأندلس أخرج جاريته في العرض العسكري في زي الرجال فأصبح مثلا .. ! .

وبقدر ضخامة الامبراطورية ، وطول المدة التي قضتها متربعة على قمة العالم بلا مزاحم ، بعد ما حطمت قوتها العسكرية ، كل المراكز المنافسة ، أو حتى التي تحمل خطر التحدي مستقبلا .. ومع تدفق ثروة لم يسمع بها العالم من قبل ، فقد كانت اضخم امبراطورية عرفها التاريخ حتى وقتها ، وأكثرها دقة وتنظيما في نهب الشعوب واستثمارها . بقدر هذه العوامل كلها ، كان اتساع الترف وعمق انحلاله ، وبشاعة الفاحشة والتباري في التهتك . فالأمم كالأفراد ، أو قل هي مجموعة أفراد ، اذا أمنت الحاجات الأساسية ، بحثت عن الكماليات ، فإذا تحققت ، سعت الى الترف ، والتفنن في اختراع اللذات ، والكشف عن شهوات ما كانت لتوجد لولا الفراغ والسعة أو : « فما تشتهي إلا أن تشتهي » وسبحان

القائل : ﴿ كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ [1] .. كذلك فإن الطبقة الحاكمة ، بل وقطاعا كبيراً من الطبقة الوسطى فقدوا القناعة بالدين أو الوثنية الشائعة وقتها . وانحراف الاباطرة ، جعل الشذوذ تقليعة المجتمع كله .

الشعراء كانوا ينظمون الشعر في جمال « غلام الامبراطور لكسب وده وعطاياه ! و بعد ما تزوج الامبراطور Elagabalus بشاب رياضي أصبح رجال البلاط يحرمون الدخول على أي رجل إلا إذا كان مصطحباً معه زوجه (وليس زوجته !) مما اضطر بعضهم الى التظاهر بالزواج من الرجال لمماشاة التقاليد الامبراطورية .

أما نيرون فقد تزوج مرتين ، وفي كل مرة كان العروس رجلا وفي احتفال عام ، وقد عومل العريس الثاني واسمه « سبورس » معاملة « الامبراطورة » رسميا . وكان يحضر الاحتفالات الرسمية ، ويعانقه الامبراطور في شبق وبلا حياء وظل مخلصا له الى الوفاة . وانطلقت نكتة تقول لو أن **والد نيرون** تزوج على طريقة نيرون لكان العالم أكثر سعادة .

أما « هارديان » الذي عهده ، عهد « هدوء وسلام » شاعت قصة حبه مع الفتى الاغريقي انطونيو ، الذي فقده اثناء عبورهما نهر النيل في اكتوبر (١٣٠ م) وحزن عليه الامبراطور « الوفي » وخلد ذكراه بعشرات التماثيل في جميع انحاء الامبراطورية ، والاستادات والدورات الرياضية ، وبنى على اسمه مدينة كاملة على النيل بين ممفيس وطيبه ، حيث غرق .. .

ويبدو أن النيل هو مقبرة غلمان اليونان من هذا النوع ، ففيه أيضا غرق غلام الاسكندر . وفي ١٨٣٧ م غرق فيه « غلام يوناني جميل كان بدوره غلام الرحالة البرنس بوخلرموسكاو » .

ويعتقد بعض المؤرخين أن سبب شيوع قصة شذوذ « هارديان » والهجوم على

١ ــ (٦ ــ ٧ العلق) .

غلامه . ليست قضية اللواط ، ولا أنه تطرف في حزنه ، فأعلن ان غلامه هذا إله ! فقد كانت قائمة الآلهة تضم اكثر من لوطي ومأبون ، بما فيهم كبير الآلهة نفسه الذي اتخذ لنفسه صاحبة وغلاما ! .. بل لأن انطونيو هذا كان آخر « إله » في عالم الوثنيين ، قبل انتصار المسيحية ، ولذلك اهتم المسيحيون والى اليوم بنهش سيرتهما ، وقد صدر حديثا كتاب بعنوان الاله المحبوب يقول ان معشوق الامبراطور كان على درجة من الجمال الصارخ الذي ما زال شاغل العالم المتحضر خلال الفي سنة (!) وكان الغلام يونانيا اسمه انطونيوس ، ومات في حوالي سن الثامنة عشرة . وقد حزن الامبراطور عليه وبنى له مدينة في مصر وهي انطونيوبولس . وصنع له ألفي تمثال .

واعتقد ان الحملة الدينية عليه ، قد تكون خلف الاتهامات التي انهالت على الفتى ، فالمتدينون رأوا أن إهانة آخر آلهة الوثنيين ، عملا صالحا ، يخدم الرب ، وكذلك التركيز على سيرة هذا « المأبون » يفضح ويخزى الديانة الوثنية المنهارة .. ولنذكر أن التراث الاسلامي ، قال ان اللآت والعزى كانا فاسقين ، زنيا في الكعبة فسخطا حجارة . ثم مضت السنون فعبدهما الناس . وكان الرومان الوثنيون . قد حاولوا الادعاء بأن انطونيوس افتدى سيده باغراق نفسه في النيل . وقد استمرت حملة الكنيسة على الفتى ، فوصفه الاب جيروم عام ٣٥٠ م بأنه « مومس مذكر » وقال : « وهكذا فإن الإله الجديد انطونيوس كان عبدا لشهوات الامبراطور ، غير المشروعة ، وان الذين عبدوه رضوخا لأمر الامبراطور كانوا يعرفون انه مجرد انسان ، بل وليس حتى انسانا جيدا . بل ولا يستحق حتى ان يكون رجلا فضلا عن اله » .

« وحتى سنة ١٨٧٨ كان المتحف البريطاني يرفض اطلاع الجمهور على ايقونات انطونيوس .. نظرا لتعصب الرأي العام ضد اللواطة » .

وكانت الحكومة تفرض الضرائب على اللوطيين المحترفين ، وتضمن للغلمان المستخدمين إجازة سنوية ، ويقول « جون بوز ول » إن الاباطرة استمروا يحصلون

هذه الضريبة حتى القرن السادس (الميلادي) بما في ذلك الأباطرة الوثنيين والمسيحيين واصبح اللواط ظاهرة اقتصادية ، ففي خطاب كاتو (القرن الثاني قبل الميلاد) اشتكى من التضخم ، إذ أصبح سعر المأبون أغلى من سعر الأرض الزراعية !

و « سيسرو ــ الحجة في القانون الروماني ــ رفع قضية يطالب فيها بالاعتراف بديون ابنه على شخص كان يعاشره معاشرة الأزواج » و « في القرن الثاني الميلادي قدمت شكوى ضد أحد الموظفين الرومان بأنه يحابي ولدا عمره ١٧ سنة وقد اعترف الموظف بالتفصيل بعلاقته الجنسية مع الغلام . ولم يثر ذلك أي اعتراض من والد الغلام » .

وعلى أية حال ، نكتفي بقول مؤلف أصرح كتاب عن الشذوذ الجنسي ، صدر حتى وقتنا هذا . « ان الميول الجنسية لقيادات المجتمع الروماني يستحيل نشرها حتى في القرن العشرين » والامبراطور الروماني الوحيد الذي حرم اللواط هو الامبراطور فيليب العربي الأصل (منتصف القرن الثالث) .

وكان أن سقطت روما ، أوشقها الأوروبي تحت ضربات البرابرة ، وبقى قسمها الشرقي في بيزنطة يحاول الاستمرار بالمسيحية .

والمسيحية قد مرت بعدة أطوار ، ومن ثم اختلفت مواقفها ..فالمسيحية لم تظهر كثورة ولا كفلسفة لحضارة وليدة ، ولم تكن تمثل أو تواجه أي تحدٍ حضاري ، بل في المرحلة الأولى اتخذت موقف رد الفعل ، ففي مواجهة الاغراق في الجنس المنحرف والمنحل في الامبراطورية المنهارة . ولد عند آباء الكنيسة الأوائل ، كراهية عميقة للجنس بكافة أشكاله ، حتى الزواج الطبيعي . ولهذا الموقف أسبابه الفكرية أيضا ، إلا أن العنصر الأساسي فيه كان رفض حالة الاباحية والتهتك الروماني .

قال بول عن الرومان : حتى نساءهم غيروا الطبيعة الى مخالفة الطبيعة مثل

رجالهم الذين تخلوا عن الاستعمال الطبيعي للمرأة ، واحترفوا شهوة الرجال مع الرجال ‘‘ رومان ١ / ٢٧ .

وقد ساد هذا التعفف « الفكري » الكنسي الى يومنا هذا ، ولا نقول السلوك بالطبع ، فالحياة دائما أقوى .. ولكن ليس بالعفة وحدها تقوم الحضارات ، وان كانت شرطا أساسيا لا تقوم بدونه ، والعفة غير الاخصاء طبعا .. بل لابد من تصور شامل للوجود والتحديات المطروحة وامتلاك حلول لها ، أو المنهاج القادر على طرح الحلول ، وامتحانها ، ورفض ما لا يصلح منها .

ولم تكن المسيحية في قرونها السبعة الأولى صالحة ولا مؤهلة للقيام بهذا الدور ، لأنها كما شرحنا في مكان آخر . دخلت في الدولة الرومانية ، أو أدخلت الدولة الرومانية ، في الكنيسة ، المهم أن دولتها لم تقم على انقاض الدولة الرومانية . بل تزاوجت معها ، فكان من الطبيعي أن يحمل الوليد الكثير من خصائص وطباع وتصورات وأمراض الأب الروماني . ولم تشكل المسيحية ثورة ، بل تسوية ، صفقة مع الدولة الرومانية ، كما سنرى في استمرارية الكثير من مظاهر الانهيار الحضاري في المرحلة الأولى من المسيحية . ولكن المهم هنا ، ان المسيحية الرومانية ، ورثت الحس التاريخي بالزوال ، وهو الحس الذي كان يسيطر على الامبراطورية الرومانية ، ويحكم تصرفات قياداتها . ولذلك بشرت الكنيسة بزوال العالم ، وكانت هذه الفلسفة الاكثر قبولا من جانب الرومانيين الذين تعفنوا في الفساد ، وفقدوا كل أمل في أي انبعاث حضاري . ولم يكن أمامهم أي مخرج من خلال المنظور الروماني ، أو الدولة الرومانية ، فقدمت لهم المسيحية الحل الوحيد : التبشير بأن هذه هي نهاية العالم ، قرب زوال المجتمع أو الجنس البشري ، ولاحظ أن كل الحضارات اعتبرت زوالها هو نهاية العالم .

بشرت المسيحية بزوال العالم بارادة غير بشرية ، بقيام عالم جديد بلا خطايا ولا مشاكل ، خارج هذه الدنيا أو الأرض الخاضعة للحضارة الرومانية ، والتي لا مكان فيها لحل غير روماني . .

فالمسيح الذي جاء في البداية ، في صورة ملك اليهود ، الذي سيقودهم في

ثورتهم ضد الرومان ، ويحررهم من سيطرة الرومان،ومن النموذج الروماني ويبني مملكتهم ، أو مملكة جديدة ذات قيم أقدر على الحياة . فهو قائد أو زعيم يحقق طموحا دنيوياً ، وتغييرا فوق هذه الأرض . ولكن لأسباب عديدة ، منها ــ وإن يكن ليس أهمها ــ رفضه من قبل اليهود ، فإن آباء الكنيسة فضلوا مهادنة الدولة الرومانية .

ورغم أن المسيحية من اليوم الأول ــ في اعتقادنا ــ ما كانت لتقر اللواط من الناحية المبدئية . ورغم أن جميع الدراسات تؤكد أن المسيحية تبنت الموقف التوراتي أو اليهودي من تحريم اللواط . ولم يكن من المعقول بالنسبة لكنيسة تحرم الجنس بين الرجل والمرأة ، اذا كان لا يهدف مباشرة لزيادة النسل بل يرى « بولس » مؤسسها أن الجنس كله لا مبرر له، انطلاقا من أن مملكة الله على وشك الظهور « فالوقت قد أزف يا اخوتي ، عندما يتساوى من له زوجة بالأعزب » ورأي آباء الكنيسة الأوائل : « ان اللذة حتى أثناء الجماع الشرعي ، بهدف التوالد ، هي خطيئة » .

من غير المعقول أن يقبل أصحاب هذه النظرة فعل اللواط [١] الذي يقوم على اللذة المجردة من أي هدف اجتماعي أو عمراني . ومع ذلك فإن الرغبة في مهادنة المجتمع الروماني ، ومن ثم التأثر به ، ولأن الأخلاق المجردة ، لا تخلق واقعا ، بل لابد أن تعبر هذه الاخلاقيات عن حركة حقيقية في المجتمع ، لذلك لم تفلح

---

١ ــ يصعب تعقب النصوص التي تحرم اللواط في الأسفار المسيحية المعتمدة ، إذ أن المسيح لم يتعرض لذلك على الاطلاق ولكن الدراسات المتخصصة تجمع على أن المصدر الوحيد الذي وضع أساس رفض اللواط في الفكر والتشريع المسيحي ، هو انجيل « برنابا » الذي ادان هذا الفعل . (وهو بالمناسبة انجيل ممنوع التداول في الأوساط المسيحية اليوم ، ويتداول المسلمون نسخة منه يقولون إنها أصح الأناجيل أو أقربها للحقيقة) أما أول مجمع كنسي بحث موضوع اللواط وأصدر فيه قرارات ، فكان مجمع لاتيران **Lateran** الثالث عام ١١٧٩ ميلادية ، عندما بدأ حركة البعث في أوروبا الغربية . وهو المؤتمر الذي حرم « المسلمين واليهود والربا واللواط » .

أخلاقيات مسيحية عصر الانهيار في تغيير المجتمع الروماني ، بل بالعكس تأثرت الكنيسة بأخلاق هذا المجتمع ، فبقى اللواط في المجتمع الروماني المسيحي بشقيه الغربي والشرقي ربما حتى القرن العاشر .. فقد ظل اللواط بالأجر ، يمارسه المحترفون في الامبراطورية الشرقية حتى القرن السادس الميلادي ، بل واستمر الاباطرة يحصلون الضرائب من هؤلاء المحترفين ، والتي كانت تشكل نسبة من ايرادات الدولة التي تعيش عليها الكنيسة [1] .

وكان اللواط متفشيا بين المسيحيين حتى القرن الرابع الميلادي . وتورد الدراسات الحديثة أكداسا من وقائع ودلائل وأشعار وأدبيات تثبت وجودد عشق المذكر بين رجال الكنيسة في تلك الفترة .. سنضرب صفحا عن هذا كله فقد يكون من نوع الشعر الصوفي [2] ، وقد تكون علاقة متوقعة بين ذكور يعيشون معا بعيدا عن المرأة ، وهم في فحولة شبابهم ، وتباين شديد لأعمارهم . وجمال الشماسين مشهور ومعروف في الأدب العربي وليس فقط الأوروبي .

كان البابا « جريجورى » يشرف على بيع الغلمان الانجليز « شديدي الجمال » في سوق روما في القرن السادس الميلادي . مع معرفة الجميع بسبب « رواجهم » . وقال البابا إن « جمالهم يعطيهم لمحة ملائكية ويجعل الجنة مأواهم » !! .

وفي القرن الثامن نصح « القديس بازل » ، رجال الكنيسة بتجنب النظر الى الغلمان المرد : « اذا رأيت الفتى الجميل ، فاجلس في مقعد بعيد عنه ، وعند النوم احرص على الا تلمس ثيابك ثيابه . بل ضع بينكما رجلا عجوزا .. وعندما يتكلم

---

١ ــ المسيحية واللواط ص ١٣١ .

٢ ــ وان كان مترجم أشعار الصوفي الشهير « الحافظ » علق عليها بقوله : « من الصعب التفكير في الله ، اذا كان عاشقه الصوفي يصفه بأنه متموج الخصلات ، ياقوتي الشفاه ، ممشوق القوام كغصن البان » ! .

أو ينشد أمامك لا ترفع عينيك اليه ، حتى لا تزرع الشهوة في قلبك ، ولا تدخل معه في مكان يغلق بابه ، أو يصعب على الناس رؤية ما يحدث بداخله ، مهما كان الغرض من دخولكما »[1] .

لم تستطع الكنيسة أن تخرج الامبراطورية الرومانية من أزمتها ، ولا أن تطرح الصيغة البديلة على الصعيد العالمي ، ومن ثم كان عليها أن تنتظر حتى يأتي التحدي من الجزيرة العربية ، من قوم لا توجد في شعرهم « الجاهلي » اشارة واحدة لهذا السلوك ، ثم مجتمع المتطهرين الذي يقول فيه أمير المؤمنين : « لولا أن الله ذكر اللواط في القرآن ، ما ظننت أن أحدا يفعله » .

جاء التحدي من أبعد المجتمعات تأثرا بالانهيار الروماني والفارسي ، في دورة من دورات المواجهة الأبدية بين الشرق والغرب . جاء الاسلام يطرد بيزنطة وكنيستها من شرق وجنوب وغرب البحر الأبيض . ولكن الكنيسة كانت أعجز من أن تستجيب للتحدي .. وربما لو سقطت بيزنطة ، كما كان متوقعا مع موجة الفتح العربي الأول ، لعجل ذلك بنهوض أوروبا . ولكن بقاء الكنيسة عطل الاستجابة للتحدي ، حتى أن شارلمان الذي يصف نفسه بأنه مؤسس « أوروبا المسيحية » عبر عن يأسه وانزعاجه من تفشي الانحرافات في الكنيسة . وقد أجمع المؤرخون على أنه وإن حرص على أن يجعل من نفسه امتدادا تاريخيا للأباطرة الرومان ، إلا أنه كان يخالفهم تماما من ناحية المزاج الجنسي . ولما سمع بتفشي اللواط بين الرهبان قال : « إن العفة بين الرهبان هي الأمل في خلاص كل

---

١ ــ سنجد نصا مشابها في حكاية سفيان بن سعيد الثوري عام (١٦١ هجرية ــ القرن التاسع الميلادي) الذي رفض أن يدخل الحمام مع صبي حسن الوجه صائحا : « اخرجوه عني .. اخرجوه » وقال ان مع كل امرأة شيطانا ، ومع كل صبي جميل بضعة عشر شيطانا » كذلك نصيحة الامام أحمد للرجل الذي جاء مجلسه ومعه صبي جميل هو ابن أخته فقال له : « لا تجيء به الينا مرة أخرى ، ولا تمش معه في طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه السوء » الكبائر ص ٥٩ لمؤرخ الاسلام الامام الحافظ شمس الدين الذهبي .

المسيحيين . ونصح رجال الكنيسة بكبح النفس لحماية انفسهم من هذه الرذائل لأنه لا يمكن أن يسمح بها في مملكته وخاصة بين الذين يجب أن يكونوا قدوة » .

وهذا يوضح أنه لا يكفي وجود « الفكر » أو « الخلق » الحميد ، ولا حتى الرجل « العظيم » الواعي بأهمية الأخلاق ، بل لابد من اقتران ذلك بموقف حضاري .

والقانون الذي نطرحه هنا ، أو حتى الظاهرة التي نسجلها ، هي ان كل الحضارات التي انتصرت وقامت ، بدأت بمحاربة اللواط والتشدد في مطاردته والمعاقبة عليه ، وهي غالبا ما تتهم خصمها الحضاري بممارسة « جريمة » اللواط .. فإذا ما انتصرت الحضارة وزال التحدي المواجه لها ، انتشر فيها اللواط وتسامحت معه .

* * *

□ أوروبا والشرق واللواط

مع الحروب الصليبية بدأ الانتعاش والاصلاح في أوروبا الغربية أو المسيحية ، وفي الكنيسة أيضا . ذلك أن الاستجابة للتحدي كانت قد بدأت ، واتخذت شكل الثورة على الكنيسة ، وظهور الكنائس المنشقة أو الحركات الاصلاحية . ولو أن عددا من أبطال الحروب الصليبية يتهمون باللواط في بعض الدراسات المتخصصة في تعقب المشاهير واثبات ذلك السلوك عليهم ، فهذا النوع من الدراسات يؤكد ــ الآن ــ أن ريتشارد قلب الأسد كان على علاقة ما مع فيليب ملك فرنسا !

إلا أن الكنائس الجديدة في غرب أوروبا وانتصار المسيحيين على المسلمين في أسبانيا ، وظهور حركة الجزويت ، كلها شكلت الاستجابة الناجحة للتحدي الاسلامي . هذه الاستجابة تلقت دفعة أخرى وحاسمة على يد الأتراك الذين أزاحوا بيزنطة من الطريق ، فتراجعت الكنيسة الشرقية الى أكثر أجزاء أوروبا تخلفا وتقشفا الى « الروسيا المقدسة » أو كنيسة « روما الثالثة » .. وانطلقت الاستجابة للتحدي في « الروسيا » وما زالت الى اليوم . ولاحظ أنه حتى اليوم لا توجد أية اشارة في الفكر الروسي ولا فيما سبق الثورة عن أدب اللواط .. بل إن مشاهير الفكر الأوروبي الذي هرعوا الى روسيا الشيوعيية حالمين بمشاعية جنسية ، عادوا خائبين

رافضين ، لأن النظام السوفيتي اتهمهم باللواط المحرم بشدة في الدولة « اللادينية » .. وقد قادت الكنيسة والقياصرة مسيرة الأمة الروسية خلال هدف واحد لم يتغير ، وهو القضاء على الاسلام في أوروبا ثم في آسيا الوسطى والغربية ، بينما كانت كنائس الغرب ودول أوروبا الغربية تشق طريقها الحضاري حول وفي قلب العالم الاسلامي في افريقيا وشرق آسيا وجنوبها . وخلال عملية بناء الحضارة الغربية ، تتضح لنا المسلكية الحضارية التي أشرنا اليها ، ومن زاوية « اللواط » نرى أنه ظل محرما حتى منتصف القرن العشرين ، وان كانت الحضارة الغربية قد وصلت ذروتها وبدأ انحدارها في القرن التاسع عشر ، ولو أن بعض الدراسات تنسب السحاق للملكة فيكتوريا ، ولكن ذلك لا يعنينا في هذه الدراسة . لأن الذي يعنينا من سلوك الحاكمين ــ كما قلنا ــ هو المعلن . والملكة فيكتوريا لما عرض عليها قانون العقوبات أبدت دهشتها ونفيها وجود « مثل هذا الشيء » بين النساء ! .. فهذه هي الصورة التي أعطيت للشعب البريطاني ، لكي يريق المزيد من دمه من أجل ضم ممتلكات جديدة لتاج الملكة المسيحية العفيفة !

وقد قامت الرقابة في أوروبا الناهضة بحذف وتعديل كل النصوص التى وردت في التراث الاغريقي والروماني لاستبعاد « الانحلال » فعشيق سقراط تحول إلى « سيدة اشتهرت بجمالها » . ونسب إلى أفلاطون كذبا ، استنكاره وادانته للواط « متأثرا بقراءة الكتاب المقدس » ! ونقحت أقوال « أوفيد » في كتابه « فن الحب » فبدلا من قوله : « إن عشق الغلمان أقل جاذبية لى » عدلت إلى « وعشق الغلمان لا يثيرني على الاطلاق » وعلق الناشر المسيحي على « تزويره » : « ومن هنا يتبين لك أن « أوفيد » لم يكن لوطيا » . وحتى القرن التاسع عشر اعتذر الناشرون فى أوروبا « المتحررة » عن نشر نصوص اللواط فى الادب الاسلامي في عصر الانهيار (ابتداء من العصر العباسي الثاني) . ففى أشعار « سعدى » الفارسي . قلب المترجم البريطاني كل قصص عشق الغلمان إلى حب « طبيعي » باضافة تاء التأنيث . وحتى منتصف القرن العشرين فإن قصائد غزل « حافظ »[١]

١ ــ شمس الدين محمد الحافظ . ولكن نشرت طبعة صريحة في باريس عام ١٩٢٧ ولا تنس=

مازالت تحور لتلائم أخلاقيات الأوروبيين والأمريكيين (انظر طبعة كامبريدج ــ أمريكا ــ ١٩٤٧) كذلك حذفت أبيات الغزل بالمذكر من رباعيات الخيام عندما ترجمت . وفى عام ١٩٦٩ قال « شارلس بيلات » إن الحياء والحشمة تحولان دون ترجمة الجاحظ ترجمة أمينة ، لما في كتاباته من صراحة فيما يتعلق بالشذوذ الجنسي . كما اعتذر في الطبعة الأجنبية لتحقيقه لكتاب محاورة الجوارى والغلمان .. وان كان لم يجد ضرورة للحياء فى الطبعة العربية التى نشرت في بيروت (١٩٥٧) .

وقد أدان مارتن لوثر (١٤٨٣ ــ ١٥٤٦ م) فعل قوم لوط المخالف للطبيعة الذى غرسه الشيطان فيهم » .

« وكذلك جون كالفن (١٥٠٩ ــ ١٥٦٤ م) مفلسف البروتستانتيه ادان كل انواع الجنس التى لا تستهدف الانجاب » .

وكما أشرنا فإن القانون مازال يطارد حتى اليوم ــ في أوروبا وأمريكا ــ النشاط الفكرى للوطيين ، وكما يقول مؤرخ الشذوذ الجنسي في العالم المسيحي ، جون بوزيل ، لم يحدث أن تعرض الشواذ لاضطهاد طوال تاريخهم في الغرب ، لمثل ما تعرضوا له في مطلع القرن العشرين وكلنا يعرف كيف تحطم « اوسكار وايلد » فى بريطانيا الديموقراطية والليبرالية والتحرر لأنه كان يعشق شابا . وكما ذكرنا لم يجد الاتحاد السوفيتى تهمة يدمر بها سمعة « أندريه جيد » إلا اتهامه بأنه

=أن باريس « سباقة » ! وربما يقال ان الغزل بالمذكر ليس كله لواطا في الشعر العربي لأن القافية والاعراب فرضت الى حد كبير على بعض الشعراء ، الغزل في الحبيب وليس الحبيبة . وهى وجهة نظر ، ولكن لا نميل اليها كل الميل ، لأن هذه الضرورة اللغوية ، لم تظهر في الشعر الجاهلى ولا شعر عمر بن أبي ربيعة على سبيل المثال .

لوطى .. واللواط كان منتشرا ومقبولا في المجتمع المملوكي المنهار في مصر أكثر منه في جيش نابليون الذى كان يضم زهرة شباب فرنسا[1].

وقد أشرنا إلى أن من قوانين الانهيار الحضارى ، العجز عن اكتشاف سر الانهيار ، وبالتالى العجز عن مواجهته ، ولكن المجتمع يحس بأنه سائر إلى

---

١ ـــ في تراجم الجبرتي « ومات البليغ النجيب والنبيه الأريب نادرة الزمان وفريد الاوان اخونا ومحبنا في الله تعالى ومن اجله السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب ..... .

ولما وردت الفرنساوية لمصر اتفق ان علق شابا من رؤساء كتابهم كان جميل الصورة لطيف الطبع عالما ببعض العلوم العربية .. فلتلك المجانسة مال كل منهما للاخر ووقع بينهما توادد وتصاف حتى كان لا يقدر أحدهما على مفارقة الاخر .. وعند ذلك قال المترجم الشعر الرائق ونظم الغزل الفائق مما قاله فيه .

علقتـه لؤلـؤي الثغـر باسمـــه   فيه خلعت عذاري بل حلا نسكى

ولم يكن هذا الفرنسي هو وحده عشيق الشيخ بل كل هناك اخر اسمه ريج اغلب الظن انه ايضا من جنود الحملة الفرنسية لأن المؤرخ لم يزد عن قوله : وله فى آخر يسمى ريج . .

ثم اورد ابياتا في الغزل بريج هذا منها :

« واصل بنـــار الخـــد قلبـــى   واطفه ببرد ثناياك الشهية والثغر » .

أريج ذكي المسك انفاسك التي   أريج شذاها قد تبسم عن عطر

ولما وقفنا للوداع عشية وامسى   بروحى يوم جد النوى سيـرى

ولما قال الشيخ حسن العطار قصيدة « عارضة المترجم المذكور بقوله في معشوقه الذي ذكرناه .. » الخ .

وليس عشق الشيخ للفتى الفرنسي هى قضيتنا ولكن ترجمة الشيخ الجبرتى الذي اورد ذلك ثم لم يأخذ على الشيخ الخشاب من العيوب الا خضوعه لزوجته .. « مع انه كان كثير الانتقاد على غيره فيما لا يدانى فعله وانقياده إلى هذه المرأة وحواشيها .. نسأل الله السلامه وحسن العاقبة .. » .

أما عشق جنود جيش الاحتلال فلم يجد فيه الجبرتى ما ينقد !! .

وقارن هذا بما سنذكره عن عشق صديق ابن حزم الظاهرى لجندى فى جيش البربر !!

الزوال . ومن ثم تقع انتفاضات تحاول وقف عجلة التاريخ أو مقاومة ارادة الفناء التي توجه المجتمع نحو مصيره . ومن هنا تتفجر نوبات « عفة » فتلغي القوانين التي تبيح « الحريات » الجنسية ، وتشن الحملات على « الشواذ » الذين يجلبون الدمار للمجتمع ، أو يثيرون غضب الرب .. ويغفل الجميع عن أن هذه هي ظواهر الانحلال الحضارى ، وليست مسبباته .. اذا صح هذا التفسير لفهم الموجات المحافظة في الغرب ، فإن تفسيرا لا يقل أهمية يحتاج لتأمل . وهو عنف العداء المسيحي للجنس ، وبالذات اللواط ، ليس من الناحية العقائدية بحكم سيطرة التفكير التوراتى على المسيحية ، بل أيضا تاريخيا ، لأن نهضة أوروبا ، أو نهضة الحضارة الغربية المعاصرة اقترنت بحملة شعواء على « اللواط » واتهام جميع الخصوم الحضاريين أو المذهبيين بممارسته ، من المسلمين إلى شعوب أمريكا اللاتينية حتى فرسان الهيكل ! فالتكوين المسيحي ـــ الغربى شديد العداء للواط ، يشعر بالهزيمة الحضارية أمام انتشارها ، إلا أن هذا الانتشار الساحق « الديمقراطى » في الغرب هو دليل انهيار هذه الحضارة .. وهو لن يتوقف إلا إذا جوبهت بتحد حضاري، وكان بها بقية من قوة تجعلها تستجيب لهذا التحدي ، كما استجابت للتحدى الاسلامى وانتصرت عليه بعد عشرة قرون من الغيبوبة والانهزام .. وليست مصادفة ان يعكف فلاسفة الحضارة الغربية على تنظير التحدى الإسلامى مرة اخرى ـــ باعتباره العدو الذى يمكن هذه الحضارة اليوم من توحيد صفوفها والنهوض مرة اخرى ـــ ويتلازم هذا البحث عن العدو الإسلامى ـــ مع حملة جديدة شرسة ضد اللواط ، لعلها كانت خلف الاعلام الذى فاز به مرض الأيدز ـــ بل ويعتقد البعض ان كراهية اللواط خلف تقاعس الولايات المتحدة بالذات عن معالجته !

وقد مرت على الحضارة الاسلامية نفس قوانين النشوء والارتقاء والتدهور أو الصيرورة والعدم ، القانون العام الذى تخضع له كل الكائنات المادية . والمجتمع الإسلامى ليس إلا ظاهرة مادية ، وإن استرشد فترة بعقيدة غير مادية .

وأنا أعتبر نقطة التحول في الحضارة الاسلامية أو الذروة ، هى تلك القصة

الرمزية عندما تحدى هارون الرشيد ، السحابة العابرة أن تمطر خارج سلطة جباة ضرائبه ! وقد سجل المؤرخون بعد ذلك تمزق الوحدة السياسية للدولة الاسلامية ولكن المؤرخ الحضارى سيسجل الوصول للقمة ، وظهور نتائج النمو الحضارى ، في العلوم والمخترعات ، والثروة الهائلة ، والثقافة ، والفنون ، ثم الترف المادى والفكرى والسلوكى ، بدأ عصر الحضارة الإسلامية ، بعد الحضارة الاغريقية والرومانية . .

كانت بغداد قد بنيت عام ٧٦٣ م فى نفس موقع كيش عاصمة الحضارة السومرية ، وبدأت التكنولوجيا المتراكمة عبر التاريخ ، وبجهود كل الحضارات السابقة ، تتفاعل في حضانة الفكر الاسلامي ، الذى يؤمن بحرية البحث ، ورفض التقيد المسبق ، والمتحرر من العنصرية ، أو التعصب ضد حضارة أو ثقافة جنس معين ، وغير الخاضع لاكليروس علمى ، بالاضافة إلى الأمانة العلمية النادرة ، مما جعل كثيرا من المؤرخين الذين يحترمون أنفسهم يعتبرون المسلمين ، أول من أقام « علم التاريخ » وذلك في كتابة الحديث ، وتحرى المحدثين .

وكذلك فإن الكشوف العلمية التى كانت مجرد احتمالات أو نظريات ، أو امتيازات شديدة الخصوصية أو فى اطار ثقافة شديدة العزلة ، وعدم القابلية للانتشار ، كل هذا تحول في البوتقة الاسلامية إلى حقيقة علمية أو متداولة ، ومتاحة للجنس البشرى كله . فالمؤرخون الغربيون شديدو الحرص على نسبة الورق للصين ، مع التسليم والاعتراف من جانبهم بأن العرب هم الذين قدموا الورق للعالم . ونحن نضيف إن الورق فى الحضارة الصينية ، كان ظاهرة شديدة الخصوصية ، تماما كما لو أثبتنا أن الصين سبقت مصر أو العرب إلى اكتشاف الكتابة . فسيبقى الحرف العربي أو الفينيقي هو وحده الذى كان مهيئا لكى يلعب الدور العالمى . والنقلة الحاسمة في تاريخ البشرية . كما أن لغة الصين مهما أوتيت من بلاغة وعلم وثقافة . فإنها تشكل بصيغتها المعقدة ، قيداً ذاتياً على انتشار معلوماتها . ولا أقول إن اللغة العربية وحدها ، من ناحية تقدمها وصلاحيتها للتعبير

فى شتى أوجه المعرفة ،مما جعلها لغة العالم الأدبية والعلمية لأكثر من أربعة قرون ، واللغة المكتوبة لعدة شعوب لا تتكلم العربية .. ولا المعرفة الاسلامية المتقدمة ، ولا موقع الحضارة العربية ــ الاسلامية جغرافيا وتاريخيا ، لا أقول إن هذه شكلت العامل الحاسم فى اختراع الورق أو جعله ظاهرة اسلامية بالدرجة الأولى ، بل في اعتقادى ، إن العنصر الحاسم هو الموقف الاسلامي من « الكتاب » .. ومن « القراءة » و « الكتابة » . فالحضارة الاسلامية تقوم على « الكتاب » . .

ما من حضارة أخرى قبل الاسلام لعب فيها « الكتاب » الدور الذى مثله ولعبه في الحضارة الاسلامية .. بل إن ترتيب الأمم في التكريم وحسن المعاملة ينبعث عندنا من امتلاكهم لكتاب ، فالمسيحيون واليهود لهم حقوق خاصة في الدولة الاسلامية ، وامتيازات في التعامل لأنهم « أهل الكتاب » وقد شهد مؤرخ يهودى ــ عن حق ــ أن هذا كان أول تكريم يناله اليهود من الأمميين ! .. بل ان الدولة الاسلامية عندما عاملت مجوس ايران نفس معاملة أهل الكتاب ، بذل الفقهاء جهدا في تبرير ذلك بأن الفرس كان لهم كتاب ولكنهم ضيعوه .. ! .

ولكن أهم من ذلك ، أنه حتى في الحضارات أوالديانات التى امتلكت « كتابا » شبيها بالقرآن ، فإن وضع « الكتاب » في الحضارة الاسلامية يختلف جذريا .. ففى اليهودية والمسيحية ، كان « الكتاب » أولاً لا يحمل هذا الاسم بل « العهد » أو العقد « الكونتراتو » بين الله والمؤمنين . فالكتاب شيء مقدس يحق للخاصة وحدهم تداوله وفهمه وقراءته ، وتصف مؤرخة غربية التقدم الثقافي في أوروبا في القرن الثالث عشر فتقول : « لم تكن هناك أسرة أرستقراطية في جنوب فرنسا ، إلا وفيها شخص واحد على الأقل يستطيع الفخر بأنه قد قرأ كتابا . وعدة أفراد يجدون لذتهم في لعبة عقلية » (مثل الشطرنج) . ويمكن القول بكل ثقة إنه من القرن الثامن الميلادى والى الحادى عشر لم تكن توجد أسرة في العالم الاسلامى . فيها شخص واحد فوق سن السابعة لم يقرأ كتابا واحدا على الأقل ؟! .

فالمسلم يبدأ بقراءة القرآن ، ولكى يفهم القرآن يجب أن يدرس النحو فإن أراد

التفسير لزمه الحديث والشعر والبلاغة ، وإن أراد ضبط صلاته وصيامه ، كان عليه أن يلم ببعض قواعد الفلك والحساب ، فإن أراد فهم حقه في ميراث أهله ، احتاج إلى علم الجبر .. الخ .. ثم لا وجود لكاهن يمتلك كل الأجوبة .. ولا حدود على المعرفة ، وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وطلب العلم مأمور به ولو كان العلم في الصين المجوسية . .

باختصار .. لا يمكن تصور المجتمع الإسلامى بدون « كتاب » حتى في أحلك العصور ولقد رمى « المتحررون » والملاحدة علماءنا بالتخلف لأنهم يقرأون الكتب الصفراء . فنحن نقرأ ولو لنزداد جهلا أو تخلفا ! . .

وقلما يأتى ذكر مدينة من مدن الحضارة الاسلامية ، التى بقيت أو سقطت إلا وتذكر مكتبتها العامة أو مكتبة الأمير وما بها من مجلدات ، وصلت في قرطبة في القرن التاسع الميلادى إلى أربعمائة ألف كتاب ، أو ما يكفى لاعطاء جميع رجال الدين في أوروبا كلها كل واحد كتابا خاصا ، ويبقى الكثير .. وما من ترجمة لعالم أو باحث أو فقيه أو شاعر إلا وتذكر مكتبته الخاصة وما بها من كتب لا تقل عن عشرة آلاف كتاب بأى حال ، أما كتب بغداد فقد صبغت النهر بحبرها عدة أيام أو أسابيع أو شهور — قل ما شئت — وعبر عليها جيش الغزاة ...

وفي كتابي « المسلمون والروس » اوردت ما كتبه ابن سينا في وصف مكتبة أمير سمرقند وكيف كان بها قاعة خاصة لمؤلفات الاغريق ، تحتوى على مؤلفات لم يسمع بها ابن سينا حتى زار المكتبة .

فالكتاب كان ضرورة اسلامية ، ولا يمكن تصور الكتاب على أوراق البردى الفادحة التكاليف ، ولا على الكاغد والعظام والأحجار أو ما شابه ذلك « من طعام اخوانكم الجن » ! .. كان لابد من ظهور الورق ، فالكتاب كان حاجة اسلامية ، والورق هو مجرد الابن الشرعي لهذه الحاجة .. مثل النفط عرفه العرب قبْل أمريكا بقرون ، ولكن « الطاقة » الأمريكية والغربية ، كانت بحاجة إليه ومن ثم لهم السبق في طرحه عالميا كمصدر للطاقة . .

تقول راى تاناهيل « ان لقاء العقل العربي المبدع مع اكتشاف صينى (الورق) خلق ثورة ثقافية وحضارية في كل تركيبة الغرب (أوروبا) لم يكن بوسع أحد — وقتها — التنبؤ بأبعادها . وقليل من اعترف بها بعد ذلك » .

كذلك الصفر الذى ينسب للهنود ، لم يكن ليأخذ مكانه في التاريخ والعلوم ، لولا التقدم العلمى والحضارى العربي ، الذى جعل الأرقام الرومانية حجر عثرة في سبيل هذا التقدم ، ومستحيلة الاستمرار . .

باختصار إن محاولة البعض نسبة المنجزات العلمية والحضارية العربية لجذور غير اسلامية ، محاولة مغرضة فاشلة ، لأن الحضارة الاسلامية مثل غيرها تمثلت ما سبقها من معرفة ، وأفرزتها في صيغة متقدمة وأكثر شمولا وانتشارا وأضافت اليها كما ونوعا .. تقول نفس الكاتبة : « خلال الفترة من القرن الثامن إلى القرن الثانى عشر كانت كل المعرفة الانسانية محصورة في يد المسلمين ، من جند نيسابور إلى بغداد إلى القاهرة إلى صقلية إلى أسبانيا ، كان يجرى نقل طب اليونان ، والأرقام الهندية (التى ستعرف بالعربية)[1] والتي حلت محل الارقام الرومانية الغبية . وكانت ثورة في الرياضيات والعلوم ، وكل أوجه الحياة ؛ صناعة الورق الصينية التى غيرت عالم الثقافة والدراسة ، والقوس العربي الذى غير وجه الحرب ، وقائمة ضخمة من السلع المترفة مثل الحرير المشجر ، الزجاج الملون ، المعادن المشغولة ، أو المكفتة ، السراير ذات البراقع الكلة — (الناموسية) ، السجاد . ألوان جديدة للصباغة ، القباب في فن العمارة . المرايا الزجاجية ، الحمامات العامة ، المستشفيات العلمانية .. والطنبور والطبلة ، وأخيرا الحكايات والأساطير

---

١ — اخواننا المغاربة ، ضحية سوء فهم على ما أعتقد في اصرارهم على استخدام الارقام الافرنجية 234 على أساس انها هى العربية لأن اسمها كذلك في اللغات اللاتينية . ووجه الخطأ أن المقصود هو النظام العشرى في الترقيم الذى جعل من الممكن كتابة العشرين هكذا ٢٠ وليس XX كما كان فى الأرقام الرومانية أو اللاتينية . فهذا هو المقصود بالارقام العربية .. وليس الشكل .

التي ألهمت بوكاسيو وتشوسر ، فون ايسغنباخ وأخيرا لا فونتين » .

فالنهضة الأوروبية قامت بالكامل على منجزات بل وحتى خرافات الحضارة الاسلامية ، ولكن عملية التلقي والتلقن ما كانت لتتم بنجاح أو تحدث نهضة حقيقية ، إلا لأنها تمت في ظل الحرب العامة ضد الحضارة الاسلامية ، وهكذا أمكن أن يتعلموا منا الطب ويتهمونا بالشعوذة ، ونقلوا عنا الأرقام واتهمونا بالغيبيات والقدر ! وأخذوا عنا الورق ، وتركوا لنا الأمية . وتعلموا منا الرماية والأسلحة الحديثة باستعمالها ضدنا .. ألبسناهم الحرير وعلمناهم النوم على السرير والاستحمام وتحدثوا عن قذارة العربي .

علمناهم احترام المرأة فملأوا الدنيا بحديث الحريم واللواط عند العرب ! .

ربما أساءت أوروبا السلوك ، وربما أدانها التاريخ بالعقوق والكذب . إلا أن عذرها ، أنه لا يمكن لمفتون أن يقهر التحدى ، ولا حتى أن يتقن نقل التقدم .

وتؤكد تناهيل أن أوروبا « نقلت التقدم المادى من العرب ولكنها رفضت الفكر أو العقيدة » وهذا ما بحت أصواتنا في تلقينه لأبنائنا ، فأفسد تفكيرهم عملاء الغرب ، دعاة الانفتاح والزعم بأن التقدم لا يكون إلا بنقل العقيدة .

وفيما يتعلق بالمرأة تقول « تناهيل » انه بالرغم من الحملة على الأخلاق والسلوك العربي ، فإن بعض الأفكار تسربت دون أن يلاحظ أحد ، مما ساعد على تغيير عقل المسيحية ، كما غيرت المنجزات المادية (الاسلامية) وجهها ، وكانت النتائج مذهلة ، فإن أغاني الحب العربية ، التي أفرزها مجتمع لا تزال المرأة فيه حتى اليوم تحتل مركزا تابعا (هذه نقطة ناقشناها في غير هذا المكان وان كنا لا ننفى أن المرأة المسلمة المعاصرة لا تتمتع بالحريات ولا المكانة التى كفلها لها الاسلام) هذه الأغاني هي التى كانت المحرك الذى غير نظرة الغرب للمرأة . (وهي تقصد هنا ما اتفق عليه المؤرخون ، من أن أغاني الغزل في المرأة وما يتبع هذا « الغزل » من خلع صفات شاعرية نبيلة سامية عليها) انما جاءت من أسبانيا عبر

جبال البرانس ، فغيرت تماما نظرة أوروبا المسيحية للمرأة ، رفعتها من المرتبة الدنيا التى كانت فيها ، إلى مرتبة « اللادى » أو « السيدة » التي ينحنى لها النبلاء ويقاتلون في سبيل نظرة اليها ، وتطور ذلك الى تحرير المرأة واحترامها . وتضيف إن الذى علم أوروبا المسيحية ، حب مريم العذراء هم شعراء التروبادر تلاميذ العرب .

وإذا عدنا للمجتمع العربي ، فسنجد أنه في هذه الفترة بالذات ، شاعت الثقافة اليونانية بين المثقفين المسلمين ، وسيزداد شيوعها ، حتى تصبح ظاهرة عامة ، حتى نجد الشعراء يرددون أسماء الأغريق ، وكأن أرسطو وسقراط والاسكندر وجالينوس من قبيلة بنى عبس ، بل ربما أكثر شيوعا . واذا كان يقال ان المترجمين العرب ، لم يترجموا آداب الإغريق ، لما بها من عقائد مخالفة للاسلام ، أو « انحلال » فالأحرى أن نقول إن تراجمهم لم يكثر نسخها ولا انتشرت مثل كتب العلم والفلسفة ، ولكنهم قرأوها وترجموها ، وتداولوها في أوساط الخاصة [1] ومهما اتسعت دائرة المعرفة وديمقراطية المعرفة فلابد من خاصة تتقن لغات أجنبية أكثر وتتذوق نوعا خاصا من الثقافات النادرة أو حتى المحرمة أو التى لا تتجاوب مع ذوق العامة . ونستطيع ان نرجع الكثير من الروايات بل والتفاسير والصور الفنية والميول « المنحرفة » إلى ثقافات يونانية ورومانية ، حتى اذا لم نجد — اليوم — تراجم هذه الثقافات في المكتبة العربية ، وما أقل ما بقى من هذه المكتبة ، خاصة وأن هذه الكتب هي أول من يصدف عنه القراء وتستغنى عنه المكتبات مع زوال المناخ الحضارى الخاص الذى أفرزه وجذب المثقفين اليه .

فالجاحظ ومن نهج نهجه ، في عقد المقارنة بين الجوارى والغلمان تأثروا بما

١ — وربما أيضا لأن المثقف العربي قد ربى على احترام النص ، فما كان بوسعه أن يزيف النصوص لتتفق مع الأخلاقيات المعلنة ، كما فعل المثقفون الأوروبيون ، ففضل المثقفون العرب عدم نشر أدب الاغريق على تزويره .

كتبه الاغريق والرومان [1] والآقوال المنسوبة لأبي نواس بأنه كان مزدوج المزاج ، متأثرة باللغز اليوناني المعروف [2] .

وهارون الرشيد بالذات الذى نعتبره قمة النمو الحضارى الاسلامى ، هو الذى اتهم ابنه الاكبر بعشق الغلمان ، وهو أول خليفة يتهم بذلك في التاريخ الاسلامي وربما كانت هناك مبالغة في الروايات التي ذكرت عنه ، وربما كان الجهاز البرمكى خلفها ، إلا أننا لا نستطيع رفضها بالجملة ، وتزعم هذه الروايات أن أمه ، وكانت من شهيرات التاريخ وفضليات النساء ، حاولت مقاومة هذا الاتجاه فيه ، بنفس الاسلوب الذى مازالت تحاوله الأمهات الصالحات في أمريكا فى القرن العشرين ، وهو لفت انتباهه للفتيات ، ولو بإلزامهن بالتزي بزى الغلمان ، وعرفن في التاريخ باسم « غلاميات الأمين » [3] وقيل إنه خسر حربه مع المأمون لأنه كان منشغلا بغلامه « وصيف » في صيد السمك .. وحكايات المغاضبة والمصالحة بينه وبين غلامه ، عديدة ، وستتكرر في سيرة اكثر من خليفة وأمير وشاعر ، والغريب أنها وردت دون تحوير أو تبرير في الأدب العربي بل والشعبي بالذات ، ولعدة قرون بعد ذلك .

والأمين كان جميلا وابو النواس على علاقة به من قبل توليه الملك والأمين

١ ــ انظر كتاب « بلوتراخ » عن الأخلاق (فى مطلع القرن الثانى الميلادى) فقد عقد فيه فصلا عن حوار عاشق الغلمان وعاشق الجوارى . وردت فيه حجج من طراز : « ان زيوس كبير الالهة اخذ معه غلاما وليس امرأة . والمقصود هو الفتى جانيمد الذى يقوم بمهمة الساقي والنديم في الجنة الاغريقية لزيوس هذا » .

٢ ــ وهو لغز من مرحلة الانحلال الحضاري كانوا يتسلون به وهو : « ثلاثة في سرير ولكن أربعة أفعال تتم » ؟! (منشورات كامبريدج ماسوشستس ١٩١٩ ــ ١٩٢١) .

٣ ــ لاحظ ما أشرنا اليه من اختلاف مقاييس الحضارة في نشوئها وانهيارها ، فبعد التغني بعائشة بنت طلحة التى كانت اذا اغتسلت قائمة لا يبتل فخذاها لا من أمام ولا من خلف ، لضخامة بطنها وعجيزتها ، وكان يضرب المثل بعجيزة هند ، صار المزاج العام هو « الغلامية القد » ! .

بويع وعمره ٢٢ سنة ومات وهو في سن السابعة والعشرين وكأن دعوة أبي نواس استجيبت لأسفهما فهو القائل :

ان الـذى يـرضى الالـه بهديـه
ملكٌ تردَّى الملكَ وهو غُلامُ
بـارك الله للأميـن وابقـا
ه وابقـى لـه رداء الشبـاب

وهناك أبيات يصعب أن يبعد قارئها عن خاطره صورة الأمين وخاصة ما بها من اشارات وتلميحات من شاعر بنى شهرته على التهتك والمجاهرة ، وفى زمن كان التغزل بذكر الاسم ليس مستنكرا ، إلا أن يكون الخليفة بالطبع وهذا بعض مما عثرنا عليه :

فهو أولا لا يتحرج أن يبدأ قصيدة فى مدح الخليفة بغزل في غلامه :

يسقيكهـا ذو قُرْطَـقِ
يلهـي ويُعجـلُ مـن خَـبَسْ
خـنث الجفـون كأنـه
ظبـى الريـاض اذا نـعس
اضحـى الامـام محمـدٌ
للديـن نـورا يقتـبس
ويـا مـن لا أسميـه
ولا اسراره أبـدى
ويـا أطـيب مـن مسك
ويـا أليـن مـن زبْـدِ
ويـا مـن كالثريـا هـ
ـو بـل أبعـد فـى البعـد

وتذكر أن الامين هو ابن زبيده ! ..

وماجدٍ في الفرع من هاشم
إذا انتمى طار بعبّاسِهِ

مخنث اللفظ يسبيني بمقلته
مقرطق قرشي الوجه عباسي

سلام على شخص إذا ما ذكرتهُ
حذرت من الواشين أن يهتكوا سرى

فإني مضمرٌ أمراً
أنا منه على خطَرِ

ازور محمدا فإذا التقينا
تكلمت الضمائر في الصدور

فأرجع لم ألمه ولم يلمني
وقد رضي الضمير عن الضمير

أمور ليس يعرفها سوانا
يحير لطفها بصر البصير

ويقول :

اني لصب ولا اقول بمن
اخاف من لا يخاف أحد

إذا تفكرت في هواى له
مسست رأسي هل طار عن جسدي

اني على ما ذكرت من فرق
لا آمل ان اناله بيدي

على اية حال التهمة عبرت القرون والقارات حتى اثبتها صاحب العقد الفريد ، وهو ليس بالسند الصحيح ولا كتابه كتاب تاريخ ، وان كان يوصف بجامع الشائعات التاريخية .. قال صاحب العقد الفريد : « ان الحسن بن هاني قال في

امير المؤمنين الامين :

رشأ لـــولا ملاحتـــه خلت الدنيـا مـن الفتـن
كـل يـوم يستـرق لـه حسنـه عبـدا بـلا ثمـن
يـا اميـن الله عش أبـدا دم علـى الايـام والزمـن

واذا كان من المفيد للمهتمين ، عقد مقارنة بين تفشي اللواط كظاهرة حضارية في الاندلس المسلم ، « وتطهر » أو تزمت المسيحيين فيما تحول إلى أسبانيا والبرتغال في فترة سقوط الاندلس ، وذلك لفهم قوانين نشوء وسقوط الحضارات ، على ضوء النظرية التى نطرحها ، إلا أنه من الضرورى التنبيه إلى أن المجتمع المسيحي ، لم يكن أفضل أخلاقا في تلك الفترة ، ولا حتى أقل لوطية من ناحية الممارسة الفعلية . كذلك يجب النظر بتحفظ شديد ، أو بالأحرى الرفض باحتقار لأدبيات الحرب الصليبية التى شنت ضد المسلمين والتي حاولت أن تجعل من « اللواط » ظاهرة اسلامية ، وكأنها لم توجد قط ولا عرفت بين المسيحيين فضلا عن الاوروبيين ! تماما كالاعلام المنحط حول ظاهرة العبيد ، وكأن المسلمين فقط هم الذين « اخترعوا » ومارسوا الرق رغم حقيقة وجود عشرين مليون افريقي في أمريكا المسيحية استرقهم ونقلهم وباعه أوروبيون مسيحيون .. بل وأن نسبة هائلة من هؤلاء العبيد من أصول مسلمة .. * ولكن الموقف المسيحي طبيعى ، لأن من قوانين البعث الحضارى ؛ التعصب ، واحتقار المنافس أو الغريم ، وتجريده من كل الفضائل واتهامه بكل ما يبرر ابادته .. في كتاب تبشيرى مطبوع في القاهرة يشيد بنعمة الرب حيث قامت الكتدرائية فوق نفس المكان الذى كان ساحة لبيع العبيد في بلد افريقى مسلم ! ولو كان المبشر صادقا لقال لمن كان يجرى تصدير العبيد ؟! .

وفى موضوعنا بالذات نشير إلى قصيدة راهبة ألمانية شاعت في القرن العاشر

* فى انجولا كان البرتغاليون يأخذون عبيدا بمعدل عشرين الفا في السنة (بوكسر : امبراطورية البرتغاليين عبر البحار ص ١٠٤/ ١٠٥) .

عن « شهيد » مسيحي ، هو فتى عشقه ملك قرطبة المسلم ، ولكن الفتى رفض الاستجابة لغزل الملك ، ورفض قبلته مما أدى إلى اعدامه .. والقصيدة ــ كما يفسرها جون بوزول ــ بحق ، لا تعكس رفض اللواط في حد ذاته ، ولكن رفض الفتى المسيحي أن يمارسه مع مسلم . لأن المسيحي الذى تعمد بالماء المقدس وطيب بزيت المعمودية لا يعطي فمه لوثني ، ولا يعانق عابد أصنام من طين »[١] . ومدى الصدق في القصة يمكن الحكم عليه « بالدقة » في وصف عقيدة المسلم ! ولكنها على أية حال تعكس تصلب المسيحي وشعوره بالترفع أو السمو العقائدى ، وهى مؤشرات الصعود الحضارى ، وبالمقابل فإن تهتك الأمير المسلم ، وقبوله المهانة أمام الغلام المسيحي ، وكل الذين عاشوا أحداث القصة ، و « تسامحه » وحبه « للعدو » المسيحي ، هى دلائل الهبوط الحضارى ، لأن الحضارة المسيحية كانت في مسيرة الصعود ، ولو كان القرن العاشر هو قمة التخلف الظاهر .

أما الحضارة الاسلامية فكانت في مرحلة الهبوط ، كل ملوك الطوائف كان شعرهم أحمر من مصاهرة المسيحيات ، ونسبة هائلة من قصص عشق الغلمان تدور حول فتية مسيحيين . وبعض المسلمين كانوا لا يسكرون الا فى الدير لمغازلة الشمامسة ، وصغار الرهبان ، و « المؤتمن » « أمير المؤمنين » في « سراقوسه » كان مشهورا بعشق غلامه المسيحي ، وأحد كبار الشعراء تنصر اكراما لغلامه المسيحى ، وعانق حبيبه أمام المذبح والقس بعد اتمام مراسم التنصير ! .

وذكر أبو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق الرويدى في كتاب اللفظ والاصلاح : أن ابراهيم بن سيار النظام رأس المعتزلة مع علو طبقته فى الكلام وتمكنه وتحكمه فى المعرفة ، « وقع في ما حرم الله عليه بسبب فتى نصرانى عشقه ، بأن وضع له كتابا في تفضيل التثليث على التوحيد فيا غوثاه .. عياذك يارب من تولج الشيطان ووقوع الخذلان » ص ١٣٠

---

١ ــ الراهبة اسمها Horswitha والفتى اسمه Pelagrus .

كلاهما فعل اللواط ، ولكن الفتى النصراني اشترى به تعصبه العقائدى وشيخ المعتزلة عبر به عن تحلله أو تحرره وانهياره الحضارى .

« وكنت أنظر إلى غلام نصرانى حسن الوجه ، فمر بي أبو عبد الله البلخى فقال ايش وقوفك ؟ فقلت ياعم .. أما ترى حسن هذه الصورة .. كيف تعذب بالنار ؟! » .

ذلك أن الحضارة الاسلامية كما قلنا كانت في طريق الأفول ، رغم أنها في قمة تألقها وازدهارها بل وحتى تفوقها العسكرى الظاهر .. ولكنه كان القصور الذاتي .

فقدت الزخم الحضارى ، فقدت البداوة ، الخشونة ، التطهر ، التعصب الحضارى المطلوب ، وليس المذموم .. انتقل ذلك إلى خصمها بمستويات أكثر قسوة وخشونة ، وتحيزا وعنصرية ، وأقل تفهما وانسانية . .

فإذا عدنا لحديث المواجهة الحضارية في موضوع اللواط بالذات ، نجد أنه قد حدث تبادل مزدوج وعلى مراحل ، فقد تأثرت الحضارة الاسلامية بالتراث الاغريقى ــ الروماني فانتشر اللواط كظاهرة حضارية ، أو ترف حضاري ، وكدليل على التميز والسمو على العامة أو الناس « العاديين » ، وفى نفس الوقت تأثرت أوروبا بالمجتمع الاسلامى المتقدم ، الذى كان بتفوقه الحضارى على جميع الأصعدة ، يشكل المثل الأعلى للنخبة الأوربية التى أتيحت لها الفرصة للدراسة في الجامعات الاسلامية ، أو زيارة مدن النور الاسلامية ، فتعرفوا على تلك الحضارة الزاهرة والمتفوقة والمترفة في نفس الوقت . .

فإذا كان الجاحظ كما أشرنا تأثر بمحاورات الغلمان والجوارى في التراث الاغريقي ــ الروماني فقد أثر بدوره في الفكر الأوروبي فانتشرت محاورة « هيلين

وجاينميد » أو أيهما أقدر على امتاع كبير الآلهة الشبق [1] وأصبح « جاينميد » يتبع الذوق العربي [2] فهو يوصف بأن « لحيته لم تنبت بعد » بينما سجل بلوتراك أن سقراط « أحب Alcibiads بعد أن نبتت لحية الفتى » .

واذا كنا نسلم بوجود اللواط كظاهرة حضارية في المجتمع الاسلامي ، والأدب الاسلامي واذا كنا نؤكد المبالغة والتعصب من جانب الفكر المسيحي في اتهام الحضارة الاسلامية باللواط .. وذلك بهدف تعبئة الجماهير المسيحية ضد المسلمين . وأيضا القضاء على هذه الظاهرة في المجتمع المسيحي الصاعد . فإننا أيضا نحب أن نلفت الأنظار إلى بعض الملاحظات قبل أن ننتقل إلى تطور الموقف المسيحي من اللواط .

١ ـــ مبالغة الدراسات الغربية في اكتشاف اللواط ، خلف كل لفتة أو علاقة بين ذكرين أو أنثيين .. فهم في الغرب ، لا يعرفون الصداقة أو التحاب بدون جنس ، ومازال الناس يستنكرون فى أوروبا وأمريكا ، رؤية ذكرين يمشيان في الطريق وقد تشابكت أيديهما ، فضلا عن لف الذراع حول العنق بالتبادل ، كما يمشي الولدان والبنات في الشرق ، بل إن بعض الأبناء من المشرق، كان يتحرج من مسك يد أبيه أو معانقته في بلاد الغرب حتى لا يتهمهما الغربيون ! ولذا فالز م مثلا بوجود علاقة جنسية بين المعتمد والشاعر ابن عمار لمجرد أن « الامير ، يكن يطيق فراقه ساعة واحدة لا في الليل ولا في النهار » [3] اتهام لا :ليل عليه إلا هذا الشك الغربي أو الذعر الغربي من أية علاقة حميمة بين ذكرين ! .

٢ ـــ وهذا يقودنا إلى ملحوظة أخرى وهي ان المجتمع العربي لم يعرف

---

١ ـــ وصف أحد آلهة الاغريق بأنه كان في حالة انتصاب دائم .

٢ ـــ قال مؤلف « المسيحية واللواط » ان مناظرة هيلين وجاينميد في القرن الثانى عشر متأثرة بألف ليلة أو حكاية « بدور » .

٣ ـــ عن جون بوزول ص ٢٨ .

كظاهرة ، اللواط بين الرجال ، [1] ولا في أحلك عصوره ، وهي ظاهرة شائعة في الغرب الآن ، وفي الحضارة الرومانية بالذات [2] أما في الحضارة الاسلامية ، فكانت تدور حول عشق الغلام وهو ما بين البلوغ وظهور اللحية ، التى يعتبر ظهورها نهاية للمرحلة ولا يجوز بعدها مطارحته الهوى ، أو توقع ذلك الفعل منه ولذلك يشكو الشاعر اللوطي :

نبتت لحية شقران [3] حبيب الروح بعدى

حُلقت كيف أتته قبل أن ينجز وعدى

ويتغزل آخر في غلام فيصفه بأنه : وأخضر فوق حجاب الدر عاذره .

وفى رواية :

لما استقل بأرداف تجاذبه وأخضر فوق حجاب الدر شاربه

وقال :

بدر من الانس حفته كواكبه قد لاح عارضه واخضر شاربه

والشارب هو أول ما ينبت للغلمان ، والاخضرار هو بداية ظهور اللون قبل أن يشتد ويسود . .

---

١ ـــ سجل الجبرتى بارتياع شديد ظهور فرقة من أوباش الامبراطورية العثمانية « يلوطون بالاختيارية » واعتبر ذلك من الفظائع ! .

٢ ـــ الاغريق عرفوا عشق الغلام الذى جاوز سن البلوغ ولكن لم يصبح رجلا بعد وهى Pederasty ومن دراسة للمزهريات الجنسية الاغريقية كانت أغلبية صور اللواطة الكبرى المرسومة عليها من نفس السن أى الكبار وهم الذين رسموا في حالة الوطء ، ولكن الاكثر شيوعا ، هو التفخيذ أو عبث الكبير بعورة غلام جاوز سن البلوغ ، ولكن عند الاغريق أيضا ان الديمقراطية أسسها لوطيان قادا معركة ضد طاغية أثينا فهما كانا قد تجاوزا مرحلة المراهقة بل والشباب ، وفرقة طيبة المقدسة من المحاربين كانت تتكون أساسا من عشاق ومعشوقين على علاقة حب وجنس أى لواط بين مقاتلين وليس غلمان ، واشاد الفلاسفة باللواط بين المحاربين « لانهم عندما يقاتلون جنبا إلى جنب لا يمكن هزيمتهم لأن العاشق يقبل الموت ولا الاهانة امام معشوقه » .

٣ ـــ واضح من اسمه انه علام رومى .. أو ربما أوروبى أشقر .

وعـــذار زانـــه مـــن زغب الشعـــر لجـــام
فابـــن لـــي أكعـــابٌ أنت أم أنت غـــلام ؟!

أما الغلام المحترف أو الفاعل . المضطر للبقاء في المرحلة ، فكان يحاول اطالة عمره المهني باخفاء انذارات التقاعد المتمثلة في بداية ظهور شعر اللحية ولذا يقول له مزاحمه أو مخاصمه : أأنت تقلع ما الله يزرع ؟!

فاليوم اذ نبتت بوجـهك لحيـة
وذهبت بملحك ملء كف القابض
مثل السلافة عاد خمر عصيرهـا
بعـد اللـذاذة خلٌّ خمـر حـامض

أو يعزيه فاجر :

فإن تك قد سالت نجديه لحية فباطن ....

تذكر أخي ما قد مضى من شبابه !!

قال الوشاة بدت في الخد لحيته
فقـلت لا تكثـروا مـاذاك عائبـه
وصار من كان يلحى في مودتـه
ان سيل عني وعنه قال صاحبه !

فاللواط فى الادب العربي كان يدور حول هذا اللون من العشق لمرحلة معينة في عمر الفتى ، أو الأمرد وهو الوصف الشائع في الغزل والأدب وفي النصوص الناهية والمحذرة من التطلع اليهم لما بهم من فتنة في تلك السن ، لمن به ميل للواط .. ولعل هذا هو سر وعده سبحانه وتعالى للذين يعفون ويكبحون شهواتهم « بولدان مخلدين » . واللفظ المختار شديد التوفيق والتعبير ، أى ولدان خالدى الولدنة ، أى لا يتجاوزون تلك المرحلة التى تفتن العربي المصاب بهذا الداء ، بل تثبت الدراسات أنها السن التى تغوى الغالبية العظمى من الذكور الذين سجل لهم ميل لوطي مؤقت فمن قاومها وكبح نفسه عن الفعل ، فله في الجنة ما اشتهى .

تماما كما للشاب العفيف الذي صان نفسه عن الزنا بالفتاة التى اشتهى ، فله في الجنة « حور عين » كلما فض بكارة واحدة عادت بكرا ولو فضها سبعين مرة في الليلة ، فما أحلى البكارة في زمن الخلود الذى تسقط فيه الخبرة ، كذلك من عف نفسه عن الغلام الأمرد فله في الجنة « ولدان مخلدون » أى غلام يبقى أمرد إلى الأبد .. وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان ؟! ولنا إفاضة .

ومن مراجعة لأشعار بعض اللوطيين أو بالأحرى إمامهم نجد أن الغلام المعشوق يدور حول هذا السن ... أو على وشك (محتلم هنا اشارة إلى سن البلوغ) .

حين أوفى على ثلاث ، وعشر   لم يطل عهد أذنه بالشنوف
فيه غُنّةُ الصِّبا تعتليها   بُحَّةُ الاحتلام للتشريف
حين رامى النساء منه بعين   وطوى اختها من التخويف

والشنوف هو الحلق ويفهم انهم كانوا يضعون حلقانا في آذان الصبية إلى سن البلوغ ، وهذا من التخنث الذى يصاحب مراحل الترف والانهيار الحضارى ويرى الآن في أوروبا وأمريكا ..

وآخر يهبط بالسن إلى :

ابن ثمان بعدها أربع   طفل وكهل السن فى ظرفه

ثم يهبط آخر اكثر :

شادن يكتب فى اللو   ح لتعليم هجاه
ان الذى يتمنى حبه   أمرد من نشىء الدواوين
قد نشر الطومار في حجره   مبتدئا بالباء والسين

٣ ــ أنها كانت ظاهرة ترف حضارى ، ومن ثم شاعت في الأعمال الفنية ، فلا يكاد يخلو ديوان شاعر ابتداء من العصر العباسى الثانى ، ملكا كان أو أميرا أو فقيها أو متأدبا من غزل في غلام ، وليس من المبالغة القول بأن التراث الأدبي

العربي في عشق الغلمان يفوق تراث الانسانية مجتمعة حتى النصف الثاني من القرن العشرين بل نقول ان الممارسة اليوم في الغرب أعلى نسبة بدون شك ، كذلك فالكتابة قد تكون من ناحية الكم أكبر ، وأكثر ابتذالا ، إلا أن الاعمال الفنية التي تستحق هذه التسمية قليلة جدا بعكس الحال في الحضارة الاسلامية * ، حيث

---

* ولاحظ ان الأدب المكشوف أو ما يسمى بالبرونجرافي الذى وصلنا كان قاصرا على الجنس بين الرجل والمرأة .. ولكن بعض أشعار أشهر لوطى في الادب العربي « أبو نواس » لا يمكن ادراجها في الفن .. فهي تدور حول السروال وحل التكة .. حتى ليمكن وصفها بأدب « التكة » .

تمد بها السيك يدا غلام | أغن كأنه رشأ ربيب
يجر لك العنان اذا حساها | ويفتح عقد تكته الدبيب

وغزال تشره النفوس إلى حل إزاره
سكبت له منها فخر لوجهه | وامكن منه ما تحيط به الأزر

اسلس لي حل سراويله | من بعد افضائى إلى الياس
فقام يسحب اذيالا منعمةً قد مسها من يدى ظلمٌ وعدوان

يقول : يا أسفى والدمع يغلبهُ
هتكت منى الذى قد كان يُصطانُ
فقلت ليثُ رأى ظبيا فواثبه
كذا صروف ليالي الدهر ألوانُ

فحللنا هناك تكة خز
وحسرنا قباءه الديباجا
مزج الكأس لى غزال أديب
هاشمي أصاب فيها المزاجا

إلى أن ينتهى معه كالعادة بحل التكة :

فقمت حتى حللت مئزره ..
.... !

إذا ما وطىء الأمر | دللعلم حصى المسجد
فقد حل لنا عقدا | من التكة تستعقد !=

تجد المؤرخ يورد ترجمة أحد المشاهير ، وبدون أية رغبة في التشهير أو الادهاش بل بعد أن يشهد له بالعفة والتقوى والصلاح وطيب السيرة ، يصرعك بقوله : « وله ــ غفر الله له ــ في غلام » ثم يورد بضعة أبيات غزل في غلام قد تكون متقنة أو ركيكة حسب مستوى العصر . ولكن ذلك لا يعنى أنهم جميعا قد ما رسوه ، أو أن نسبة الممارسة كانت بنسبة الأقوال الفنية ، ولو أُدين عمر بن أبي ربيعة بكل بيت قاله بتهمة الزنا لأدمى ظهره الجلد أو لرجم بعد أول قصيدة .. ولما حاول أمير المؤمنين أن يدين شاعراً بشرب الخمر استنادا إلى إجادته وصفها ، رد الشاعر بأن معرفة الخليفة بدقة وصف الشاعر أدعى للشبهة ، فأسقط في يد الخليفة . فالحديث عن الغلمان وعشقهم انما كان وثيقة مرور إلى المجتمع الثقافي ، وبطاقة عضوية في نادى الصفوة ، ولذلك لا نتصور وقوع ، ولا نفهم استدلال مؤرخ اللواط في المسيحية ، على اباحة اللواط من قصيدة خيالية لابن الفرا ، معلم الصبية في « المرية » بالأندلس التى يزعم فيها أنه اشتكى غلامه المتمنع إلى قاضى البلدة ، فحكم القاضى بأن الجمال هو للاستمتاع . عندها عانق المعلم فتاه [1] بأمر المحكمة عناق اللام للألف . وبلغ من اقتناع الغلام بقرار المحكمة أنه طلب من الله أن يغفر له خطيئة التمنع . هذه خيالات فكرية لحضارة غاربة ولا تنس أن بقايا مدينة « المرية » هذه يحملون مفاتيح بيوتهم في الاندلس الضائع إلى اليوم في منفاهم بالمغرب .

وهذا ليس اعتذار ولا تطييبا لخاطر القارىء المسلم ، فنحن نعتقد أن المجاهرة

=وإنــــي رأيت سراويلــــه   لهـا تكـة اشتهـي جرهـا
ولا سيمـا وقـد غيـر   تُ عقـد ربـاط تكتـه !
وكـنت فيمـا بيـن ذا ربمـا   ادنيـت خلخاليـة مـن شَنْفِــهِ

والشنف هو الحلق في الاذن ... و لعلها هنا جارية والله أعلم ..

١ ــ ويقول الشاعر المصرى الفاسق فى غلام كان يعمل صبيا في محل يملكه رجل اسمه موسى:
كفرت بموسى وآمنت بفتاه ! .

أخطر على المجتمع من الفعل ذاته ، ونعتقد أن الممارسة موجودة فى سائر المجتمعات وفي جميع المراحل أو حتى الرغبة لكى لانتهم بالمبالغة . ولكن المجاهرة ، ولو « أفلاطونية » هي مؤشر الانهيار الحضارى ، وهي من باب فسوق مترفيها ، فالمهم هو الموقف الحضارى والمناخ الذى تخلقه ، وهذا هو أساس التحريم .. وهى الفاحشة .. وسبحان من اختار لفظة الفسق .. فى حديثه عن انهيار الأمم .. فقال أمرنا مترفيها ففسقوا فيها .. وإليك صورة من فسق مترفيها وانحلال الأمم ، وردت فى كتاب يعد من أبرز المؤلفات الأندلسية : « طوق الحمامة » من تأليف الإمام الفقيه « أبى محمد بن حزم » المتوفى سنة ٤٥٦هـ . .

وكان مستقبل الصراع الحضارى فى « أندلسنا » قد حسم لصالح المتخلفين ، لولا هبة « متخلفة » من الشاطىء الافريقي الإسلامى ، أخرت ابادة المسلمين .

كما كانت الحضارة المسيحية ــ الاوروبية لا تزال بحاجة إلى وقت لتستكمل مؤهلات الوراثة . (و لاحظ وصف منحلي الأندلس لمنقذيهم من الشاطىء الإفريقى بالبربر والمتخلفين .. الخ)

وهذه بعض نماذج مما ورد في الكتاب ، بل إليك حكاية تداولتها الكتب عن المؤلف ، وأوردها الناشر فى عام ١٩٦٤ ميلادية بدون تعليق !!

« مر يوماً هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الحطابين بمدينة أشبيليه ، فلقيهما شاب حسن الوجه ، فقال أبو محمد (ابن حزم ج) هذه صورة حسنة ، فقال له أبو عمـر : لم نر إلا الوجه فلعل ما سترته الثياب ليس كذلك » فقال ابن حزم ارتجالا :

« وذى عذل فيمن سبانى حسنه .. الخ » .

والكتاب وضعه مؤلفه بناء على طلب صديق كلفه أعزه الله بأن يصنف له : « رسالة في صفة الحب ومعانيه واسبابه وأعراضه وما يقع فيه » .

انتهى عصر الاستفتاء في الصلاة والإيمان والجهاد ، بل حتى فى الاعتزال والكلام وأصبحوا يكلفون الكتاب بوضع مؤلفات في الحب ، وهناك بالطبع من ألفوا بناء على « طلب الجمهور » في أوضاع الجنس .. وقد أحسن ابن حزم إذ حصر كتابه فى مشاهداته ، فلم يستعرض الحب من بدء التاريخ ، ومن ثم كانت فرصته أكبر في تقديم شريحة أكبر من حياة مجتمعه ، وان تكن مجرد شريحة ميكروسكوبية .. كذلك اعترف بتناقض أو تباين سبيل عصره عن سبيل العرب الأقدمين (الذين أورثوهم الأندلس فضيعوها) : « فسبيلهم غير سبيلنا » . .

والكتاب من ثلاثين بابا : فى أصول الحب عشرة ، وفى أعراض الحب اثنا عشر بابا . وفى الآفات الداخلة على الحب ستة أبواب ، ثم بابان في قبح المعصية ، والتعفف !! .

هذه حضارة وصلت إلى ذروة الترف ، نضجت وتعفنت وآن سقوطها ، خاصة وحفار قبرها يعيش متربصا بينها .

وهذا الكتاب الذى وضعه فى الحب ، تجده يكشف فيه دون قصد عن بعض ثقافته ، فهو يتحدث عن المغناطيس واتفاق أو اتصال جوهره مع جوهر الحديد ، وقوانين الحركة التي تحكم العلاقة بينهما . ثم ينقل عن « أفلاطون » دون أن يعرف قراءه به ، واعيا بأنه أشهر من أن يعرف لقرائه هؤلاء . وينقل من قراءاته في السفر الأول من التوراة ، ويستنتج معلومات شائعة ولكن غير مؤكدة عما تسميه العامة بالوحم .. ثم يتفلسف فيورد قصيدة له اشتهرت « بالادراك المتوهم »[1] .. حافلة بالجدلية قبل أن تصل إلى علم « هيجل » الفيلسوف الألمانى فى القرن التاسع عشر .

يقول ابن حزم :

تـرى كـــل ضد بـــه قائمـــا

فكيـف تجـد اختـلاف المعانـــى

---

١ ــ وهو عنوان من أدب اللا معقول الذى انتشر الآن فى أوروبا .

فيا أيها الجسم لاذا جهات ..
ويا عرضا ثابتا غير فان

ويقول : « والأضداد أنداد .. والأشياء إذا أفرطت في غايات تضادها ووقفت في انتهاء حدود اختلافها تشابهت » .

ويورد في شعره مبدأ التثنية المنسوب إلى « مانى » .

ويقدم لنا معلوماته في علم الضوء ، وهى بالطبع النظرية الخطأ التى سادت فترة طويلة ، عن خروج شعاع من العين يقع على الجسم فيراه . غير أن أخطر ما فى حديثه ـــ وإن ضاعت للأسف تفاصيله ـــ هو إشارته لوجود رأى مخالف لذلك هو رأي « صالح غلام أبي إسحاق النظام » الذى « خالف فى الإدراك فهو قول ساقط لم يوافقه عليه أحد » !! .

فهل يكون صالح هذا الأب الحقيقي لعلم الضوء الصحيح ؟! .. ولاحظ أن هذا العالم فى الضوء الذى « خالف » النظرية السائدة فى عصره هو غلام أبى إسحاق أى عبده .. واستنتج ما شئت عن وضع العبيد فى دولة المسلمين ووضعهم بعد سبعة قرون فى العالم الجديد !! .

وهو يدرك تفوق سرعة الضوء على الصوت ، أو بتعبيره سبق الرؤية على السمع . .

وهو يشرح لنا الفلك ويعرفنا أن الزمان هو حركة المادة فى المكان وهو تعريف حديث جدا ولكن أبا محمد لم يبعد عنه كثيرا عندما قال إن الزمان « اسم موضوع لمرور الساعات وقطع الفلك وحركاته وأجرامه » .

وتعرف منه أن هناك خلافا بين علماء عصره حول الظل وهل هو متماد أم لا..

وتعرف أنهم كانوا يعالجون الأمراض النفسية بنجاح ، كما عولجت بنت أحد القواد التي اشتد بها حب زميل لها من أبناء الكتاب .. « إلى أن تدوركت بالعلاج » .

وهو إفراز مجتمع مفتوح ، بل « متحرر » إلى حد التحلل .. تحتل المرأة فيه مكانة خاصة ، وتمارس جميع أوجه الحياة باستثناء القوات المسلحة على الأرجح ، فهو نفسه يقول فى ترجمته الشخصية انه تربى « فى حجور النساء ولم يعرف غيرهن ولا جالست الرجال إلا وأنا فى حد الشباب » . .

ولنا أن نستنتج أنه يدين بتعليمه الذى ألم بكل فن ، وجعل منه فقيها أديبا ملما بكل معرفة العصر من علم الضوء إلى فلسفة الإغريق ، يدين بهذا كله إلى معلمات من النساء .. ! .. وهو أيضا يعطينا فكرة عن الوظائف التى كانت تمارسها المرأة ، خلال حديثه عن رسولة الغرام ، وليس من باب حصر الوظائف .. ومن ثم ربما كان من حقنا أن نقبل هذا التعداد على سبيل المثال لا الحصر .. فمنهن :

« الطبيبة والحجامة والسراقة والدلالة والمشاطة والنائحة والمغنية والكاهنة والمعلمة والمستخفة والصناع فى المغزل والنسيج وما أشبه ذلك » .

وكان الرجال يجلسون مع النساء أو الضيوف مع الرجل وأهله ولا يستنكر ذلك الإمام الفقيه ابن حزم، بل ولا حتى يحتاج منه إلى تعليق ، وإنما علمنا ذلك من خلال غضبته على التحلل الذى جعل رب البيت يتغاضى عن مغازلة ضيوفه لأهله بل وأكثر من المغازلة ، فليس الاختلاط هو ما يثير شيخنا ، بل « الديوث » كما قال وهو المفرط فى عرضه وعرض أهله وعلنا ! . يقول :

« أذكر أنى كنت فى مجلس اخوان لنا ، عند بعض مياسير أهل بلدنا ، فرأيت بين بعض من حضر وبين من كان بالحضرة أيضا من أهل صاحب المجلس ، أمراً أنكرته وغمزاً استبشعته ، وخلوات الحين بعد الحين ، وصاحب المجلس كالغائب أو النائم ، فنبهته بالتعريض فلم يتنبه ، وحركته بالتصريح فلم يتحرك فجعلت أكرر عليه بيتين قديمين لعله يفطن وهما هذان :

إن اخوانه المقيمين بالأمـ ـس أتوا للزنا لا للغناء
قطعوا أمرهم وأنت حمار موقر من بلادة وغباء

وأكثرت من انشادهما ، حتى قال لى صاحب المجلس : قد أمللتنا من

سماعهما ، فتفضل بتركهما أو إنشاد غيرهما ، فأمسكت وأنا لا أدرى أغافل هو أم متغافل ؟ .

ونحن بدورنا لا ندرى أمغفل ابن حزم أم متغافل ؟

وهو مجتمع شديد الثراء مسرف فى الترف والبذخ ، اذ يزعم لنا ابن حزم أنه لم يشهد عاشقين « قط » ــ وهو مؤرخ العشاق « إلا وهما يتهاديان خصل الشعر مبخرة بالعنبر ، مرشوشة بماء الورد ، وقد جمعت فى أصلها بالمصطكى وبالشمع الأبيض المصفى ولفت فى تطاريف الوشى والخز » ! .

وأهدت شجن جارية المتوكل إليه : « عشرين غزالا بعشرين سرجا صينيا ، على كل غزال خرج صغير من ذهب مشبك فيه المسك والعنبر وانواع الطيب المرتفعة . مع كل غزال وصيفة بمنطقة من ذهب فى رأسه جوهرة ياقوت أو زمرد أو غيرها من الجواهر الجليلة القدر » (التحف والهدايا) . (نشره سامى الدهان . دار المعارف بمصر) .

ملوك أوربا مجتمعين ، ما كان بطاقتهم هذا الترف الباهظ الثمن ، والشائع فى جميع عشاق الأندلس الذين يعرفهم ابن حزم ! .

وماذا بعد الترف ، إلا « الفسوق » وماذا بعد الفسوق إلا الانحلال . ثم الملل .

وقد رأينا صورة من التحلل فى حديث الرجل الذى يسمح بمغازلة الضيوف لأهله ! ، ولكنه يقدم لنا صورة أبشع وكأنه يتحدث عن سان فرنسيسكو فى السبعينيات ، أو الستينيات من هذا القرن ، حيث أصبح الشخص الثالث ، أو الجنس الثلاثى ، أو اللغز الإغريقي ، أو الأسطورة النواسية ، شائعة ، حتى أورد عنها ابن حزم مثالين في كتابه ! وهو أن يعشق الرجل الفتى ، ويعشق الفتى زوجة الرجل ، والعياذ بالله .. يحدثنا الإمام الفقيه عما :

« دهم عبيد الله بن يحيى الأزدى المعروف بابن الحريرى ، فإنه رضى باهمال داره وإباحة حريمه والتعريض بأهله طمعا فى الحصول على بغيته من فتى كان

علقه . نعوذ بالله من الضلال . حتى لقد صار المسكين حديثا تعمر به المحافل وتصاغ فيه الأشعار ، وهو الذى تسميه العرب الديوث .

وفيه يقول عيسى بن محمد بن محمد الحولانى :

يا جاعلا اخراج حر نسائه   شركا لصيد جآذر الغزلان
انى أرى شركا يمزق ثم لا   تحظى بغير مذلة الحرمان

وقال هو (ابن حزم) فيه :

ويأخذ ميما باعطاء هاء   ألا هكذا فليكن ذو النواهى
ويبدل أرضا تغذى النبات   بأرض تحف بشوك العضاه
لقد خاب فى تجره ذو ابتياع   مهب الرياح بمجرى المياه

ويزعم أنه سمع هذا الديوث ، فى المسجد الجامع (!) يستعيذ بالله من العصمة كما يستعاذ به من الخذلان !! »* .

هذه صورة لا تحتاج لتعليق .. رجل يسأل الله أن يحميه من « العصمة » ، ويبعد عنه الفضيلة والعفة ، ويديم عليه نعمة الفسوق .. وفى المسجد الجامع وبحيث يسمعه الناس ! .

فحق عليها العذاب . .

أما عن الملل فهاك صورة لا تقل بلاغة وتعبيراً عن : « أبى عامر محمد بن عامر رحمه الله كان شديد الملل . يحب الجارية ثم يملها فى ساعات » حتى أتلف فيما ذكرنا عشرات ألوف الدنانير عددا عظيما . وكان رحمه الله مع هذا من أهل الأدب والحذق والذكاء والنبل والحلاوة والتوقد مع الشرف العظيم والمنصب الفخم والجاه العريض .. وأما حسن وجهه وكمال صورته فشيء تقف الحدود

---

* وقال آخر :

ما لما بي منك من فرج   لا ابتلاني الله بالفرج !

عنه وتكل الأوهام عن وصف أقله ولا يتعاطى أحد وصفه . ولقد كانت الشوارع تخلو من السيارة ويتعمدون الحضور عند باب داره فى الشارع الآخذ من النهر الصغير على باب دارنا في الجانب الشرقي بقرطبة إلى الدرب المتصل بقصر الزاهرة لا لشيء إلا للنظر منه . ولقد مات من محبته جوار ، كن علقن أوهامهن به ، وكان رحمه الله يخبرنى أنه يمل اسمه فضلا عن غير ذلك ، وكان لا يثبت على زى واحد كأبى براقش ، حينا يكون فى ملابس الملوك وحينا فى ملابس الفتاك » .

ولا أظن أن هناك صورة أصدق تعبيراً عن الملل والتعفن الحضارى مثل هذه الصورة التى تذكرنا بأباطرة روما والطبقة الحاكمة فى « بومبى » قبل الزلزال والغزو البربرى .. وسقوط الامبراطورية وانتصار المسيحية . وعندما تصبح الطبقة الحاكمة فريسة هذا الملل ، فإنها تفقد حتى الرغبة فى الاستمرار ، بل إنها تتمنى فى اللاوعى أن يأتى من يخلصها من هذا الملل بالقضاء على وجودها. الذي أصبحت تمله ، كما يمل أبو عامر اسمه .

وسبب الملل واضح : فى حكاية ابى عامر ، فقد اوتى كل شيء ، فلم يعد يتمنى شيئا ولا يصبر على شيء، ونفس القاعدة تنطبق على الحضارة ، عندما تصل إلى الاختناق فلا انقلاب تكنولوجى يفتح آفاقا جديدة ولا حاجة فى إطار العصر تفتقدها الأمة ، فيبدأ الترف والانحلال فالملل ... وتحين الفرصة للعدو المحروم الأقل « تمدنا » فيضرب ضربته ويدمر الحضارة الآفلة .

ونعرف من « ابن حزم » أن حماماتهم كانت مزدانة بصور مثيرة تعشق ، فهو يقول لصاحبه الذى يعشق طيفا رآه فى المنام « لو عشقت صورة من صور الحمام لكنت عندى أعذر » .

ولا شك أن القصور وغرف النوم كان بها مثل هذه التصاوير أو أشد . ! .

ومن دلائل الانحراف الحضارى، انه هو ووالده لا يحبون إلا « شقراء الشعر » وهى الأوربية ، المسيحية غالبا ، أى الخصم الحضارى المتربص .. والناس على

دين ملوكهم فكل « خلفاء بني مروان ، ولا سيما ولد الناصر منهم كلهم مجبولون على تفضيل الشقرة . وقد رأيناهم ورأينا من رآهم من لدن دولة الناصر إلى الآن فما منهم إلا أشقر » .

وهذا التذوق ، لم يكن مسألة شخصية ، ومعاداتها لم تكن عنصرية ، بل عصبية حضارية وقومية . لأن الأمة كانت سمراء سوداء الشعر ، ومن ثم ، فهذا الميل للون خصمها الحضارى من الطبيعى أن يثيرها ، وأن يقلقها ، ولذلك كانت المقايس العامة لدى الجمهور ضد الشقر ويرد عليهم ابن حزم بلسان الطبقة المترفة التى انفصلت عن جماهيرها وفقدت الاهتمام بالبقاء الحضارى ، منصرفة إلى لذاتها الفردية البيولوجية :

يعيبونها عندى بشقرة شعرها
فقلت لهم هذا الذى زانها عندى
يعيبون لون النور والتبر ضلة
لرأى جهول فى الغواية ممتد

ثم يسب اللون الأسود ، وهو لون الأمة ، ولون المغاربة الذين سينقذونهم من يد الأسبان لفترة .

« وأبعد خلق الله من كل حكمة .. مفضل جرم فاحم اللون مُسود » .

وعلى الجانب الآخر من الحضارة الآفلة ، فى المشرق ، سنلاحظ أن أشهر لوطي . الذى كان يصول ويجول في بلاط الخليفة العربي . وفى عاصمة العباسيين . قد نسج شعره ، من ثلاثة عناصر .. اللواطة .. الخمر .. ثم الكيد للعرب سب حضارتهم وتاريخهم وقبائلهم وطباعهم .. ولكن أخطر من ذلك هو سخريته الفاجرة بالدين ، تحريضه على ترك الجهاد .. والدعوة للترف والحض على الفسق والنفور من القتال أو فروسيته. وملخص شعره في هذا الباب سنجده فى شعار انطلق فى امريكا في السيتينات مؤذنا بهزيمتهم في حرب فيتنام وهو : Make Love not war أى مارس الجنس بدلا من الحرب . .

وشعر أبي نواس فى السخرية من الدين والفروسية وحب الحياة في أعنف صور انحلالها هى صفات مطلوبة لتحقيق الهزيمة الحضارية ، فهم أصحاب لذة لا قتال ، وهم يعجبون بجمال العدو .. ثم تصرفاته .. ثم دينه .. وسنطيل الاستشهاد هنا ، وكما قلنا ، ليس المهم ان يكفر شاعر أو أن ينحل مثقف ، بل العجيب هو قبول المجتمع لفكره هذا ، وسكوت السلطة بل والاعجاب والمكافأة بشعره وعلى « جمال » فنه ! .. وهكذا نسخ الناسخون هذه الدعوة للهزيمة والتحلل ، وانتشر شعره بين الشباب يلقنهم ما يضمن هزيمتهم في المواجهة مع العدو !

اقرأ هذا الكفر الصريح .. والهزؤ بكل مقدسات الدين :

* * *

فتوى فقيه !

قــل للعــذولِ بحانــة الخمّــــارِ
والشّرْبُ عنــد فصاحــةِ الأوْتــارِ :
إنــى قصدْتُ إلــى فقيــهٍ عالـــمٍ
متــنسِّكٍ ، حَبْــرٍ مــن الأخْبــارِ
متعمِّـــقٍ فـــى دينـــه ، مُتَفَقِّـــهٍ
متــبصِّرٍ فـــى العلـــم والأخبـــارِ
قلت : النّبيذ تحُلُّه ؟ فأجاب : لا
إلّا عُقــــاراً تَرْتمِـــــى بشرارِ
قلت : الصَّلاة ؟ فقال : فرضٌ واجبٌ
صلّ الصلاة ، وبتْ حليفَ عقــارِ
اجمـعْ عليكَ صلاة حَـوْلٍ كامـلٍ
مــن فَــرْضِ ليـلٍ فــاقْضِه بنهــارِ
قلت : الصّيامُ ؟ فقالَ لِي : لا تَنْوِهِ
واشْدُدْ عــرى الإفطــار بالإفطـــارِ
قلت : التَّصَدُّقُ والزَّكَاةُ ؟ فقالَ لِى :
شيء يُعَـــدُّ لآلــــةِ الشُّطَّـــارِ

قلت: المناسكُ إن حَجَجْتُ؟ : فقالَ لِي :

هـذا الـفُضولُ ، وغايـةُ الإدْبــارِ

لا تأتيَــنَّ بــلادَ مكَّـــةَ مخرِمًـــا

ولَـوَ أنَّ مكـة عنْـد بـابِ الــدارِ

قلت : الطُّغاةُ ؟ فقال لي : لا تغزُهم

ولَوَ انَّهمْ قَرُبُوا من الأنبار

سالمهمُ ، واقْتصَّ من أوْلادِهمْ

إنْ كنْتَ ذا حَنَقٍ على الكفّارِ

واطْعَنْ برمْحكَ بَطْنَ تلك ، وظهر ذا

هـذا الجهـادُ فنعْـمَ عُقْبَـى الـدارِ

قلتُ : الأمانةُ هل تُرَدُّ ؟ فقال لي :

لا تَــرْدُدِ القِطْميــرَ مــن قِنْطَـــارِ

لاهُـــمَّ إلّا أن تكــون مُضَمَّنًـــا

ديْنـــا لصاحبِ حانـــةٍ خمّـــارِ

فـــارْدُدْ أمانَتَـــه عليْـــه ، ودَيْنَـــه

واحْتَـلْ لـذاكَ ، ولـو بِبَيْـعِ إزارِ

قلتُ اعتزمتُ . فما ترى فى عازبٍ

متغـرِّبٍ ، متقـاربِ الأسْفـــارِ ؟!

فأجابنــى : لك أنْ تلَــذَّ بزَنْيــةٍ

من جـارةٍ ، وتَلُـوطَ بِابْـنِ الجـارِ

ودنَا إلَيَّ وقـال : نُصْحُكَ واجبٌ

زَيِّـــنْ خِصالكَ هـــذه بقمـــارِ !

* * *

فارس العرب

يـا بشْرُ مالـى والسيـف والحـــربِ
وإنَّ نجْمِــى للَّهْـــوِ والطّـــربِ
فــلا تثِــقْ بِــى فإننــي رجــلٌ
أكــعٌ عنــد اللّقــاءِ والطَّــلَبِ
وإنْ رأَيت الشُّراةَ قــد طلعُــوا
ألْجَمْتُ مُهْرِى من جانبِ الـذّنَبِ
ولستُ أدْرى ما السَّاعدان ، ولا الـ
ـتُّرْسُ ، ومـا بـيْضةٌ مـن اللَّـبَبِ
هَمِّــى إذا ما حروبُهــم غلــبتْ
أيُّ الطَّريقيْــن لـيِ إلـى الهـرَبِ
لـو كـان قصفٌ ، وشرب صافيـة
معْ كل خوْدٍ تختالُ فـى السُّلُبِ
والنــوم عنــد الفتــاة أرشفهـــا
وجدتنــي ثــمَّ فــارسَ العـــربِ

يوم نسك !

فداؤُك نفْسِى قد طَرِبْتُ إلى الكاسِ
وتُقْتُ إلـى سَمِّ الْبَنـفسجِ والآسِ
فهلْ لكَ فى أنْ نجْعل اليوْمَ نُسكَنَا
ونَشْربَها فى البيْتِ سرًّا من الناسِ
فإن فطِنُوا قلنا : نَصَارَى وعيدُهمْ !
وليس لشرب الراح فى العيدِ من بَاسِ
وإنْ أكبروا الإفطارَ أو شنعوا بـه
أعذْنَا لهم يوماً جديداً على الراسِ

أو هذه السخرية من روح الفروسيية التي اقامت الامبراطورية التي يتحلل في ترفها ، وأمنها :

إذا عبأ أبو الهيجا ء للهيجاء فرسانا
وسارت راية الموت امام الشيخ إعلانا
وشبت حربها واشتـ ـعلت تلهب نيرانا
جعلنا الترس ايدينا ونبل القوس سوسانا
وقدمنا مكان النبـ ـل والمِطْرَد ريحانا
فعادت حربنا انسا وعدنا نحن خلانا
اذا ما ضربوا الطبل ضربنا نحن عيدانا
فهذى الحرب لا تغـ ـم الناس عدوانا

اذا ما بدت ازرار جيب قميصه
تطلع منها صورة القمر البدر
فأحسن من ركض الى حومة الوغى
واحسن عندي من خروج الى النحر
فلا خير في قوم تدور عليهم
كؤوس المنايا بالمثقفة السمر
تحياتهم في كل يوم وليلة
ظبا المشرفيات المزبرة للغبر

اشرب فُديتَ .. علانية .. أم التستر زانية !

* * *

غدوت على اللذات متهتك الستر
وافضت بنات السر مني الى الجهر
رضيت من الدنيا بكأس وشادن
تحير في فضله فطن الفكر

وقائل هل تريد الحج قلت لـه

نعـم اذا فنـيت لـذات بغـداذ

فكيف بالحج لي ما دمت منغمسا

فـي بيت قـوادة أو بـيت نبـاذ

* * *

يا أحمد المرتجى في كل نائبـةٍ

قم سيدي نعصي جبار السمـوات

* * * *

ونلـه كيفمـا شئت اقـ تضابـا وعلـى موعـد

وقـل هـذا قضاء اللـ ـه هل تدفع أو تجحـد

* * * *

وكان عرب صدر الاسلام ، يقولون ان اللات والعزى كانتا رجلا وامرأة من الجاهلية ، فسقا في الحرم ، فمسخهما الله حجرين .. من هول ما ارتكبا ثم اقرأ ماذا يجاهر أو يفتخر شاعر عصر الانحلال :

وعاشقيـن التـف خداهمـا

عنـد التئـام الحجـر الاسود

نفعل في المسجد مـا لـم يكـن

يفعلـه الابـرار فـي المسجـد

* * * *

أو سخريته من الحديث ، والمذاهب والصلاة !

قل للمليح أما تروى الحديث بما

خالفت فيه وقد جاءت به الصحف

ان القلـوب لأجنـاد مجنـدة

لله في الأرض بالاهـواء تختلـف

* * * *

فقلت : سوف ... فقالوا ترك الصلاة كبير

فقلت : اكبر منه ظبي ينال غرير

وما لمثلي صلاة لأن فسقي شهير

ان الجنابة ممن جنبت منه طهور

* * * *

اذا قمنا نصلي لم يفرق بيننا أحدُ

احركه اذا قاموا وألمسه اذا قعدوا

وليس خليفة الرحمن يعدلني اذا سجدوا

* * * *

ويهزأ بالقرآن في تبرير لوطيته :

بذا أوصى كتاب الله فينا ... بتفضيل البنين على البنات !

أحسن من سير على ناقة سير على اللذة مقصور

* * * *

أو هذه النعرة الفارسية التي لا تقتصر على سب عادات العرب ، بل وتنتهي بالناقوس والرهبان وليس الآذان .. فهو لا يريد أن يسمع عربيا ولو كان المؤذن :

فلم تزل تعجم الدنيا وتعجمها
حتى تخيرها لِلخَبءِ دِهقان

فصانها في مغار الأرض فاختلفت
على الدفينةِ ازمانٌ وازمانُ

ببلدة لم تَصِلْ كلبُ بها طنبا
الى خباء ولا عبسٌ وذُبْيانُ

ليست لذهل ولا شيبانها وطنا
لكنها لبني الأحرار أوطانُ

ارض تبنّى بها كسرى دساكره
فما بها من بني الرعناء إنسان

وما بهـا من هشيم العرب عرفجةٌ

ولا بها من غذاء العرب خطبان

بتنـا نديـن لابلـيس بطاعتـه

حتى نعى الليل بالناقوس رهبان

لا تـبك للذاهبيـن فـي الظُعُـن

ولا تقـف بالمطيّ فـي الدمـن ..

.. من كف ظبي .. الخ

علـى تماثيـل بنـي بـابكٍ ....

فالنعت ذا لا نعت دار خلت يهيم في اطلالها أحمـقُ

* * * *

بنـات كسـرى خـير مـا بنـات

محتجبـات غيـر باديـات

علـى أمثالهـا كـانت لـكسرى

انـو شروان تتجـر التجـار

لتلك أبكي ، ولا أبكي لمنزلـةٍ

كـانت تحـل بهـا هنـد وأسمـاءُ

حاشا لدرة أن تُبْنَى الخيامُ لهـا

وان تـروح عليهـا الابـلُ والشاءُ

* * * *

قل لمن يبكي علـى رسم درس

واقفـا مـا ضر لـو كـان جـلس

دعِ الاطـلالِ تسفيهـا الجنـوب

وتبلـى عهـد جدتهـا الخطـوبُ

بـلاد نُبتهـا عُشرٌ وطلـحٌ

واكثـر صيدهـا ضبـعٌ وذيب

ولا تأخذ عن الاعراب لهوا

ولا عيشا فعيشهم جديب

دع الألبان يشربها رجال

رقيق العيش بينهم غريبُ

اذا راب الحليب فبل عليه

ولا تُحرَج فما في ذاك حُوبُ

فأطيب منه صافيه شمول

يطوف بكأسها ساق اديب

كأن هديرها في الدُنّ يحكي

قراءة القس قابله الصليب

فهذا العيش لا خِيم البوادي

وهذا العيش لا اللبن الحليب

فأين البدو من ايوان كسرى

واين من الميادين الزروب

وهذا يتضمن السخرية ليس فقط بكل تراث الشعر العربي والفخر باللبن بل حتى بحديث « الفطرة » حيث اختار الرسول اللبن في حديث الاسراء ! ..

* * * *

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند

وأشرب على الورْدِ من حمراء كالوردِ

عاج الشقيُ على دار يسائلها

وعجت اسأل عن خمارة البلد

لا يُرقيءُ عينْي من بكى حجرا

ولا شفي وجد من يصبو الى وَتَدِ

قالوا ذكرت ديار الحيِّ من أسد

لادَرَّ دَرُكَ قل لي من بنو أسدِ

ومن تميم ومن قيس واخوتهم
ليس الاعاريب عند الله من أحَد

* * * *

اسقينها وغن صوتا — لك الخير — أعجما
ليس في نعت دِمْنَةٍ لا ولا زجر أشأما

ألذ إلي من عيش بواد
مع الاعراب مجدوب المكان
قصارى عيشهم أكل لضب
وشرب من حفير في شِنان

* * * *

دع الربع ما للربع فيك لضب
وما إن سبتني زينبُ وكعُوبُ
ولكن سبتني البابلية إنها
لمثلي في طول الزمان سلوبُ

* * * *

اذا ما تميميٌّ أتاك مفاخرا
فقل عَدِّ عن ذا .. كيف اكلك للضَّبِّ
تفاخر ابناء الملوك سفاهة
وبولك يجري فوق ساقك والكعبِ

عاطني كأسَ سلوةٍ
عن أذان المؤذن
اسقني الخمر جهرة
وألطني وأزنني

بكيت وما أبكي على دِمَنٍ قفر
وما بي من عشق فابكي من الهجر

ولكـن حـديث جاءنـا عــن نبينـــا
فذاك الذي اجرى دموعي على النحر
بتحريم شرب الخمر والنهي جاءنا
فلما نهى عنها بكيت على الخمر
فأشربهـــا صبرفـــا وأعلـــم أننــــي
أُعَـزَّرُ فيهـا بالثمانيـن فـي ظهــري

إنها دعوة لتفضيل الدنيا على الدين .. فخسروا الاثنين ، لأن الدنيا عندهم كانت اللذة بل التهتك في اللذة

* * * *

بديــر بهـــراذان لـــي مجـــلس
وملــــــعب وسط بساتينـــــــــه
بكـــل طـــلاب الهـــوى فــــاتك
قـــد آثـــر الدنيـــا علـــى دينـــه

* * * *

يا من يلوم على حمـراء صافيــة
.. صرفي الجنان ودعني اسكن النارا

بل هذا الفاجر جعل القرآن « مزة » لخمره !! ولا أدري كيف تسامحت هذه الحضارة الى حد ترديد ونسخ وحفظ مثل هذا القول :

وضع الـــــزق جانبـــــا .. ومـع الـزقّ مصحفـــا
واحـس مـــن ذا ثلاثـــة واتـل من ذاك أحرفـا(!!)

ويقترن الاعجاب أو المخالطة مع غير المسلمين بذم العرب وشعرهم وتقاليدهم .. فهو هنا مع المسيحيين واليهود ، يسكر ويزني ويلوط « ويمز » بسب العرب .

يسقيها من بني العباد رشا

منتسب عيده الى الأحد

اذا بنى الماء فوقها حببا

صلب فوق الجبين بالزبد

اشربُ من كفِّه شمولا ومن

فيه رضابا يجري على بَرَدِ

فذاك اشهى من البكاء على الـ

ـربع وانمى في الروح والجسد

علقت من شقوتي ومن نكدي

مزنرا والصليب في عنقه

الشرب في ظُلةِ خَمَّارِ

عندي من اللذات يا جاري

لا سيما عند يهودية

حوراء ، مثل القمر الساري

وغزال من بني الأصـ

ـفر معصوب بتاج

وخماره يهودي يزدرى العرب .. بل ويسخر من السموأل بن عاديا الذي كان عربيا يهوديا :

فقلنا له ما الاسم ؟ قال سموأل

على انني اكنى بعمرو ولا عَمْرَا

وما شرفتني كنيةٌ عربيةٌ

ولا اكسبتني لا سناءً ولا فخراً

* * * *

وهذا المتهتك الذي فقد الاهتمام بدينه ، يفتن بعبادة وصلاح الآخرين ! ..

أعدلٍ الى نفرٍ دقت شخوصُهمُ
من العبادةِ الا نضو أشباحِ
يكررون نواقيسا مُرجعةً
على الزبور بامساء واصباح
تنأى بسمعكَ عن صوت نكرَّهُهُ
فلست تسمع فيه صوت فلاّح
الا الدراسة للانجيل من كُتُبٍ
ذِكرَ المسيح بابلاج وافصاحِ

* * * *

بل هو يشتاق الى الخمارة في يوم الأضحى حيث يخالط النصارى !

ومشتاق الى الحانات يوم الذبح والنحر ..

* * * *

وهو لا يترك فرصة للتأويل بل يعلق صراحة :

مزجت ديني بدين الروم فامتزجا ..

* * * *

وينتقل خطوة اخرى بعد المزج هي التخلص من دينه واعتناق دين الروم أو الفرنجة المتربصين .

متخرسنٍ ، دين النصارى دينه
ذي قرطق لم يتصل بنائق
لبق بديع الحسن لو كلمته
لنبذت دينك كله من حالق
والله لولا انني متخوف
ان أُبتلى بامام جور فاسق

لتبعته في دينه، ودخلته
ببصيرة فيه دخول الوامق
اني لا علم أن ربي لم يكن
ليخصه إلا بدين صادق

* * * *

فبروح القدس عيسى وبتعظيم الصليب
يسعى بها من ولد يافث أحورٌ
كقضيب بان فوق دعص أحور[1]

فجاء بها زيتية ذهبية
فلم نستطيع دون السجود لها صبرا
اذا ما دنا وقت الصلاة رأيتهم
يحثونها حتى تفوتهم سكْرَا

يلائمني الحرام اذا اجتمعنا
واجفوا عن ملائمة الحلال

عتقت في الدن حتى
هي في رقة ديني

* * * *

وإذا أجرى أمين الله في الحلبة افراسا
اقمنا حلبة اللهو فاجرينا بها الكاسا

* * * *

فإذا انتقلنا إلى الأندلس نجد أن ابن حزم الذي جمع ثقافة عصره ، خرج شريدا لاجئا بعد أن اجتاح « البربر » مدينته « قرطبة » وكأن تاريخ روما يعيد نفسه ،

---

١ ــ وولد يافث هم الفرنجة .

هو خير نموذج يمكن تقديمه في قضيتنا هذه . ولذا نجد « عشق المذكر » تفوح أدلته في كل أرجاء الكتاب ، والحديث عن جمال الذكور يفوق الحديث عن جمال النساء .. بل إن صياغة الكتاب تغلب عليها لهجة التذكير .. وقد يقال إن هذا ضرب من البلاغة ، وان كانت له روايات واضحة التأنيث ، دون صعوبة لغوية .. كذلك لا يمكن تأويل الجنس في هذه الرواية :

« واخبرت عن بعض السقاط الوضعاء ، انه كان يضع كتاب « محبوبه » على أحليله » .

عبثا نجد مخرجا .. فهذا واحد قطعنا بذكورته بالدليل الملموس .. فلماذا يقول كتاب محبوبه وليس محبوبته ؟! .

ألا يجعلنا هذا الأسلوب نشك في اختيار ابن حزم ، لفظ « الشخص » بدلاً من الفتاة أو الأنثى أو المرأة أو الجارية عندما يتحدث عن نفسه فيقول :

« وما لصق بأحشائي حب قط إلا مع الزمن الطويل . وبعد ملازمة الشخص ، لي دهراً وأخذي معه في كل جد وهزل » .

اما أن نقول إن « الحب » هنا هو الصداقة ولكن بالتعبير الشرقي ، إذ أن أبا محمد غفر الله له ، لم يشأ أن يجنبنا سوء الظن والإثم فما عليه لو قال وبعد ملازمة المرأة أو الفتاة أو الجارية ، أو ما شاء للجزم بأنها أنثى ! فسلم وسلمنا ! .

وهو يقسم بالله أجل الأقسام أنه ما حل مئزره على فرج حرام قط ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزنا مذ عقلت إلى يومي هذا » .

ولا أظن أنه كان بحاجة إلى الزنا « مذ عقل » فالنظام الإسلامي العجيب لا يلجيء شريفا إلى الزنا أبداً .. ولكننا كنا نتمنى لو وسع دائرة القسم ليطمئن قلبنا .

غير أن الظن لا يغني عن الحق شيئا .. ولذلك لن نستشهد إلا بالروايات الصريحة التي أوردها « ابن حزم » ويتحمل مسئوليتها أمام التاريخ والله ... .

« وأخبرني بعض إخواني عن سليمان بن أحمد الشاعر أنه رأى ابن سهل الحاجب بجزيرة صقلية ، وذكر أنه كان غاية في الجمال .. وامرأة خلفه تنظر إليه .. فلما أبعد أتت إلى المكان الذي قد أثر فيه مشيه فجعلت تقبله وتلثم الأرض التي فيها أثر رجله » .

ويزعم ابن حزم « ويحكي عن الحسن بن هانيء أنه كان مغرما بحب محمد بن هارون المعروف بابن زبيدة وأحس منه ببعض ذلك فانتهره على ادامة النظر اليه ، فذكر عنه أنه قال إنه كان لا يقدر أن يديم النظر إليه إلا مع غلبة السكر على محمد » .

ويحكى لنا عن فتى من أهل « قرطبة » من أبناء الكتاب وجلة الخدمة من اسمه « أحمد بن فتح » . « من بغاة العلم وطلاب الأدب .. ثم باعدت الأقدار بيني وبينه ، فأول خبر طرأ على بعد نزولي شاطبة أنه خلع عذاره في حب فتى من أبناء الفنانين يسمى ابراهيم بن أحمد أعرفه (؟!ج) لا تستأهل صفاته محبة من بيته خير وتقدم ، وأموال عريضة ووفر تالد .. » ..

لاحظ نوعية الاعتراض . ولاحظ أن أغلب العاشقين من أبناء « الكتاب » وبغاة العلم والأدب أو الأمراء وهم الطبقة المثقفة . وأغلب المعشوقين من أبناء القواد العسكر ، أو المماليك المجلوبين أو الفنانين .

وحدثني أبو دلف الوراق عن مسلمة بن أحمد الفيلسوف المعروف بالمرجيطي أنه قال في المسجد الذي بشرقى مقبرة قريش بقرطبة الموازي لدار الوزير ابن عمر .. في هذا المسجد كان مقدم بن الأصفر مريضا أيام حداثته لعشق « بعجيب » فتى الوزير ابن عمر المذكور .. وكان يترك الصلاة في مسجد مسرور وبها كان سكناه ، ويقصد في الليل والنهار إلى هذا المسجد بسبب « عجيب » حتى أخذه الحرس غير ما مرة في الليل .. وكان يقعد وينظر منه إلى أن كان الفتى يغضب ويضجر ويقوم إليه فيوجعه ضربا ويلطم خديه وعينيه ، فيسر بذلك ويقول : هذا والله أقصى أمنيتي والآن قرت عيني » .

وكلما زادت حصة « الفتى » من الحضارة والثقافة ، قل غيظه وتمنعه ، وأصبح أكثر « انفتاحا » وتقبلا لهذا اللون من الحب .. قال ابن حزم :

« حدثني أبو السرى عمار بن زياد صاحبنا عمن يثق فيه ، ان الكاتب ابن قزمان امتحن بمحبة أسلم بن عبد العزيز أخى الحاجب هاشم بن عبد العزيز ، وكان أسلم غاية في الجمال ، حتى أضجره لما به وأوقعه في أسباب المنية إلى أن توفى أسفا ودنفا . قال المخبر : فأخبرت أسلم بعد وفاته بسبب علته وموته فتأسف وقال : هلا أعلمتني ؟ فقلت ولم ؟ قال : كنت والله أزيد في صلته وما أكاد أفارقه ، فما علي في ذلك ضرر . فكان أسلم هذا من أهل الأدب البارع والتفنن ، مع حظ من الفقه وافر ، وذا بصارة في الشعر ، وله شعر جيد ، وله معرفة بالأغاني وتصرفها ، وهو صاحب تآليف في طرائق غناء زرياب وأخباره . وهو ديوان عجيب جدا . وكان أحسن الناس خَلقا وخُلقا . وهو والد أبي الجعد الذي كان ساكنا بالجانب الغربي من قرطبة » .

ولا أظن أن ابن قزمان قد عشق « أسلم » هذا بعد أن أنتج كل هذا .. وإنما الأرجح أنه كان في شبابه عندما فتن به . وتأريخ ابن حزم لأسلم بعدما اشتهر وأنجب ابي الجعد . الذي يبدو أنه كان معاصراً وربما كان ابن حزم من سن أبي الجعد هذا المشهور والذي لم يجد ابن حزم حاجة إلى تعريفنا به بأكثر من تحديد مكان مسكنه . !! .

وإذا كانت قصص الغرام العفيف أو الرومانسية أو الافلاطونية تحظى بإعجاب ابن حزم ، فهو لا يستنكر إلا الروايات التي ينهار فيها العاشق فيدمر حياته وسمعته قال عن صديق :

« كنا نعرفه كلنا من أهل الطلب والعناية والورع وقيام الليل .. وقد كنا نتجنب المزاح بحضرته .. قد أحكم القراءات احكاما جيداً ، واختصر كتاب الانباري في الوقف والابتداء اختصارا حسنا .. الخ فلم يمض الزمن حتى أمكن الشيطان من نفسه ، فامتحن بهذه البلية مع بعض الغلمان ، فرفض ما كان معتنيا ، وباع أكثر كتبه واستحال استحالة كلية ، نعوذ بالله من الخذلان » .

وابن حزم لم يورد الكثير عن غرامياته ، إلا بضع حكايات واحدة منها التي تعنينا هنا هي « حبه » الشديد وتلازمه في سنوات الصبا والمراهقة وصدرا من سنوات الشبابا لصديق « غلامى » المزاج .. وهذه هي الرواية :

« وكنت أنا وهو متقاربين في الأسنان ، وكنا أليفين لا نفترق وخدنين لا يجرى الماء بيننا إلا صفاء .. يصفه هكذا : « وكان رحمه الله كأنه قد خلق الحسن على مثاله ، أو خلق من نفس كل من رآه . لم أشهد له مثلا حسنا وجمالا وخلقا وعفة وتصاونا وأدبا وفهما وحلما ووفاء وسؤددا وطهارة وكرماً ودماثة وحلاوة ولباقة واغضاء وعقلا .. الخ » .

وهذه رؤية عين محب واله .. .

وصديق الروح هذا طوحت به الأيام بعد سقوط قرطبة ونهب البربر (البدو الأكثر خشونة والأقل حضارة وترفا وانحلالا والذين أنقذوا الأندلس لأكثر من مائتي عام أخرى ولكن الحضارة كلها كانت قد دخلت منحنى الانهيار) المهم صديق الروح هذا يلقى ظلا من الشك على نوعية « المحبة » فقد مات من عشق فتى في جيش الغزاة !! .

وقد سأله المحدث لابن حزم عن سبب نحوله وشحوبه فقال صديق ابن حزم :

« نعم ! أخبرك اني كنت في باب داري بقديد الشماسي في حين دخول علي بن حمود ، قرطبة ، والجيوش واردة عليها من الجهات تتسارب فرأيت في جملتهم فتى لم أقدر أن للحسن صورة قائمة حتى رأيته (نفس عبارات ابن حزم في وصفه هو .) فغلب على عقلي ، وهام به لبي ، فسألت عنه فقيل لي : هذا فلان بن فلان من سكان جهة كذا ، ناحية قاصية عن قرطبة بعيدة المأخذ ، فيئست من رؤيته بعد ذلك ، ولعمري يا أبا بكر لا فارقني حبه، أو يوردني رمسى » فكان كذلك ، وأنا أعرف ذلك الفتى وأدريه ، وقد رأيته ولكني أضربت عن اسمه لأنه قد مات والتقى كلاهما عند الله عز وجل . عفا الله عن الجميع » .

ونقفز فوق تأكيد « ابن حزم » الذي كان يعيش فترة الارهاب أو التعصب أو

التطهر أو ما شئت التي فرضها البربر في محاولة لوقف عجلة الإنهيار . وليس يعنينا ان كان أبو عبد الله أو أبو محمد قد ارتكبا الفعل ، فإن الفكر عندنا هو الأهم وهذا المؤلف عاشق أو محب لأبي عبد الله وأبو عبد الله هذا يرى الجيوش زاحفة تقتحم بلده وتنتهب داره وقومه فيذهل عن هذا كله ويخر صاعقا في عشق جندي من الغزاة . ولا يجد أبو محمد (ابن حزم) في ذلك ما يعيب ، ولكنه يحرص على تأكيد « أن أبا عبد الله ما وطيء حراما قط » وذلك بالطبع يبرىء ساحة أصدقاء أبي عبد الله ! ..

وكان أبو عبد الله ذكيا ومخلصا فأعدم كل ما قد يريب حبيب صباه أو يثير فيه الريبة ، فقد قال ابن الحزم :

« انه لما عاد إلى قرطبة ، زار أخاه (أبو عبد الله) وسأل عنه : « ثم سألته عن أشعاره ورسائله ، إذ كان الذي عندي منه قد ذهب بالنهب في السبب الذي ذكرته في صدر هذه الحكاية (غزو البربر لقرطبة ج) فأخبرني عنه أنه لما قربت وفاته وأيقن بحضور المنية ، ولم يشك في الموت دعا بجميع شعره ، وبكتبي التي كنت خاطبته انا بها ، فقطعها كلها ثم أمر بدفنها ، قال أبو عمر ، فقلت له يا أخي دعها تبقى . فقال لي : إني أقطعها وأنا أدري أني أقطع فيها أدبا كثيراً ، ولكن لو كان أبو محمد بعيني حاضراً لدفعتهاإليه تكون عنده تذكرة لمودتي ..» الخ .

وأي مودة من عاشق الجنود ؟! .

وكيف كان تجاوب أبي محمد (ابن حزم) مع هذه المودة ؟!

غفر الله لأبي عبد الله هو كان أعلم بما في الرسائل مما لا يجوز أن تتناقله يد ثالثة ! .. .

وفلسفة أبى محمد هي أن الأصل في الناس « الفسوق » فالصالح منهم من اذا ضبط انضبط .. أما الأصل فهو الانطلاق في تلبية الغريزة الجنسية وهو يقرر حقيقة غريبة أنه « ما من رجل عرضت له امرأة جميلة ولم يكن ثم من مانع إلا وقع في

شرك الشيطان واستهوته المعاصي .. وما من إمرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة إلا وأمكنته ، حتما مقضيا ، وحكما نافذا لا محيد عنه البتة » !! .

والعياذ بالله !

نعم .. نحن نصدقه ، وفي حدود الطبقة التي عاش بينها ، ونقل خبرتها وأخلاقياتها في عصر انحدارها وزوالها . فهو الكاتب اللاجيء الذي سقطت دولته ومدينته ، وتشرد أهله .. هذه هي الطبقة التي لا تتورع عن شهوة أو معصية . « حتما مقضيا » زوالها « وحكما نافذا لا محيد عنه البتة » « وشيء أصفه لك تراه عيانا ، وهو أني ما رأيت قط امرأة في مكان تحس أن رجلا يراها أو يسمع حسها ، إلا واحدثت حركة فاضلة كانت عنها بمعزل » .

ويضرب مثلا على « العفة » . عندما كانت لا تزال في الدولة بقية من المقاومة الحضارية ، مكنت « الأمير » من مقاومة نفسه بعد جهد عنيف ! .

قال ابن حزم عن .. عن .. عن أبي عباس : « أن الامام عبد الرحمن بن الحكم غاب في بعض غزواته شهورا وثقف القصر بابنه محمد الذي ولى الخلافة بعده ورتبه في السطح وجعل مبيته ليلا ومقوده نهارا فيه لم يأذن له بالخروج البتة . ورتب معه في كل ليلة وزيراً من الوزراء وفتى من أكابر الفتيان يبيتان معه في السطح . قال أبو العباس : فأقام على ذلك مدة طويلة وبعد عهده بأهله وهو في سن العشرين أو نحوها ، إلى أن وافق مبيتي في ليلتي في نوبة فتى من أكابر الفتيان ، وكان صغيراً في سنه وغاية في حسن وجهه . قال أبو العباس : فقلت في نفسي : إني أخشى الليلة على محمد بن عبد الرحمن الهلاك بمواقعة المعصية وتزين إبليس واتباعه له قال : ثم أخذت مضجعي في السطح الخارج ومحمد في السطح الداخل المُطل على حرم أمير المؤمنين ، والفتى في الطرف الثاني القريب من المطلع فظللْت أرقبه ولا أغفل وهو يظن أني قد نمت ولا يشعر باطلاعي عليه . قال : فلما مضى هزيع من الليل رأيته قد قام واستوى قاعداً ساعة لطيفة ثم تعوّذ من الشيطان ورجع إلى منامه . ثم قام بعد حين ولبس قميصه واستوفز ثم نزعه عن نفسه وعاد إلى

منامه ، ثم قام الثالثة ولبس قميصه ودلى رجليه من السرير وبقى كذلك ساعة ثم نادى الفتى باسمه فأجابه ، فقال له : انزل عن السطح وابق في الفصيل الذي تحته . فقام الفتى مؤتمراً له . فلما نزل قام محمد وأغلق الباب من داخله وعاد إلى سريره . قال أبو العباس : فعلمت من ذلك الوقت أن لله فيه مراد خير » .

* * * *

ونعود مرة أخرى الى بغداد في الجبهة الشرقية ، فنجدهم يتهادون بالغلمان .. والظاهر أن محمد بن علي الشعبي كان مورد غلمان ، ففي كتاب التحف والهدايا أنه اهدى الى البحتري : غلاما فاشتغل به اياما عن حضور مجلسه ، واعتذر البحتري بأنه انشغل بالغلام .

حملتُ عليه في سبيل فُتُوةٍ

هي الثغر خلف المجد بل تفضل الثغرا

....

وقد كنت لي خلا فأصبحت لي صهرا ! ..

ثم اهدى له نبيذا يحمله غلام حسن الوجه ، فأخذ النبيذ وراود الغلام عن نفسه وكتب يعتذر لسيد الغلام :

أبا جعفر كان تجميشنا غلامك احدى الهنات الدَّنية

بعثت الينا بشمس المدام تضيء لنا مع شمس البرية

فليت الهدية كانت رسولا وليت رسولك كان الهدية

فوهب له الغلام لما قرأ الأبيات

وأهدى الحسن بن وهب الى أبي تمام غلاما جميلا فشكره ابو تمام متغزلا في جماله الاعجمي ووعد بتخفيف حمرة خديه بريقه ! (كتاب التحف والهدايه للخالدين) . وابو تمام اشتهر بحب غلام اسمه عبد الله ! .. .

وروى البحتري انه رأى عند ابي جعفر محمد بن حميد بن عبد الحميد « غلاما ، اعجبني فعملت اليه شعرا استهديه منه » ! .

وتأمل رحلة الحضارة من تطهر العرب الفاتحين الى تهتك الورثة المنهارين : وطلب رجل من معن بن زائدة ان يحمله اي ان يهديه ما يركبه فأمر الامير العربي بأن يُرسل اليه كل ما يركب ، من حصان الى بغله الى سفينة .. وجارية .. الخ » .

فلما سمع القصة الصاحب بن عباد قال : رحم الله معنا ، لو علم ان الغلام يركب لوهبه غلاما أيضا ، ولكنه كان عربيا محصنا لم يدنس بقاذورات العجم » ! .

* * * *

نعود لأوروبا المسيحية . فنجد مؤرخها يقسم الموقف من اللواط إلى المراحل التالية : « حتى القرن الثالث : لا معارضة .. من الثالث للسادس : موجة معادية من السادس إلى العاشر تجاهل ، من الحادي عشر ومع ظهور المدن انتشر اللواط في الأدب ، وانتشر اللوطيون في كل مكان وصارت الموضة المقبولة ، من النصف الثاني للقرن الثالث عشر ظهر العداء للواط » .

وقال المؤرخ إنه لا يعرف السبب . وسنقدمه له .

ويقول : « من القرن السادس إلى أوائل الحادي عشر كان الشاذون يعاملون نفس معاملة من يمارسون العزل ولكن المناخ تغير بعد ذلك وارتفعت الصيحة تطالب بتطهير الكنيسة أو كما قيل : كيف نتصور وضع مسيحي يعترف بممارسة اللواط طالبا الغفران من نفس القسيس الذي فعلها معه » .

وهذا حقا وضع محرج ؟! ولكن اكتشافه في هذه الفترة بالذات وبعد غفلة ١١ قرنا ، هو موضع السؤال الذي نجيب عليه .. .

فحتى القرن الثالث كانت أوروبا تعيش امتداد الانهيار الحضاري الروماني الذي قلنا إن الكنيسة دخلت فيه ولم تثر عليه إلا نظريا في رفض الجنس كله ، كما أشرنا أما في الفترة من القرن الثالث إلى السادس ، فربما كانت انتفاضة ، أو مع تصاعد خطر ونفوذ البرابرة ، الذين كانوا أكثر تشدداً بحكم تخلفهم الحضاري ..

من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر ، مرت أوروبا بفترة الهزيمة الشاملة والعجز حتى عن الاعجاب أو التعلم ، ثم فترة الافتتان والرغبة في مجاراة الحضارة المتفوقة ، ومن ثم محاولة السلوك المماثل وفي هذه الفترة التي ينعدم فيها الحس الحضاري ، الحس بالتحدي وينعدم فيها المفجر الذاتي فإن المفتون حضاريا ، لا ينقل العلوم ولا التكنولوجيا بل السلوك الحضاري ، والجانب المترف منه بالذات ، كما يعود فتياننا — اليوم — من أوروبا وأمريكا بشعر طويل ، « وبايب » وغويشة في اليد ، وبنطلون ضيق ، وشرب الخمر ، والجيرل فيرند ، ولا يستفيدون من التقدم العلمي أو التكنولوجي هناك . ففي القرن العاشر كانت الحضارة الإسلامية في ذروتها ، وأوروبا في ذروة الافتتان والرغبة في المسايرة .

ومن ثم فقد نقلوا سلوك المترفين. وهذا يفسر انتشار اللواط على النحو الذي أدهش المؤرخ . فنجد شبها بين قصيدة الشاعر ابن الفراء وقصيدة « أسقف رينيه » :

« وجهه حلو .. حتى لتحسبنه بنتا ! شعره يتموج على رقبته العاجية . جبينه أبيض كالثلج . وعيونه سوداء مثل القار . خده الناعم حلو المذاق . أنفه كامل . شفتاه شعلة حمراء . أسنانه جميلة » .

ولاحظ أو قارن بين افتتان الأسقف بغلام أسود العينين ، وافتتان أهل الأندلس العرب ، بالشعر الأشقر والعيون الزرقاء .. وهذا هو الفناء الحضاري في الخصم بعشق كل صفاته .

وغلام الأسقف مثل غلام المعلم العربي يتمنع : « هذا الولد الجذاب لكل من نظره يفضل الموت على الخضوع للحب ، خشن كأنه ولد من نمر ، يسخر من غزل المحبين ، يسخر من جهدهم الضائع ، يهزأ بدموع العاشقين » .

هذا كلام « الأسقف » . فحدث عن الشماس والراهب ولا حرج ! .

ولكن الحروب الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر احتاجت إلى التعبئة الشاملة في أوروبا ، بقدر ما أثبتت هذه الحروب ، أن أوروبا قد استجابت بنجاح

للتحدي الحضاري الإسلامي ، فاصبح وعيها به اكبر من وعي المسلمين ، واصرارها على قهره لا أقول أكبر من وعي المسلمين به فحسب فقد بدا أن الوعي مفقود تماما على الجانب الإسلامي لولا تحرك العثمانيين المتأخر جدا .. ولذا كانت المبادرة من الجانب الأوروبي ، سواء في الأندلس أو في غرب آسيا . والتعبئة المصاحبة للظهور الحضاري تحتاج إلى مفاهيم خلقية خاصة ، منها التقشف الجنسي أو الانضباط الجنسي ، وتبنى المقاييس التي تفضي إلى قوة المجتمع ، وفي مقدمتها رفض اللواط ، فهذا الذي وصفه أفضل دارس لتاريخ اللواط في الغرب ، بالانقلاب غير المفهوم من التسامح إلى التعصب الشديد ، من إباحة اللواط والتفاخر به إلى ذمه وتحريمه والتنكيل المروع بمن يمارسه .. ووصل ذلك إلى ذروته في القرن الثالث عشر واختفى كل حديث « ودى » أو حتى محايد أو علمي أو فني عنه إلى القرن العشرين[1] .

غير مفهوم له . لأنه لم يصل إلى التفسير الحضاري الذي نطرحه ، فالتعبئة ضد المسلمين كانت تستلزم الاثارة ضدهم وضد حضارتهم ، بالتركيز على الجانب المسلكي ، جانب الترف ، أو جانب « الانحلال » كما تطلق عليه الحضارة الصاعدة الأكثر خشونة .. فهي لا تستطيع أن تنتقد الجانب المادي أو العلمي ، لأن تفوق ذلك واضح وملموس ولا سبيل للتشكيك نيه ، فلا أحد يستطيع اقناع الشاب المسلم اليوم أن أوروبا متخلفة في العلم أو المواصلات أو الزراعة ولكن من السهل مهاجمة المجتمع الغربي بأنه منحل فاسق ، لوطي ، زان داعر ، ليس له قيم ولا تقاليد ولا آداب . الخ وهذا ما فعلته روسيا السوفيتية والصين الشيوعية .. ومن قبلهما جميعا ، أوروبا ــ الصليبية بالنسبة للحضارة المتفوقة ، وقتها .

رسالة امبراطور القسطنطينية الكسيوس إلى حاكم الفلاندر وهي الرسالة التي

---

١ ــ « ما بين ١٢٥٠ ــ ١٣٠٠ م تحول اللواط من فعل مباح في كل أوروبا إلى جريمة عقوبتها الموت في معظم أوروبا ولأول مرة في تاريخ الغرب » .

تحولت إلى منشور وزع في أوروبا لتحريك الحمية لقتال المسلمين ، وأثمرت أول حملة صليبية ، وما أعقبها من حروب دامت لأكثر من قرنين ، هذه الرسالة هي مجموعة أكاذيب تافهة ، ولكنها تركز على التهم الأخلاقية ، فالمسلمون يغتصبون الأمهات أمام البنات ، ويأمرن البنات بالغناء ثم يغتصبن البنات على غناء الأمهات ، « تماما كما قرأنا في الأسفار ولكن أهم من ذلك أنهم يمارسون اللواط مع جميع الأعمار ، مع الغلمان والرجال ، بل ورجال الدين ، والأساقفة . ياللهول ! هذا ما لم يسمع به بشر .. نعم !! إنهم يلوطون بالأساقفة وقد مات « أسقف » خلال هذا الفعل الشنيع !! » .

ولم يكن من المعقول أن يستباح الافتراء هكذا ، لاثارة الحمية ضد « اللوطيين المنحلين المسلمين » ، ثم تطلق الحرية للنخبة الأوروبية ، المغزوة فكريا ، المنحلة ، المتعاطفة ، أو حتى المتخاذلة في أعماقها أمام الحضارة الإسلامية لقناعتها العلمية ، بتفوق هذه الحضارة ..

أصبح الخطر الذي يواجه أوروبا ، هو الخطر الخارجي ، المتمثل في الدول الإسلامية ، والخطر الداخلي ، المتمثل في النخبة المتأثرة بالمسلمين ، أو الأقليات المخالفة للتيار العام الكاثوليكي الذي يشن الحروب الصليبية ، التيار المتعطش لقتال المسلمين وبقدر ما اكتشف هذا التيار ، صلابة وتفوق العدو الإسلامي بقدر ما اشتدت حاجته للوحدة الداخلية ، فاشتدت نقمته على المنشقين في الداخل . وبذلك طويت صفحة التسامح أو « التحضر » التي سادت في القرن العاشر والقرن الحادي عشر وفترة من القرن الثاني عشر ، أي في عصر الانبهار بالحضارة الإسلامية السائدة .. وبدأت تصفية المخالفين ، وظهرت محاكم التفتيش ، وتحكم رجال الدين[1] .. وخضع المجتمع لعقيدة رسمية واحدة ، هي عقيدة السلطة ، تسيره في اتجاه واحد ، هو مجابهة التحدي الإسلامي ، وتصاعد اتهام المسلمين

١ ـــ في القرن الثالث عشر كان يوجد في بريطانيا رجل دين من بين كل اثنى عشر ذكرا !! .

بارتكاب كل خطيئة جنسية ، وأنهم الأصل في عادة اللواط [1] . ورثوها عن أسلافهم من سكان الشرق الأوسط ، أهل سدوم وعامورا أو قوم لوط [2] « فرغم أنه يسمح لهؤلاء السفلة بأكثر من زوجة في عقيدتهم ، فإن ذلك لا يكفيهم بل يمارسون ذلك الفعل الخبيث مع الرجال ، فلا عجب أن حل غضب الله عليهم ولعنتهم الأرض » (نص من القرن الثالث عشر) . « ان محمدا عدو الطبيعة [3] . نشر رذيلة اللواط في قومه الذين يعتدون ليس فقط على الإناث والذكور بل حتى على الحيوانات ، حتى أصبح معظمهم كالبهائم غارقين في الشهوة الدنسة ، لا يقدرون على مقاومة خطيئة بل تستعبدهم شهوات الجسد » (من كتاب تاريخ الشرق تأليف jacaues de Vitry القرن الثالث عشر) .

« طبقا لدين المسلمين ، فإن أي فعل جنسي مهما كان ليس فقط مباحا ، بل ومرغوبا فيه، ويستحسن . ولذا فإلى جانب العدد الذي لا يحصى من المومسات يوجد لديهم مأبونون بأعداد هائلة . يحلقون لحاهم . ويصبغون وجوههم ويرتدون ملابس النساء . ويلبسون أساور في أيديهم وأرجلهم ، ويضعون سلاسل ذهبية حول أعناقهم كما تفعل النساء ، ويحلون صدورهم بالمجوهرات ويبيعون أنفسهم

---

١ ـــ لاحظ أن البلغار كانوا من أوائل المنشقين على البابا ولذلك اتهموا أيضا باللواط ، حتى أصبح الفعل « لاط » في اللغات الأوروبية مشتق من بلغار أو Bulgar ، ولاحظ أيضا ان أكبر تهمة وجهت من الغزاة الأسبان ضد شعوب أمريكا اللاتينية هي اللواط ، وذلك لتبرير ابادتهم ، وأن الأسبان مجرد منفذين لقضاء الله الذي أباد قوم لوط بنفس النار والكبريت ! .

٢ ـــ هذا بالرغم من أن التوراة تشهد بفناء قوم لوط فكيف أورثوا المسلمين عادتهم ، ولكن في الحرب لا أحد يهتم بالصدق أو الموضوعية أو حتى عدم التناقض .

٣ ـــ التركيز على الطبيعة في الفكر المسيحي برز بعد الاحتكاك بالمسلمين ، والتأثر بفكرة دين الفطرة وهو تعبير ومفهوم إسلامي . يجعل الفطرة أو الطبيعة هي مقياس الصوابية أو الطهارة عند غياب النص أو التعاليم .

للخطيئة بأن يعهروا ويعرضوا جسدهم ، ويعاشرهم المسلمون كما نعاشر نحن النســاء بل وعلانية . والمسيحيون هناك[١] يربون لهم الأولاد المسيحيين ، ويجيدون اطعامهم ليزداد جمالهم ، فإذا رآهم المسلمون الشهوانيون ، فاسدو الطبيعة ، يتحرقون شهوة لهم ، ويتسابقون على شرائهم ، ليتمكنوا من ممارسة شرورهم معهم » .

ولو غيرنا كلمة المسلمين فقط ووضعنا بدلاً منها الأوروبيين أو الأمريكيين لأصبح النص يمكن نسبته إلى صحفي مسلم عن الهيبز أو البانك أو اللوطيين في امستردام أو بيكاديللي أو القرية في نيويورك أو سانت مونيكا في كاليفورنيا .

وكما يقال : آمن أولا فتحدث لك المعْجزة .. نجد الاسبان الذين اتهموا المسلمين بالحق أو بالباطل بممارسة اللواط ومن ثم استحق الاسبان النصر عليهم بتطهرهم .. واستمر انتصارهم حتى عبروا المحيط في مطاردتهم لأعداء الله الذين يرتكبون الخطيئة الملعونة فإذا بهم يصلون إلى سدوم ذاتها أو على الأقل هذا ما وصلنا من المصادر الأسبانية عن واحد من الشعوب التي أبادها الأسبان واستأصلوا حضارتهم نهائيا ؛ وإذا كان لنا الحق في ان نرفض بازدراء كل التاريخ الذي زيفه الأسبان عن ضحاياهم فإن ما كتبوه عن شعب المايا يعطي فكرة عن نوع الدعاية التي روجوها بين جنودهم المفعمين إيمانا وجهلا وتعصبا فقد زعم الاسبان أن حضارة المايا كانت لا تكتفي باباحة اللواط بل تفرضه فرضا بقوة القانون « فقد كان الغلمان يمنعون من ممارسة الجنس إلا مع غلمان حتى يصلوا الى نضوج مرحلة الزواج » وروج كاتب أسباني : « انظروا إلى أي مدى يتباهون بمثل هذه الفاحشة إنهم يحملون ميدليات ذهبية منقوش عليها ذكرا يقبل ذكرا ويمارسان فاحشة اللواط » (نفس ما وجد في تراث الاغريق !) وزعموا أن مـدير المسابك الذهبية الملكية الذي كان يتلقى المنهوبات من العالم الجديد ويزيل دم الاطفال والنساء

---

٢ ــ لاحظ التحريض ضد المسيحيين الوطنيين في الشرق لتعاونهم مع المسلمين ضد الغزو الصليبي .

والرجال من عليها قبل أن يقذفها الى الصهر ليعاد سبكها تحمل صورة ملك أسباني يظلله الصليب .. زعموا أنه استاء عندما رأى ميدالية من هذا النوع فلم يصهرها مع غيرها بل حطمها بالشاكوش [1] .

إن صح ما يقوله هذا التقرير الأسباني فيبدو أن هذا الشعب كان يعيش تحت رعب زيادة السكان لأنه إلى جانب محاولته تأخير زواج الشباب « .. كان يذبح هؤلاء الشبان بمعدل مائة شاب يوميا قربانا للالهة » [1] !! .

على أية حال لم يستطع هذا الشعب بكل حضاراته المتخلفة ودياناته الدموية أن يحقق الابادة الوحشية التي أنجزها الاسبان فقد كان « تعداد المكسيكيين واليوكاتان ٢٥ مليون نسمة عند الغزو الاسباني فهبط هذا العدد إلى ٧ ملايين عام ١٦٥٠ ولم يبق من السكان الاصليين غير المولدين إلا مليون ونصف مليون » أما بيرو فكانت عشرة ملايين هبطت الى ٢ مليون هندي عام ١٦٥٠ » [1] .

وروت مؤلفة الجنس في التاريخ أن الأسبان ألقوا أربعين مأبونا للكلاب تنهشهم حتى الموت ص ٢٧٦ .

وخلال الزحف في العالم الجديد كان يجري إبادة شعب الازتيك تحت ادعاء مطالبتهم بـ « ترك عبادة الأصنام وقف الذبائح البشرية للالهة .. ولا يسرقون ولا يلوطون .. » وتعلق المؤلفة أن امبراطور الأزتيك أبدى دهشته لأن كل هذه الجرائم كانت ممنوعة ومعاقب عليها بالسحل والحرق حيا في دولة الأزتيك » ولكن كما قلنا كان المهم هو إثارة الرغبة في القتل في قلب الجندي الأسباني المؤمن الذي شحن ضد هذه الآثام .

و'' كان الحاكم الأسباني يقول لسكان المستعمرات في امريكا اللاتينية : اعلموا أيها الهنود أن الله سلطنا عليكم بسبب الرزيلة التي ارتكبها أجدادكم وما

---

١ ــ الجنس في التاريخ .

زال الكثيرون منكم يرتكبونها . ان الله سيبيدكم وشيكا .» ومن نفس المصدر أن الأسبان كانوا يعتقدون وفقا لما علمهم قساوستهم وقادتهم ان حج المسلم الى مكة لا يكتمل إلا إذا نكح الحاج الغلمان الذين يسوقون جمله والجمل أيضا ! وقالت المؤلفة ايضا إن الأسبان كانوا الأشد قسوة في محاربة اللواطة في أسبانيا أو العالم الجديد . وتقول ربما كان ذلك الموقف رد فعل لذكريات الحكم العربي ، عندما كان المأبون من المناظر المألوفة .. وتشهد بنجاح التطهر الأسباني فتقول انه رغم طول الرحلة للعالم الجديد في البحر وطول الغيبة هناك لم تسجل سوى حادثتين كان المتورطون فيها من الألمان والطليان وقد أمر القائد الأسباني بإحراق الطليان الخمسة الذين اتهموا باللواطة ، وتم ذلك وسط التهليل والتصفيق . »[1] .

حتى عام ١٧٢٥ كان الفرنسيون يحرقون اللوطيين أحياء . وفي بريطانيا كانت العقوبة هي الإعدام حتى ١٨٦١ ولكن من ١٨٧٠ اصبحت المدارس الخاصة الراقية ، معاهد تفريخ اللواطة . »[1] .

ويقول مؤلف تاريخ اللواطة : إن عداء اللوطية (في أوروبا) في القرن السادس عشر كان ثمرة الموقف المتحول الذي بدأ في القرن الثالث عشر ، ولم تكن هناك حضارة في القرن الثالث عشر في العالم كله عنيفة في عداوتها للواطة مثل غرب أوروبا ومع ذلك كان الفعل منتشراً (ص ٧٩) .

لا يهم كما قلنا ، المهم موقف المجتمع والنظام ، وهذه حضارة كانت في خط الصعود ومن ثم كان لابد ان تستنكر اللواطة وتتهم بها أعداءها ..

« في عام (١٦٣١) قال المدعي العام ضد ايرل اوف كاستلهيفن : « إن جريمة اللواطة هي من النوع الذي اذا لم يعاقب عليه يجلب غضب السماء على المملكة (بريطانيا) وقد اتهم اللورد بممارسة اللواط مع خادمه ، ولكن التهمة الحقيقية كانت كاثوليكيته ، وكان ذلك في عنفوان مطاردة الكاثوليك ! .

---

١ ــ (الجنس في التاريخ) .

« وفي ٤ يونيه ١٥٩٩ أحرق اسقف لندن كل الكتب المخالفة للتعاليم الصحيحة ، كما حددها .

وكما اتهم الأسبان المسلمين ، وسكان العالم الجديد باللواط ، نجد أن قاموس الانجليز ، أصبح يعني بلفظة « لوطي » عميل لملك اسبانيا ..

ولا يمكن المبالغة في الرعب والخزى من اللواطة في تلك الفترة (عصر النهضة ١٥٠٠ ــ ١٦٥٠) . كانت اللواطة جريمة عقابها الاعدام » .

« وقال جيمس الاول لابنه ان اللواطة من الجرائم التي يلتزم التاج بعدم التهاون معها أو العفو » .

« وفي عام ١٥٣٣ أصدر البرلمان البريطاني (بتوجيه من هنرى الثامن) قرارا بفرض عقوبة الاعدام ومصادرة الأموال لمن يدان باللواط أو الوطء في الدبر » .

وعندنا كان شهاب الدين بن حجر (!!) يقول :

ومليحـــة راودتهـــا فتعلـــلت
بالطـمث وهـي تقـول كالمعـــذور
هل من موضع خال فقلت لها اسكتي
فمواضعـي لـــيست تعـــد ودوري

وفي ١٧٦٩ كتب المعلق القانوني الانجليزي : « إنها جريمة أفظع من أن تسمى .. إنها جريمة ضد الرب والدين » .

وكانت الاتهامات الرائجه في بريطانيا ضد خصوم النظام في عصر النهضة هي : « اتباع البابا » « عدو المسيح » « عميل ملك اسبانيا » « لوطي » .

ويقول مؤلف : الشذوذ الجنسي في عصر النهضة في بريطانيا :

« لم يكن الحزب البروتستانتي يفعل اكثر من استعارة نفس الأسلوب الذي أرسته الكنيسة الكاثوليكية في مهاجمتها للمنشقين عليها في القرن الثاني عشر وهي ربط الانحراف الديني بالانحراف الجنسي .. .

« واتهموا القساوسة الكاثوليك بأنهم يدعون العزوبية وهم غارقون في الانحرافات الجنسية . الجزويت ادخلوا اللواطة في بريطانيا .. « إن الجزويت ليسوا فقط أعداء الدين الصحيح ، بل ايضا أعداء ملك انجلترا .. » « تهمة الشذوذ اقترنت بالخيانة في الفلكلور الجماهيري » . « قصيدة الشاعر الانـجليزي دافيـد لنيدساي » كلها حول اتهام البابا بأنه يبيح اللواطة بين القساوسة وان هذا سيجلب الخراب على الكاثوليكية (يعني أسبانيا وفرنسا أعداء بريطانيا ج) .

ومن بين كوم التهم التي كالها الفرنسيون المستعمرون للمغاربة تبريرا لغزو بلادهم في القرن العشرين ؛ لم تكن تهمة اللواطة بالتي تفوتهم ؛ فقد كتب '' جوليس اركمان'' عضو البعثة العسكرية الفرنسية في فاس : ان اللواطة ليست رذيلة في مراكش ، إنها تكاد تكون فضيلة ، انهم لا يتحرجون منها الى حد أنهم يتواعدون وسط اجتماع مجلس الوزراء ! .

ونضيف أن هذا النص ورد في كتاب '' قهر المغرب '' الذي اثبت فيه مؤلفه '' دوغلاس بورش '' إن الماريشال ليوتي قاهر المغرب كان لوطيا كامل اللواطة ، ولكنه لم يذكر علاقة الفاضل اركمان بالمارشال اللوطي أو ليوتي !

وهذا يوضح لنا الدورة العجيبة للحضارة ، فلا يحق للمتفرنجين فى مجتمعنا اليوم أن يغضبوا من الذين لا يرون فى الغرب إلا الانحلال ، ولا يرون فى مجتمع مثل المجتمع الأمريكي أو البريطانى ، إلا حفنة الغلمان المتخنثين ويغفلون كافة مظاهر الجدية والاتقان والإبداع ! .

عفوا !!

فهذه النظرة « الضيقة » هى التى حررت أوروبا وبنت مجد وقوة الحضارة الغربية .. هذا الخوف من انحلال المسلمين ، من الغزو الفكرى الإسلامى لأوروبا المسيحية . هو الذى مكن أوروبا من نقل كل علوم وتكنولوجيا المسلمين لبناء حضارتها الخاصة [1] . .

---

١ ــ انظر كتابنا : ودخلت الخيل الأزهر .

وبالمناسبة نقول « للأخلاقيين » الذين يريدون تحرير مجتمعنا وبعث حضارتنا بالأخلاق .. ولا يكفون عن تصديع رؤوسنا بالحديث عن الانحلال الجنسي أقول لهم : لا تسيئوا فهم قولى ، أو استخدامه ، فأوربا لم تتحرر بالأخلاق أى أنها لم تبدأ بالتطهر بل احتاجت الحرب للتطهر ، وأمكنها فرض التطهر ، خلال التعبئة العامة ضد المسلمين فلابد أن يرتبط الموقف الأخلاقى بموقف حضاري . أن يكون « القبيح » والعيب هو فعل وسلوك واخلاقيات « العدو » والتخلص من « القبيح » هذا ، هو الطريق إلى النصر على العدو ، فنقطة البدء هى الجهاد ، المجابهة المسلحة مع العدو القومى ، عندها يصبح المقاتلون أكثر استعداداً لسماع « الوعظ » وممارسة المواعظ . .

فليس حديثى هذا موعظة أخلاقية ، ولا خطبة منبرية ، بل دعوة للمواجهة الحضارية من أجل التحرر من التبعية والفساد . فكل خطب القساوسة ضد اللواط لم يثمر خلال ألف سنة مثلما حدث عندما ربطت هذه الفاحشة بالمسلمين .. أى العدو .. وقال جاكوب الفيرونى (١٣٣٥ م) : « إن محمدا علم المسلمين أنه لا خطيئة جنسية حتى فيما هو ضد الطبيعة . وسلطان المسلمين له حاشية من خمسمائة شاب أُحضروا للذته من البلطيق واليونان وايطاليا ، وبيعوا فى القاهرة » .

« المسلمون ضعاف وشهوانيون ويحبون الجماع مع الذكور » .

« بيتر كانتور » (المتوفى ١١٩٧) شن حملة شعواء على اللوطيين ووصف فعلهم بأنه « الجريمة التى تجأر للسماء طالبة القصاص (يهتز لها عرش الرحمن) وأبدى استياءه لأن الكنيسة لا تطارد مثل هذه الجريمة التى سببت دمار خمس مدن .. فلماذا تقف الكنيسة مكتوفة الأيدى أمام جريمة عاقب الله عليها بمثل هذه الضراوة .. واستجابة لدعوته قرر مؤتمر لا تيران الثالث تحريم المسلمين واليهود والربا واللواط .. » هكذا . .

« كل من يمارس هذا الفعل المنافى للطبيعة والذى تسبب فى حلول غضب الرب على خمس مدن فأحرقها بالنار (نزل عليها كبريت ونار في التوراة) إذا

كان كاهنا يعزل أو يرسل إلى دير للتكفير وإذا كان مدنيا سيعاقب بالحرمان ويطرد من الرعية » (من مجموعة المراسيم البابوية للقرن الثالث عشر) .

وفى سنة ١١٠٠ كان من الممكن تعيين اسقف مشهور باللواط ، ولكن فى عام ١٣٠٠ لم تختف فقط الكتابة عن هذا الفعل . بل أصبح مجرد الإشارة إلى وجود ميل لوطى عند أحد الكهنة كافيا لتقديمه للمحاكمة » .

« وابتداء من القرن الرابع عشر لم يكن من الممكن أن يجد اللوطى ملجأ أو تسامحا لا فى الكنيسة الغربية ولا فى الدول الغربية . وفى نفس الوقت طرد غير المسيحيين من انجلترا وكان ذلك قد تم فى فرنسا عام ١١٨٢ على يد فيليب أغسطس ملك فرنسا . وأصبح من يمارس الجنس مع غير مسيحى أو مسيحية مثل من ينكح البهائم » وفى عام ١٤٩٢ تم نهائيا القضاء على المسلمين فى أسبانيا أو ما كان يدعى بالأندلس ! .

وأول مملكة أقامها الصليبيون فى أرض المسلمين بالمشرق ، وهى مملكة « أورشليم » : « سن فيها أول قانون فى تاريخ العالم[1] يعاقب بالحرق حيا من يرتكب جريمة اللواط ، وأصبحت كلمات : خائن ، زنديق ، لوطى ، مترادفات لمعنى واحد » وعلى أنقاض الحضارة العربية الغاربة فى قشتالة فى الأندلس نص قانون المسيحيين المنتصرين : « اذا ثبت ارتكاب الفعل ، على ذكرين يجرى اخصائهما علنا ويعلقان من أقدامهما حتى الموت » (منتصف القرن الثالث عشر) وفى أراغون : « أصبحت معادلة للخيانة وجريمة ضد المجتمع » وقال الفونسو الحكيم: (١٢٥٢ — ١٢٨٤) .

« اللواط هو الخطيئة التى يرتكبها الرجال بوطء بعضهم بعضا . وهى ضد

---

١ — المؤلف الأمريكى الذى نقلنا عنه هذا النص لا يعرف أن أبا بكر رضى الله عنه أحرق شجاع بن ورقاء الأسدى بالنار « لأنه يؤتى فى دبره كما تؤتى المرأة » ! .

الطبيعة وينتج عنها شرور عديدة فى البلاد التى ترتكب فيها وتغضب الرب ، وتلطخ سمعة الأمة التى تقع فيها . وقد أهلك الله سدوم وعاموره إلا لوطا وأهله الذين لم يرتكبوا هذا الفعل » ومن حق أى شخص اتهام أى أحد بارتكابه فإذا ثبت ذلك يعدم الفاعل والمفعول به » . .

وفى القرن الثالث عشر نص القانون الانجليزى على « أن من يرتكب الجنس مع يهودى أو يهودية أو مع حيوان ، أو يمارس اللواط يدفن حيا » .

لم تكن « النهضة » الأوربية تملك القدرة على استئصال الفئة المغزوة حضاريا وفرض الاستبداد والارهاب ومحاكم التفتيش ،وكل ما تراه هذه الفئة من مظاهر الرجعية والتخلف والردة .. الخ .. إلا فى ظل حمى وطنية دينية ، فى ظل « الجهاد » أو الحرب المقدسة ضد أعداء الدين والوطن ، بل حتى أبطال « الحروب الصليبية الذين قاتلوا المسلمين فى بلادهم وتأثروا ، بالحتمية ببعض السلوك والتقدم الحضارى الذى عاشوه فى أرض الجهاد ، حتى هؤلاء ما ان وصلوا إلى أرض الوطن حتى تمت تصفيتهم حتى لا يرتفع إلا صوت العداء والتحقير والكراهية للمسلمين وحضارتهم ، حتى أن المؤرخين — اليوم — يبررون التشريعات التى وضعت ضد المسلمين فى أوروبا بأنها كانت « تهدف لحمايتهم من كراهية وغضب الشعب بمنع استفزاز هذه الجماهير بمنظرهم أو تمتعهم بالحرية » وأن اليهود اضطهدوا لأنهم عملاء للمسلمين وخونة » .

وأصبح « محمد عدو المسيح ، العدو الحضاري والقومى والفكرى والنفسى لأوروبا وأصبحت كل رذيلة تنسب للعقيدة الإسلامية وخلق المسلمين وطباعهم » . .

يقول « جون بوزول » : « إن اقتران اللواط (فى الدعاية الصليبية) بألد أعداء أوروبا (المسلمين) زاد من كراهية الجماهير لهذا المسلك وللمتهمين بارتكابه فى أوروبا» ويقول : « فالذين بقوا من الصليبيين فى الأرض المقدسة اتهموا بأنهم « تخنثوا » والذين عادوا اتهموا بأنهم جلبوا معهم العادات القذرة للوثنيين » .

وهذا ما أشرنا إليه عن ضرورة ربط الأخلاق بالمواجهة الحضارية ، وأن التطهر لا يتم بالوعظ ولا بمجرد اثبات تحريم الفعل المرفوض، بل بربطه بمسلكية العدو القومي .. أما أن نمدح « فضائل » العدو وندعي محاربته ، أو أن نلعن رذائله ونتعامل معه بل ونحالفه ، فعبث غير مجد .

كذلك فإن اتهام العائدين من الحروب الصليبية ، يماثل اتهام « الرجعيين » اليوم للمهاجرين إلى أوروبا وأمريكا أو « المتفرنجين » العائدين من هناك ! .

ويقول مؤرخ اللواط : « آخر قصيدة قيلت في حب الغلمان في أوروبا الغربية كلها قالها يهودى فى الأندلس فى القرن الثالث عشر وبموته خرس صوت اللوطيين فى أوروبا فلم يسمع لعدة قرون حتى القرن الحاضر »[1] .

وضاع الأندلس وغربت شمس الله من الغرب .

وأبيد فرسان الهيكل . « وكانت أبرز التهم الموجهة لهم هى عدم احترام الصليب واللواط ، وعقد حلف مع الشيطان لعبادة محمد » (وبدأ تصفيتهم فيليب « العادل » ملك فرنسا فى اكتوبر ١٣٠٧) وقد جرى تعذيبهم حتى الموت . وعرض رئيسهم « جاك دى مولاى » ذراعيه المكسورتين المسلوختين ، فلم يتبق منهما إلا العظام وكذلك آثار التعذيب على ظهره وخصيتيه على لجنة التحقيق البابوية التى انخرطت فى البكاء وعجزت عن النطق » (ولكن البابا كان أكثر قدرة على النطق فقد أصدر قراراً بحل تنظيم الفرسان ومباركة ما أنزله فيليب بهم عام ١٣١٢) وقد اعترف بعض المعذبين بأنهم أنكروا المسيح وبصقوا على الصليب » وقد دعا رئيس الفرسان وهو على دولاب التعذيب وقبل أن يموت فبراير ١٣١٤ البابا كلمنت والملك فيليب للقاء معه فى محكمة الرب ، وقد مات البابا بعده بشهر واحد بالدوسنطاريا ، وهو مرض مذل مهين ، ومات فيليب بمرض غامض لم يعرف سره إلى اليوم ! كذلك أبيدال Cathar « المتطهرون وذهب سرهم معهم

---

١ ــ جون بوزويل . واليهودى اسمه تادرس أبو لافيه ! .

بنفس التهمة انكار المسيح ، والبصق على الصليب ولم يعرف شيء مفيد عن تهمتهم الحقيقيه ، إلا فى القرن العشرين ، وصحيح أنه لا يمكن أن نعول كثيرا على محاضر محاكم التفتيش فيما تنسبه لمتهم يحرق حيا ، أو ما يثبته قسيس ممتلىء رغبة وإيمانا بإدانة المتهم .. ولكن يفهم من الدراسات الحديثة ، أنهم عادوا من الحروب فى المشرق الإسلامي بفكرة مخالفة للمفهوم الكاثوليكي عن المسيح والصلب . .

فليس من المعقول أنهم قالوا : لا يوجد مسيح . بل الأحرى أنهم شكوا فى ألوهيته ، أو حتى أخذوا بمفهوم الكنيسة الشرقية عن انكار بشريته شكوا فى وقوع الصلب . أو على الأقل فى ما ينسب للصليب فى حد ذاته من قوة غيبية ، ما نزال نرى آثارها إلى اليوم فى قصص دراكيولا ، وقدرة أى قطعتين من الخشب على رد الأرواح الشريرة ! .

وآخر دراسة تقول أن فرسان الهيكل « من خلال الاتصال بالثقافة الإسلامية تشبعوا بأفكار مخالفة للمسيحية الرومانية التقليدية وكان قادتهم يستخدمون سكرتاريين عربا[١] ودرس عدد كبير منهم اللغة العربية فى الأسر وكانوا يتقنونها[٢] » .

صحيح أن هؤلاء قاتلوا وأثبتوا وطنيتهم ، ولكن هذا لا يشفع لهم ، لأن النهضة الحقيقية تستلزم العداء العقائدى أولا ، لا الوطنى ولا المصلحى ، ولا العقلانى . بل العقائدى الذى لا يقبل الجدل ولا المنطق ولا المصالحة ، ولا الموضوعية .

لقد قتلوا ظلما على يد الأكثر تخلفا ، وربما الأقل تضحية فى الميدان العملي ،

---

١ ــ حتى وان كان السكرتير العربي فى مركز التابع ظاهريا إلا أن تفوقه الحضارى يجعله يؤثر على الرئيس كما تتحكم « النانى » الأمريكية فى الأسرة العربية أو السكرتيرة الفرنسية فى رجل الأعمال أو السفير العربي .

٢ ــ كتاب الدم المقدس والوعاء المقدس .

ولكن قتلتهم كانوا الممثلين الحقيقيين للوطنية الأوربية ، للحضارة الأوربية وهم الذين ضمنوا انتصار أوروبا بتخلفهم ورجعيتهم واستبدادهم وتعصبهم .

وهم الذين قتلوا « ادوارد » ملك انجلترا ، هذه القتلة البشعة وغير المستغربة من حضارة تميزت بالوحشية مع مخالفيها ، ولكنها دليل قوة الإرادة والتصميم على قهر التحدى ، والانتصار فلا مكان فيها لفسق مترفيها ، وهل يمكن لحضارة من صنع البشر ، أن تنتصر على حضارة أسمى قيما وأنبل مسلكا ، وأكثر انسانية ، إلا بالتعصب ؟ وهل يمكن لأية حضارة أن تبعث إلا بالإيمان المطلق من دعاتها بأنها الأطهر والأشرف ؟! .

ربما يكون ريتشارد قلب الأسد لوطيا كما يزعمون ، ولكنه عندما شن الحرب الصليبية ضد المسلمين ، عندما نفخ فى البوق الحضارى للبعث الأوروبي خلق دون أن يشعر وربما من حيث لم يرد ، المناخ الذى جعل سلفه « ادوارد الثانى » يموت تلك الميتة البشعة على يد البرلمان والنبلاء الانجليز ، هو وعشيقه ، فقد قطعوا احليل عشيقه وحرقوه علنا ، وأدخلوا سيخا محميا فى دبر صاحب الجلالة ! .

وفي القرن الثالث عشر وفى حمى الحرب الصليبية بالسلاح وبالفكر ضد المسلمين ظهر توماس الأكوينى الذى وضع القوانين الأخلاقية للمسيحية إلى يومنا هذا وقد ظهرت فى كتاباته وتفكيره حجج الفقه الإسلامى والمنطق الاغريقي الذي قرأه في ترجمات المسلمين ، ولكن فى صيغة مسيحية ، وبمنطلقات مسيحية بالمفهوم الذى طرحته الكنيسة منذ البداية ، وخاصة عن احتقار المرأة وجعلها فى مرتبة أدنى للرجل. فكان يعتبر المرأة أقل من الرجل فى أكثر من ناحية واعتبر إنجاب الأنثى خطأ من الطبيعة [1] « ففى الظروف العادية يتطلع مني الرجل إلى إنجاب ذكر مثله ، لأنه يريد المشابهة والكمال . ولكن اذا ما تدخل عنصر خطأ أو نقص فى المني ، أو هبت ريح جنوبية رطبة أثناء الإخصاب جاءت أنثى » وقد شرع

١ ــ ص ٣٢٧ تاريخ اللواط فى المسيحية .

توماس الأكوينى[1] هذا بأن اللواط هو من الكبائر مثل الاستمناء والجماع مع الحيوانات . والجنس الشهوانى مع الزوجة » !! .

قارن ذلك بحديث ان غلب ماء الذكر ماء الأنثى جاء ذكرا ، وان غلب ماء الأنثى جاءت أنثى . .

ولن نتوقف لحظة واحدة عند تلك الأبحاث والدراسات التى تحاول اثبات أن « العفة » لم تتحقق بتشدد الكنيسة أو بارتفاع صوت الفضيلة من جانب السلطة ولا ما تقدمه الدراسات من أدلة ووثائق عن انتشار البغاء وعن فضائح أخلاقية فى قيادات المجتمع الكنسية ، والمدنية ، طوال هذه القرون . نعم نحن لا نهتم بذلك ، لأن نظريتنا تقوم حول « القيم » التى تحكم سلوك الجماهير ، المُثل التى تحدد أخلاقيات العامة ، أخلاقيات المجتمع المعلنة . فكما قيل : الدين للخاصة والتدين للعامة ، أو بمعنى أوضح الاختيار يكون للخاصة ، والممارسة على العامة ، المبادىء تحددها القيادة وتحدد التطبيقات المطلوبة من العامة لإنجازها .. أو تحقيقها . .

فالمهم هو أن المجتمع المسيحى الأوروبي فرض قيم « التطهر وخلق حماسة

---

١ ــ وتجدر الاشارة إلى أن الأكويني هو تلميذ البرتوغنوس الذى كان مستعربا أي متنميا للثاقفة العربية دارسا لها وهو الذى اكتشف دواء للواط يستخرج من رأس الضب ويحرق ويدس رمادة فى دبر المأبون فيشفي بإذن ماغنوس هذا . وقال جون بوزول ان Alzabo ترجمة لا تينية للضبع وهو حيوان مشهور في الفكر اللوطى . ولكننا نعتقد أنها ترجمة للضب . فأهل الجزيرة ينطلقون الضاد ظاء .. المهم أنه فى التطور الثقافى الأوربي ظهر جيل المسحوقين العاجزين عن التعلم ، ثم جيل المبهورين المفتونين المكتفين بالتذوق والعيش فى حضارة خصمهم ، ثم جيل المترجمين والمؤلفين بالعربية لكسب الاعتراف العالمى . ثم جيل المتعصبين المعادين الدارسين بعمق أكثر والمفترين بفجور أكبر . الذين أعادوا صياغة العلم العربي ــ الإسلامى بصيغة أوربية ــ مسيحية ، أخفت تماما ملامح العروبة والإسلام . وهؤلاء هم من يعتبرونهم مؤسسى العلم الأوربي .

المتطهرين ، وفى مقدمة الممارسات التى يجب أن يتخلص منها مجتمع يريد البعث ، هى اللواط الحضارى .. أما ما تفعله الطبقة الحاكمة خلف جدران القصور والأديرة ، ما دام لا ينعكس على السلوك العام ، فهو في هذه اللحظة مسألة شخصية لا تهم إلا الفاعل والمفعول به وحسابهما على الله . ولكن المهم فى دراستنا هذه كما قلنا هو « الفاحشة » التى تؤثر على المجتمع .

وإذا كانت المسيحية الصاعدة قد نقلت جل فضائل السلوك الإسلامى ، ورفضت العقيدة ، فإن الحضارة الإسلامية الغاربة ، وقد دب فيها الوهن ، ومالت إلى الجنوح والنعاس ، اقتبست بدورها مسلكية « التخلف » المسيحى ، وأسوأ ما فى الحضارة المهزومة . وعلى سبيل المثال ، فإن « الصوفية » فى شكلها المتدهور ، وليس فى بدايتها ، ما هى إلا صورة إسلامية للرهبنة ، وكظاهرة انهيار حضارى عندنا ، فقد اشتهر الصوفية باللواط ، وقصصهم تملأ كل الكتب ، ليس فقط فى الأشعار التى ادعوا أنها ترمز إلى عشق الله سبحانه وتعالى عما يصفون والتى علق عليها ناشر انجليزى بقوله : « يصعب تصور تفكير الصوفى فى الله وهو يتحدث عن شعر الحبيب المجعد وشفتيه الورديتين .. الخ » .

ويحكي عن فاطمة ــ أخت أبي علي الروذبادي ــ قالت لما قرب أجل أبى علي الروزبادي ؛ وكان رأسه في حجري ؛ فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت ؛ وهذه الجنان قد زينت ؛ وهذا قائل يقول يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم أنشد يقول:

وحقك لا نظرت إلى سوا كا
بعين مودة حتى أراكا
أراك معذبي بفتور لحظ
وبالخد المورد من حياكا

(الغزالى ــ الاحياء)

بل ان العلاقة الصوفية تكاد تدور حول الشيخ و مـريده ، وغالبا ما يكون هذا المـريد أمرد . ولأمر ما فالكلمتان من حروف واحدة ! .

وما زالت حلقات الذكر ــ فى رأى البعض ــ مركزاً من مراكز تعارف ونشاط اللوطيين[1] . .

وقد خصص الشيخ الحافظ الإمام جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الحوزى البغدادى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ فى كتابه « تلبيس ابليس » فصلا خاصا عن علاقة المتصوفة « بالأحداث » ورد على أعذارهم بالتالي :

« الذين يدعون أنهم يعشقون الله فى صورة الغلام لأن الله قد حل فيه ! وذكر أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا ، أن طائفة من الصوفية ، قالوا أنهم يرون الله عز وجل فى الدنيا . وأجازوا أن يكون فى صفة الآدمى ، حتى استشهدوه فى رؤيتهم الغلام الأسود » .

وفكرة حلول الله فى جسد آدمى هى فكرة مسيحية لها جذورها الاغربقية ، أما أنه يحل أحيانا فى صورة « غلام » يعشق فهى فكرة لوطية اغريقية أصيلة . والغلام الأسود ، اما دليل لا عنصرية المسلمين ، ومزاج الصوفى ! .. وأما تشنيعة لا تخلو من عنصرية ، من الشيخ الحافظ غفر الله له .

« **القسم الثانى** : قوم يتشبهون بالصوفية فى ملبسهم ويقصدون الفسق » . .

وهؤلاء لوطيون فقط بلا فلسفة ، وإنما يندسون بين الصوفية ، لانتشار الغلمان فى حلقات الصوفيين ، ولوجود قابلية لهذه العلاقة بين الصوفيين رجالاً ومريدين في ذلك الوقت الذى يحكى عنه الشيخ . .

« **القسم الثالث** : قوم يستبيحون النظر إلى المستحسن . ونسبوا إلى الرسول « كذبا » : « ثلاثة تجلوا البصر : الخضرة والماء والوجه الحسن » .

١ ــ وقد وضع مصرى ماجن صيغة ذكر زعم يرددونه فى الحلقة يقول : « الواد ده حلو .. خده جانبك » الله حى !

وقال الشيخ إن الحديث من وضع « أبا البختري » : « وكان يدخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر إليه (لاحظ أنه ابن هارون الرشيد الذى قلنا إن عصره كان بداية الانحدار وهذا ابنه الثانى غير الأكبر الأمين « المتهم » ج) فقال الرشيد : أراك تدمن النظر إلى القاسم تريد أن تجعل انقطاعه إليك (؟!) قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترمينى بما ليس في . وأما إدمان النظر إليه فإن جعفرا الصادق ثنا عن أبيه عن جده على بن الحسين عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ثلاثة يزدن في قوة النظر .. الخ .

وقد أثبت ابن الجوزى بطلان الحديث ، وقال إن الفقهاء يقولون : من ثارت شهوته عند النظر إلى الأمرد حرم عليه أن ينظر إليه . وإذا ادعى الانسان أنه لا تثور شهوته عند النظر إلى الأمرد المستحسن فهو كاذب . وقال سعيد بن المسيب : إذا رأيتم الرجل يلح النظر إلى غلام أمرد فاتهموه » .

« **القسم الرابع** : قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة ، وإنما ننظر نظرة اعتبار فلا يضيرنا النظر وهو محال . » .

وروت شهدة بنت أحمد الابرى أول مؤلفة فى الشذوذ الجنسي فى تاريخ البشرية ، قالت ان : « أبا النضر الغنوى ، وكان من المبرزين العابدين ، نظر إلى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع الا وقفت حتى أروى من النظر إليك فوقف قليلا ثم ذهب ليمضى فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدى المعيد الا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر إليه ويصوبه .. » .

وتمضى القصة ، حتى استوقفه بأسماء الله الحسنى كلها وهى ٩٩ اسماً والغلام « التقي » لا يستطيع رفض طلب يبدأ باسم الله !! فلما فرغت الأسماء وفرغ « العابد » مضى الغلام . فرفع « العابد » رأسه بعد طويل اطراق وهو يبكى فقال : قد ذكرنى هذا بنظرى إليه ، وجها جل عن التشبيه وتقدس عن التمثيل وتعاظم عن التحديد .. والله لأجهدن نفسى فى بلوغ رضاه بمجاهدتى جميع أعدائه حتى

أصير إلى ما أردته من نظرى إلى وجهه الكريم وبهائه العظيم ولوددت أنه قد أراني وجهه وحبسني في النار » .

ولا تظن أن الصوفى منافق كاذب ، بل يحدث خلط فى عقله بين اشتهاء الغلام وجمال وجهه وبين تدينه وتطلعه إلى الله فيخرج من المعصية إلى الكفر وهذا التناقض الحاد فى عقل ومشاعر الصوفى ، وعدم قدرته على مغالبة عواطفه ، مع خوفه من الاتهام تفسره هذه الحكاية :

« وكنا فى مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محاربا بن حسان ، الصوفى ينظر إليه نظراً أنكرته . فقلت له بعد أن قام (الغلام) انك محرم في شهر محرم فى بلد محرم فى مشعر حرام وقد رأيتك تنظر إلى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون » فنفى ذلك ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا » .

« وحكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب إليه فى رقعة أنك تحب غلامك التركى ، فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد إليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة » .

وعن أبي الطيب الطبري « ان هذه الطائفة التى تحب السماع ، انها تضيف اليه النظر إلى وجه الأمرد ، وربما زينته (الأمرد) بالحلى والمصبغات من الثياب والحواشى ، وتزعم أنها تقصد به الازدياد فى الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع ، وهذه هى النهاية فى متابعة الهوى » .

وقال يوسف بن الحسين « عاهدت الله مائه مرة ألا أصاحب حدثا ، ولكنى فسخت بفعل قوام القدود وغنج العيون » .

ومن طرائف الباحثة الإسلامية « شهدة » أن أبا الكميت الأندلسى روى : « صحبت رجلا من الصوفية يقال له مهرجان وكان مجوسيا فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاما جميلا لا يفارقه ، وكان إذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام إلى جانبه ثم

يقوم فزعا فيصلى ما قدر له ثم يعود فينام إلى جانبه حتى فعل ذلك مرارا ، فإذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم ان الليل قد مضى علّي سليما لم اقترف فيه فاحشة ولا كتبت على الحفظة فيه معصية وأن الذى أضمره بقلبى لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت (أى من اشتهاء الفعل مع الغلام) ثم يقول ياليل اشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام . ثم يقول سيدى : انت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب . فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع منه هذا القول » . .

ان صدق ؟! أليس لمثله كان وعده ــ سبحانه وتعالى ــ بالولدان المخلدين ؟! .

وكان العشق متبادلا .. قال أبو حمزة الصوفي : « رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاما مدة طويلة ، فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلدا وعظما من الضنا والكمد فقلت له يوما : لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبدا ؟! فقال كيف أسلو عن رجل أجلّ الله عز وجل وصانني عن نجاسة الفسوق في خلال صحبتى له وخلواتى معه في الليل والنهار » .

ان صدق .. ألا يستحقان أن يجمع الله بينهما في الجنة حيث لا يسمعان فيها « لغوا ولا تأثيما » ؟! .

وسأل أبو حمزة محمد بن العلاء الدمشقى « وقد رأيته يماشي غلاما وضيئا مدة ثم فارقه . فقلت له لم هجرت ذلك الفتى الذى كنت أراه معك بعد أن كنت له مواصلا واليه مائلا .. ؟ فقال والله لقد فارقته عن غير قلى ولا ملل قلت : ولم فعلت ذلك (السائل موقفه أغرب من المسؤول) قال : رأيت قلبى يدعوني إلى أمر إذا خلوت به وقرب منى ، لو أتيته سقطت من عين الله عز وجل فهجرته لذلك » .

القسم الخامس :نظر وعشق وتاب .. » « كنت مع أمية بن الصامت الصوفي . إذ نظر إلى غلام فقرأ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1] تبارك اللهفما أعظم ما امتحننى به من نظرى إلى هذا الغلام ما شبهت نظرى اليه إلا بناروقعت على قصب في يوم ريح فما أبقت ولا تركت .. ثم بكى حتى كاد يقضي نحبه .

« وقسم تلاعب به المرض من شدة حبه ! » . .

فقد روت شهدة الكاتبة عن غيرها : « أن عبد الله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم نظر إلى غلام حسن في بعض الأسواق فبلى به . وكاد يذهب عقله عليه صبابة وحبا وكان يقف كل يوم فى طريقه حتى يراه اذا أقبل واذا انصرف فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضنا ، وكان لا يقدر أن يمشي خطوة فأتيته يوما لأعوده . فقلت يا أبا محمد ما قصتك ، وما هذا الأمر الذى بلغ بك ما أرى ، فقال أمور امتحننى الله بها فلم أصبر على البلاء فيها ، ولم يكن لى بها طاقة .. ثم بكى .. الخ فانصرفت عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال .. » .

« ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقي وكان من خيار عباد الله إلى غلام جميل فغشى عليه ، فحمل إلى منزله واعتاده السقم حتى أقعد رجليه وكان لا يقوم عليهما زمانا طويلا . فكنا نعوده ونسأله عن حاله وأمره ، وكان لا يخبرنا بقصته ولا سبب مرضه ، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره . فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائدا (!!) فهش اليه وتحرك وضحك في وجهه واستبشر برؤيته . فمازال يعوده حتى قام على رجليه وعاد إلى حالته . فسأله الغلام يوما أن يسير معه إلى منزله (!!) فأبى أن يفعل ذلك فسألنى (أبو حمزه راوي القصة) أن أسأله أن يتحول اليه فسألته فأبى أن يفعل ، فقلت للشيخ ، وما الذى تكره من ذلك ؟ فقال : لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة ، وأخاف أن يقع علي من الشيطان محنة فتجرى بينى وبينه معصية فأكون من الخاسرين » .

---

١ ـــ ٤ ـــ الحديد .

وحق للدارسين القول أنه منذ الأغريق ، لم يحدث تسامح وقبول اجتماعى لهذه الظاهرة إلا في الحضارة الإسلامية « الآفلة » فالناسك يعشق الغلام ويمرض فى حبه ، والناس يتحدثون بذلك حتى تصل الأخبار للغلام ، فيستجيب لذلك بروح اكثر من متسامحة ، ويزور عاشقه حتى يُشفى ثم لا يكتفى بذلك ، بل يعرض عليه « المعاشرة » ، أولا بدعوته إلى منزله ، ولا أحد يهتم بتفسير موقف عائلة « الغلام » .. وإلا كيف تأتى له المنزل الذى يصلح لاستقبال الصوفي العاشق ؟! .. إلا إذا كان غلاما محترفا ؟! ولكن ما أظن أن صوفيا بصلاح وترفع ابن الاشعث : « وكان من خيار عباد الله » يعشق غلاما مومسا .. فهل كانت أسرة الغلام تفوق « تحضر » عائلات سان فرنسسكو حتى تسمح له بمعاشرة رجل تحت سقف بيت العائلة ؟! .

ثم يعرض الغلام الانتقال إلى منزل « ابن الاشعث » و يستعين فى ذلك « بأبي حمزة الصوفى » الذى لا يرى فى هذه الوساطة ، « قوادة » ولا مما يشين الرجال فضلا عن الصوفيين .. ولا ما يغضب الله .. بل يسأل الرجل دهشا : « ولماذا ترفض هذا ؟ » .

هذا مناخ حضارة آفلة ، لم تعد ترى في ذلك الفعل عيبا ، وان ارتفعت حدة الفقهاء بلعن الفاعل والمفعول فيه ، فقد أصبح صوتهم هو النشاز ، بل يسمع أكثر على الجانب الآخر حيث العدو المتربص ، وحضارته الصاعدة . .

فلا تقولوا هزمنا بسبب الدين ، بل بتخلينا عن الدين ، اندفاعنا في الانحلال إلى القاع .. أما الصوفى الكبير في بلاد فارس الذى ابتلى « بحدث » فقد فعلها معه ، ثم ندم فألقى بنفسه في البحر ومات غرقا . .

وقال ادريس بن ادريس « حضرت بمصر قوم من الصوفية ، ولهم غلام أمرد يغنيهم قال ، فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال له : ياهذا قل لا اله الا الله .. فقالها الغلام فقال الرجل : أقبل الفم الذى قال لا اله الا الله .. وقبله في فمه !! » .

القسم السادس : « قوم لم يقصدوا صحبة المردان وانما يتوب الصبى ويتزهد ويصحبهم فيتكرر نظرهم اليه لا عن قصد فيثير في القلب فتنة » .. الخ .

القسم السابع : « قوم علموا أن صحبة المردان والنظر اليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا على ذلك » .

وكان الغلمان يتصدون للصوفية استعراضا لجمالهم فقد روى أحدهم : « وقفت على الشبلى في قبة الشعراء فى جامع المنصور ، والناس عليه مجتمعون ، فوقف عليه في الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد في ذلك الوقت أحسن وجها منه ويعرف بابن مسلم (تأمل كيف عرف الراوى أبو صابر الدلال الوجوه الجميلة في بغداد وترتيبها ، واسم الغلام .. الخ) فقال له (الشبلى) تنح ، فلم يبرح ، فقال له الثانية تنح يا شيطان عنا فلم يبرح ، فقال له في الثالثة : تنح والا والله خرقت كل ما عليك . وكانت عليه ثياب في غاية الحسن تساوى جملة كثيرة فانصرف الفتى فقال الشبلى :

طرحوا اللحم للبزاة على ذروتى عدن
ثم لاموا البزاة إذ خلعوا منهم الرسن
لو أرادوا صلاحنا ستروا وجهك الحسن

ثم استأنف الوعظ في جامع المنصور !! وقصة الشبلي حافلة بأدلة الترف والثروة الهائلة التى كانت قد تجمعت في المجتمع الاسلامى ، وأفضت إلى فسق مترفيها .. وانحراف « عابديها » . قيل إنه « كان يلبس ثيابا ثمينة ، ثم ينزعها ويضعها على النار . وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ذنب الحمار . وقال بعضهم : دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار لكي لا يشغله عن ذكر الله . وباع عقارا ففرق ثمنه » .

وهكذا .. تأمر مترفوها ففسقوا فيها فحل عليها الزوال الحضارى .

ولدان مخلدون

وأعتقد أنه قد آن الآوان لنلخص « خواطرنا » في الموضوع ؛ فنقول : اننا نقسمه إلى موقفين : السلوك الفردى .. والمسلكية الحضارية .

والحالة الفردية ، يهمنا فيها ، بالطبع ، حكم الدين . وعلى ضوء ما قدمناه من آراء حول أسباب ميل الفرد للواط ، نرى أن هذا الفعل موجود ويمكن أن يقع فى كل الظروف والمجتمعات ، كذلك الميل يمكن أن يوجد فى مختلف الطبقات والأفراد والمجتمعات . والفعل ــ فى رأينا ــ محرم دينيا ، واذا كانت هناك محاولات في الكنيسة وبين المسيحيين واليهود لاعادة صياغة التوراة . أو « لي » عنق النصوص لتلائم اتجاهات العصر ، وذلك بالبحث عن تفسير غير جنسي لما أصاب قوم « لوط » من انتقام إلهى .. خلاف التفسير الشائع والمتوارث . ويزعم المفسرون الجدد أن قوم لوط عوقبوا لسوء معاملتهم لابن السبيل ! ويستشهدون على ذلك بأن الانجيل عندما أنذر القدس بمصير أسوأ من « سادوم » لم يكن بسبب فعل جنسي بل لأنها لم تحسن استقبال المسيح . .

ولكن القرآن ، لم يترك مجالا لمثل هذا التلاعب .. فعلى خلاف المنهاج القرآني المعتاد ، وهو تجنب التحديد الملزم في الوقائع التاريخية وتفضيل الكناية

في مسائل الجنس ، نجده في قصة لوط قد حدد بصراحة تهمتهم : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ﴾[1] . وقد وردت قصة قوم لوط فى سور : هود والحجر والشعراء والنمل والعنكبوت والصافات ..

ولكن هذه الدراسات تستشهد بالقرآن ، لتعزيز رأيها بأن جريمة قوم لوط ، هي اهانة الضيوف ، فيقولون إنهم توجهوا إلى بيت لوط « للتعرف » على الضيوف باعتبارهم غرباء عن المدينة التى حظرت عليه الاتصال بالغرباء أو استقبالهم في بيته ، ربما خوفا من غزو خارجى أو مؤامرة يدبرها معهم ، فأرادوا التعرف عليهم وهذا المقصود بفعل[2] to Know ولكن التبس على الشراح في القرون التالية لأنه نفس الفعل المستخدم فى « وعرف آدم حواء » فولد لهما كذا ، وعرف آدم حواء مرة ثانية فولد له .. فالفعل هنا يعنى الوطء فكأن أهل المدينة لما قالوا لسيدنا لوط نريد أن « نعرف » ضيوفك .. قالوا نريد أن نجامعهم .. ويقول أنصار هذا الرأى إن القرآن قال على لسان أهل المدينة : ﴿ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[3] ولا يعقل أن يكون سبب المنع جنسيا ، لأن « لوط » هو الوحيد غير الشاذ ، وانما المنع فى هذه الحالة يكون لأسباب سياسية أو أمنية . .

الا أن هذا التفسير متهافت .. فمن ناحية ؛ القرآن شديد الوضوح بأن الحوار كان جنسيا وليس أمنيا ، بدليل عرض لوط بناته عليهم . .

﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝٧٨ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝٧٩ ﴾[4]

---

١ ــ ٨١ ــ الاعراف .

٢ ــ وتقول احدى الدراسات ان كلمة Yadha (نعرفهم) استخدمت في التوراة ٩٤٣ مرة منها خمس عشرة فقط بمعنى جنسى ، مما يجعل المعنى الآخر هو الاغلب !

٣ ــ ٧٠ ــ الحجر .

٤ ــ ٧٨ ــ ٧٩ هود .

والحديث عن طهارة البنات ، أو أنهن أطهر يشير إلى المعنى الجنسي ولكن الرد بأنهم ليس لهم « من حق » في بناته ، وليس « من أرب » أو « رغبة » يعنى أن لهم « حقا » في ضيوفه .. فهو قول لا بعززَ التفسير الجنسى هنا .. ولكن الآيات الأخرى تزيل الشبهة : ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[1]

واستبشار أهل المدينة ، وعرض البنات « ان كنتم فاعلينْ » يرجح المعنى الجنسى ، فلو كانت قضية أمن ، لما كان هناك مبرر للاستبشار بل الأحرى ، القلق .. وانما مفهوم السياق أنهم رأوا « ذكورا » في جمال الملائكة ، وغرباء ، أى فيهم طرافة الجديد ، فجاءوا يستبشرون ! أما « نهيه عن العالمين » فيمكن القول انه كان يؤلب عليهم الشبان بنصحهم بالاقلاع عن هذه العادة ، فمنعوه من الاتصال بأحد . « هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين » منطق معروف ومعتاد جدا من الكبار الذين يحاولون اقناع الشاذ جنسيا بأن البنات أفضل . مع ملاحظة أن البشرى قد تكون بمفهوم المخالفة ، فقد ورد في القرآن التبشير بالعذاب في أكثر من موضع . وأيضا جاءت لفظة البشرى وفعلها مقترنة بالإنباء عن غلام أو مولود « ذكر » في ١٩ موضعا في القرآن .

قال مجاهد وسعيد بن جبير وأغلب المفسرين .. بناته هن نساء المدينة أو أمته كما قال الله تعالى عن النبي وازواجه امهاتهم أي امهات المؤمنين وإن لم يلدن هؤلاء ويعزز هذا انه قال في القرآن هؤلاء بناتى وهو جمع ، وهو ما يناسب عقلا حاجة مدينة بأكملها . بعكس رواية التوراة التي حددت عدد بناته باثنتين : لي ابنتان لم يعرفا الرجال ؛ أتوسل إليكم ان احضرهما إليكم وافعلوا بهما ما احببتم ولكن لا تفعلوا شيئا بهؤلاء الرجال لأنهم تحت سقفى .

---

١ ــ ٦٧ ــ ٧٠ الحجر .

ولعل مما يعزز هذا التفسير قولهم « مالنا في بناتك من حق » إذ لو كان الحديث يجرى على ابنتي لوط ، فهو وليهم ، وهذا الحق يتأتى من موافقته أو عرضه ، ولكنه لا يملك ذلك على بنات المدينة ، ولذلك قالوا ان عرضه غير واقعى إذ ليس له ولا لهم من حق عليهن . فضلا عن لا معقولية أن يتصور كفاية ابنتين أو حتى عدة بنات ، لاشباع « أهل المدينة » ! .

والغريب أن رواية التوراة ، قد نسبت إلى سيدنا لوط وبناته الصالحات ، والعياذ بالله ، نسبت اليهم ، فعلا أسوأ من أى جريمة ارتكبها قوم لوط . إذ زعمت أن بنات لوط (بنتان) خشيتا من فناء العالم بعد هلاك مدينتهما ، فسقتا أباهما لوطا خمرا وجامعهما ، وهو لا يعقل من السكر ، وحملتا منه انقاذا للجنس البشرى ! .. مع ان « ابراهيم » ـــ كما فى الرواية ـــ كان موجودا وكان لديه قومه أو أهله القادرون على الانجاب والاخصاب ! .

ولعل هذا هو ما أثار الشك عند الغربيين في السبب الأخلاقى لدمار مدينة لوط ، طالما أن نفس الرواية تنسب هذا الفعل للنبي الذى كان السبب في دمار المدينة ! .

نعود للقول الحق :
لم تترك الآيات القرآنية ـــ كما قلنا ـــ مجالا للشك أو الغموض أو التأويل حول مسلكية قوم لوط وما عوقبوا عليه :

﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) ﴾ [١] .

ثم ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) ﴾ [٢] .

١ ـــ الشعراء .

٢ ـــ النمل .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾[1]

الحمد لله ! هذه الآية — كما ذكرنا — تثبت أن الفراعنة لم يرتكبوا هذه الفاحشة ، على الأقل إلى زمن لوط وابراهيم .. وبالمناسبة فإن « عفة المصريين » كانت شائعة ومعروفة ، ففي الرواية الكاذبة عن نبى الله ابراهيم عندما جاء إلى مصر ، وعرض زوجته — فيما زعمت التوراة المحرفة — على فرعون باعتبارها أخته .. فغازلها فرعون طبعا ، ولكن لما عرف أنها في عصمة رجل غضب وعاتب ابراهيم على مسلكه الذى كاد أن يجلب على « فرعون » العار .. وهو الزنا بحليلة ضيفه . .

بالطبع القصة لا أساس لها من ناحية الوقائع ، إذ لا يمكن أن يكون هذا سلوك نبي ، ولكنها اعتمدت على حقيقة معروفة وقتها وهي عفة فرعون أو المصريين ..

فالقرآن شديد الوضوح في تأكيد شذوذ هذه الجماعة ، وأنها كانت تفضل اتيان الذكور على النساء ، بل الصدوف عن اتيان النساء .. ويمكن القول أن النص يتحدث عن « الفاعلين » أو الطرف الموجب فى علاقة اللواط فهؤلاء هم الذين « يأتون » وهؤلاء هم الذين يفترض فيهم القدرة والامتناع عن اتيان النساء ، أما الطرف السالب ، فهو « يؤتى » بدلا من النساء .. ولعل ذلك ما جعل بعض الفقهاء يقول بأن المفعول فيه « يغتسل تأدبا » لأنه في رأيهم .. لا يلتذ ولا يمني ، وبالتالى فلا جنابة حقيقية .

غير أن هذا التفسير هو مجرد خاطرة ، لأن الثابت من النص أن المدينة كلها قد دمرت فاعلها ومفعولها رجالها ونساءها .. ومن هنا استنتج المفسرون أن أهل المدينة من النساء كانوا سحاقيات . رغم أن القرآن قد خلا تماما من أية اشارة

---

١ — العنكبوت .

إلى السحاق[1] ، أوالى نساء المدينة ، إلا امرأة لوط التي قدر لها ، أن تكون من الغابرين . ولم يرد في القرآن سبب لذلك .. وقد عرفنا من خلق القرآن العفة في الحديث الا عند الضرورة ، البعد عن التفاصيل .

واللواط ، هو اذن ، من أبشع الخطايا في الاسلام ، وعقاب الله كما قال الصحابة — عن حق — للقوم الذين يمارسون هذا المنكر كان عقابا شاملا منكلا فقد دمر المدينة وقلبها رأسا على عقب ، وقذفهم بحجارة مسومة .. ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها .. وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ﴾[2] وان كنا لا نرى ما رآه بعض المفسرين ، من أنه كان عقابا فذا لم يعاقب به أحد ، فقد أغرق الله قوم نوح جميعا حتى ابنه ، مع أنهم لم يرتكبوا هذا الفعل ، ودمر وأباد قوم عاد ، وثمود ، لأنهم عقروا الناقة متحدين نبيهم ، كما قذف أصحاب الفيل بنفس الحجارة . .

وان كان لا يفوتنا مغزى الاشارة إلى « الفناء الحضارى » للمدينة التى تشيع فيها هذه الفاحشة ، ولعله من « المصادفات العلمية » أن اللواط كما ثبت أخيرا

---

١ — ولا أعرف المصدر الذى استند اليه الشيخ « سيد سابق » في تفسير الآية بأنها تعنى المساحقات اذ قال « والنساء اللاتى يأتين الفاحشة وهي السحاق الذى تفعله المرأة مع المرأة .. الخ » فى تفسير واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن .. » الآية .. وقال ان « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما .. فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما جاءت في اللوطيين . ربما من لفظة « الفاحشة » .. ولكن لغويا فإن « اللذان » يمكن أن تكون لذكرين أو لذكر وأنثى .

وورد فى موسوعة فقه على بن أبى طالب عن كنز العمال :

جاءت عليا امرأتان قد قرأتا القرآن فقالت: هل تجد غشيان المرأة المرأة حراما في كتاب الله ؟ فقال لهما : نعم ، من اللواتي كن على عهد تُبّع وهن صواحب الرس » .

وعن مسند زيد بن على . عن على بن أبي طالب « أن حدهما حد الزنا إن كانا أحصنا رجما وإن كان لم يحصنا جلدا » ص ٥٤٧ .

يسبب انتشار مرض خاص يسمى AIDS يقضي على المناعة الطبيعية للجسم ، مما يحتم الموت أمام أى تحد خارجى أو داخلى ، ونظريتنا أن هذه الظاهرة تصاحب أو تسبب فقدان المناعة الحضارية للأمم مما يسهل القضاء عليها . .

وقد يقال إن عقر الناقة كان ذنبا قاضيا على قوم صالح ، ولكنه لا يشكل جريمة ولا خطيئة اليوم ، بل إن عقر الناقة أو الجواد في الجهاد من دلائل الايمان ، وهو دفع باطل ، لأن قوم صالح لم يهلكوا بسبب عقر الناقة ولا جاءتهم الناقة ابتداء من عند نبيهم .. بل هم الذين طلبوا آية . فجاءتهم في شكل ناقة ، فعقروها تحديا واستهزاء وامتحانا لمصداقية نبيهم ، ووجود الله وقدرته عليهم . وهذا ما استوجب عقابهم . فهي ناقة مخصوصة في ظروف مخصوصة .. ولكن اتيان الذكور حالة دائمة وقد وصف الله هذا الفعل بأنه من « الخبائث » و « الفاحشة » ، ووصفهم بالفاسقين وقوم السوء والعادين والجاهلين « ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين » . وهذه كلها أدلة لا تحتمل الشك في أنه فعل مكروه مبغوض من الله مستنكر بشكل دائم ، مثل الزنا ، والشرك ، وأكل مال اليتيم ، والربا ومنع الماعون .. الخ .

وقد أوضحنا رأينا في النتائج الاجتماعية والحضارية لهذه الظاهرة ، فإذا انتقلنا للعقوبة ، وهي موضوع اهتمامنا أساسا بالنسبة للدولة الاسلامية المنشودة .. نقول انه لم يرد في النصوص اشارة إلى عقوبة بشرية يوقعها السلطان بالفاعلين مثل ما ورد في الزنا والسرقة والقذف وقطع السبيل .. وليس في سنة رسول الله ﷺ ما يفيد تطبيق أى حد في مرتكب هذه الفعلة ، وهذا على الأغلب لعدم وصول حالة من هذا النوع إلى السلطة الاسلامية في عصر الرسول . .

كذلك لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم قرر حكما ولو من الناحية التشريعية ، وكل الأحاديث المنسوبة اليه صلوات الله عليه ، عن أحكام اللواط مطعون في صحتها .. فحديث : « أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط ولعن من فعل فعلهم ثلاثا » .. قال عنه الترمذى : « غريب » .

وحديث « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» أنكروا سنده من عكرمة عن ابن عباس . وقال الحافظ « رواته موثقون إلا أن فيه اختلافا » .

وحديث : « سحاق النساء بينهن زنا » قالوا : « إن اسناده لين » .

وحديث « أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون فى سخط الله ... والذى يأتى الذكر يعنى اللواط قال عنه البخارى : ولا يتابع على حديثه أى راويه محمد ابن سلام الخزاعى ، عن أبى هريرة » .

وحديث « اذا ركب الذكر على الذكر اهتز عرش الرحمن » وصف بأن اسناده « واه لين موضوع » .

وحديث ابن عباس « ان اللوطى اذا مات من غير توبة فإنه يمسخ في قبره خنزيرا » وصف راويه بأنه « يروى المناكير » وأحد مصادره « اسماعيل بن أم درهم » : « لا يُحتج به » وصنفه ابن الجوزى فى الأحاديث الموضوعة .

أما حديث وفد عبد القيس لما قدموا على النبي ﷺ ، « وكان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبي ﷺ خلف ظهره » فقالوا : « لا أصل له . وهو حديث منكر ، فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع » .

إلا أن أقوى دليل على أن رسول الله لم يشرع عقوبة في اللواط لا تطبيقا ، ولا بمجرد النص ..أن المسلمين لما فتحوا بلاد فارس والشام وغيرها حيث كانت الحضارات الآفلة ، فوجئوا بهذا الفعل ، واعتقلوا مرتكبيه ، ولا ندرى كيف ثبتت الجريمة ، فلم تصلنا تفاصيل ، ولكنها على الأرجح ثبتت بالاعتراف .. عندها بعث الولاة يستفتون كبار الصحابة في المدينة .. ما هى العقوبة ؟ وجلس هؤلاء للاجتهاد . ولو كانت هناك سنة ثابتة لنفذها الولاة في الامصار ، فإن غابت عنهم ، لكتب اليهم الخليفة بها على الفور .. ولكن .. لأن النص غاب .. فلا هو في القرآن ، ولا فى السنة .. فقد تبادل كبار الصحابة الرأى تحت تأثير عاملين : حجم

الادانة التى وردت في القرآن للفعل .. وما توسموه ـــ عن حق ـــ من نتائج خطيرة على مجتمع مجاهد يخوض حرب حياة أو موت ، ويضع أسس حضارة جديدة . وقد قلنا ان اللواط من علامات انهيار الحضارات .. ولذلك جاءت تشريعاتهم شديدة النكال ، وهو ما كان متوقعا ، فاقترح أبو بكر أن يقتل بالسيف تم يحرق ، وقال عمر وعثمان : « يلقى عليه حائط » وقال ابن عباس « يلقى من أعلى بناء في البلد » . ولم يستقر الاجتهاد على ما وصل اليه في عهد أبي بكر ، فقد استمر علماء المسلمين في الاجتهاد ، فقال البغوى الشعبى والزهرى ومالك وأحمد واسحاق : « يرجم » وقال النخعى « لو كان يستقيم لرجم مرتين » ونقلوا عن أبي بكر وعلى وعبد الله بن الزبير وهشام بن عبد الملك : يحرق . أما المتأخرون فقد استقر رأيهم على حد الزنا ، اذ اعتبروها مساوية للزنا .. فقد رأى سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والحسن وقتادة والنخعي والثورى والاوزاعي وأبو طالب والامام يحيى والشافعى أن حدها حد الزنا . أما أبو حنيفة والمؤيد بالله والمرتضى والشافعي فقالوا بالتعزير لأن الفعل ليس بزنا . وزاد أبو حنيفة « لا يجلد ولا يرجم » .

وفي تفسير الرازى : « اختلف الصحابة في حكم اللواط ، وكانوا عالمين باللغة فلو سمى اللواط زنا لأغناهم نص الكتاب في حد الزنا عن الاختلاف والاجتهاد » .

ورأى ابن تيميه رضى الله عنه : « اكثر السلف يوجبون قتل فاعله مطلقا ، وان لم يكن محصنا . وقيل ان ذلك اجماع الصحابة وهو مذهب أهل المدينة ، كمالك وغيره ، ومذهب أحمد فى أصح الروايتين عنه ، والشافعي في أحد قوليه . وعلى هذا القول يقتل المفعول به مطلقا ، اذا كان بالغا ، والقول الثانى هو حده حد الزنا ، وهو قول ابى يوسف ومحمد والشافعى وأحمد في أحد قوليهما ، واذا قيل الفاعل كالزاني فيقتل ويقتل المفعول به مطلقا ، وقيل لا يقتل ، وقيل بالغرق كالفاعل وسقوط الحد من مفردات أبي حنيفة » .

وكذب ابن تيمية من قال ان مالك أباح اللواط بالعبيد .. « كذب لم يقله أحد من علماء السنة ، واظنه قصد التشنيع به على مالك ، فإنى رأيت من الجهال من

يحكى هذا عن مالك وأصل ذلك ما يحكى عنه فى حشوش النساء فإنه لما حكى عن طائفة من أهل المدينة إباحة ذلك وحكى عن مالك : فيه روايتان : ظن الجاهل ان ادبار المماليك كذلك ، وهذا من أعظم الغلط ممن هو دون مالك فكيف على مالك مع جلالة قدره وشرف مذهبه » .

« ومذهب مالك وعلماء المدينة ان اللائط يقتل رجما محصنا كان أو غير محصن سواء تلوط بمملوكه أو غير مملوكه فإنه يقتل عندهم الفاعل والمفعول به » .

وقال ابن حزم إن أبا بكر ضرب رجلا ضم صبيا حتى أمنى ضربا كان سببا فى موته . وأعجب الامام مالك — فى رواية ابن حزم — بالأمير الذى ضرب غلاما مكن رجلا من تقبيله حتى أمنى الرجل ، ضربه الأمير حتى مات (الصبى) . وان كان ابن حزم علق بالاشارة إلى وجود اختلاف حول هذه العقوبات ، وانه ممن يرى « ألا جلد فوق عشرة ، الا فى حد من حدود الله » وملخص اجتهادات الفقهاء يمكن إجمالها فى الآتى :

● أن اللواط خطيئة ومعصية منكرة عند الله سبحانه وتعالى من مفهوم الآيات ، ومتضمنا في قوله « ولا يقربون الفواحش »وإن لم يرد نص واضح بالتحريم أو تخصيص بالتجنب .. مثل الخمر أو الزنا أو أكل لحم الجنزير .. الخ .

● وهو مثل الزنا من الجنايات التي بين العبد وخالقه ، يطلب فيها عدم الفضيحة أو اشاعة الفاحشة ، ويستحسن الستر على فاعلها ، عسى أن يتوب الله عليه ، ولا تستحب الشهادة فيها ، ويستنكر من فاعلها المجاهرة ، ولا ينصح بفضح نفسه بالاعتراف للسلطة أو الحديث عنها ، واذا تاب فإن الله غفور رحيم . .

● كل اشتراطات ثبوت الزنا مطلوبة في اثبات اللواط أى أربعة شهود يرون .. الخ .. ولو شهد ثلاثة وشك الرابع فلم يجزم بأنه رأى المرود في المكحلة مع أنه رأى « أقداما بادية ، وانفاسا عالية ، وأمراً منكراً ... » عندها يجلد الشهود الثلاثة ثمانين جلدة ويطلق سراح المتهم .

● عقوبتها لم يرد فيها نص قرآني ، ولا سنة ثابتة ، ولذا فهى متروكة لتقدير الحاكم . وان صح تفسير « سيد سابق » فهى العزل عن النساء للمساحقة ، و « ايذاء » اللوطي .. وليس القتل من الايذاء ، خاصة وان بقية الآية تأمل للفاعلين في التوبة ، أى الاستمرار على قيد الحياة .. والتعزير لا يكون بالرجم ولا الجلد . فهى من ناحية العقوبة ليست كالزنا كما قال الفقهاء ، وللحاكم أن يقدر ظروف المجتمع وظروف المتهمين ويحكم بالتغريب في مستشفى نفسانى أو بالسجن أو بتزويج الفتيان ان كانوا من المراهقين .. أوما تتفتق عنه القريحة التشريعية .

ولا شك أن « اللواط » هو موضوع حديث العهد بالبحث والدراسة ، رغم قدمه كظاهرة ، ومن ثم لا نستطيع أن نلم ــ الآن ــ بحكمة المشرع ، عز وجل ، فى عدم فرض عقوبة ، غير أنه يجب أن نشير هنا إلى عدة نقاط خطرت لنا ، مجرد خواطر ، نسأل الله عنها السلامة ، فنخرج من السوق كما دخلنا ، فلا نحن نطمع في أجر ولا أجرين وقد وضحنا أننا لسنا من « المجتهدين » فما لنا في أجورهم من حق ! .

وهذه الخواطر هى :

أنه لا علاقة طردية بين بشاعة الخطيئة ، وشدة استنكارها في القرآن والخلق الاسلامى ، وبين العقوبة أو الحد المفروض فيها .. فليس فى القرآن ــ مثلا ــ جريمة أبشع من الكفر ولكن لا عقوبة عليها فى الدنيا أو لا حد للكفر . لذا لا يجوز القول بأنه ما دام لم تشرع عقوبة للواط ، فهذا يعنى أنها ليست جريمة ، أو ليست فى مستوى الكبائر ! هذا خطأ بالطبع .

ويرى الغزالي أن الابهام فى الكبائر التى لم يرد فيها حد أمر مقصود من الله سبحانه وتعالى لأن دار التكليف هي دار الدنيا . وهذا أمر يتعلق بالآخرة والإبهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر » الإحياء ج ٤ .

ولم افهم ماذا يقصد !

وكما لا يجوز للمشرع أن يتهاون في عقوبة ما لم يرد به حد .

كذلك لا يجوز للمشرع أن يتأثر فى تقديره للعقوبة ، بما ورد من وصف لبشاعة الفعل ، وعقاب الله سبحانه وتعالى لقوم لوط .. فالله سبحانه أهلك قوم عاد وثمود لأنهم كفروا بنبيهم ، ولكن لا يحق للمشرع اليوم أن يقضى باعدام أو إهلاك من يكفر بهود أو صالح أو حتى محمد صلوات الله عليه .

الثانية : أن حد الزنا مقترن بالاحصان ، ونحن نرى أن « اللوطى » لا يمكن أن يكتمل فيه شرط الاحصان . إلا اذا فهمنا الاحصان على انه معرفة الفعل بتجربته . .

وقد عرف صاحب الفقه على المذاهب الأربعة الاحصان بأنه « الزواج من امرأة محصنة (!) بعقد صحيح ووطئها فى قبلها ، فمن وطىء امرأة فى دبرها فليس بمحصن ولا هى .. » ولم نفهم كيف تكون المرأة التى سيتزوجها « محصنة » قبل أن يطأها ! .. واذا كان يقصد بالاحصان مجرد تجربة الجنس ، فإن شرط الزواج بعقد صحيح غير ذى معنى .. ولذا نعتقد أن الاحصان يرد بمعنيين ، معنى اجتماعى وهو المقصود فى حد القذف ، وإلا لأبيح قذف البكر ! .. ومعنى قانوني نفساني هو شرط من شروط حد الزنا .. وهو معرفة طبيعة الفعل وأبعاده .. فالنبى عندما سأل ماعزا : أتعرف ما الزنا .. قال : فعلت بها في الحرام ما أفعله بزوجتى فى الحلال أى معرفة أبعاد الفعل .

واذا أخذنا المعنى الثالث المستخدم فى الرواية المنسوبة للامام الشافعى : وهو قوله — فى زعمهم — « من لم يتزوج مصرية فليس بمحصن » . وهذا بالطبع لا فقه ولا حتى جد .. وانما لو قاله فعلى سبيل المزاح ، وتحية لمصر التى استضافته ، وألمعية فى معرفة أن كسب رضاء المرأة يغنى عن سائر الجهود مع السلطة أو المجتمع . .

ولكن المهم هنا ، هو استخدام اللفظ ، فالمعنى المقصود أنه لم تشبع حاجته تماما . .

وبالتالى فلا نستطيع القول باحصان اللوطى لو تزوج ، لأن شهوته لا تنطفىء بالزواج من امرأة ، خاصة اذا كان سلبيا ، وان كان الزواج في بعض الحالات يساعد على العصمة . كذلك فان مفهوم الرابطة الزوجية لا ينعكس بشكل واضح على علاقة اللواط . ومن ثم ذهبنا إلى أن اللوطى لا يمكن أن يكون محصنا ، الا من ناحية واحدة ، وهى خيانة الزوج أو الزوجة إذ يفترض فى الحياة الزوجية ، الاتفاق أو التعاقد على المشاركة الكاملة الجسدية والنفسية . ومن ثم فمن حق الحاكم أن يشدد أكثر فى عقوبة اللوطى المتزوج . .

على أية حال فإن هذه الأسئلة تنبع من حقيقة أن الاسلام ادان هذا الفعل أشنع إدانة .. ثم لم يفرض فيه حدا . .

ثم نأتي لهذه الخاطرة ، وهى تفسير وعده سبحانه وتعالى للمؤمنين بولدان وغلمان فى الجنة « مخلدون » وغاية فى الجمال والنضارة .

وقد ورد ذلك فى ثلاث سور : الطور والواقعة والانسان .. قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[١]

---

١ — ١٠ — ٤٠ الواقعة .

ولا أظن أن أحدا يستطيع المجادلة فى أن « الولدان » هنا هم غلمان . وأنهم يعرضون فى مجال التنعم والتلذذ. بجمالهم ، كجزاء حسن للمؤمنين ، مثلهم مثل الأباريق والخمر والفاكهة والطير ، وحور العين ، كلها للمتعة بما فيها من حسن ، واذا كان « الولدان » « وحور العين » هما الكائنان العاقلان ،، وحور العين ، ثابت فى الأثر وبنص القرآن ، أنهن للاستمتاع الجنسى ، وكل الفرق فى الآية بينهن وبين الولدان ، وهو أن حور العين لؤلؤ مكنون والوالدان « لؤلؤ منثور » والمفسرون رضى الله عنهم قرروا أن اللؤلؤ المنثور أكثر جمالا من المكنون . وان كان « المكنون » أكثر صيانة ، وأكثر اثارة للخاطر ، الا أن الله سبحانه وتعالى قد آثر هؤلاء الغلمان بالجمالين ، المكنون والمنثور .. فقال عنهم فى سورة الطور :
﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] .

قال ابن عباس « سرر منسوجة بالذهب ، مرصعة بالدر ، متكئين عليها ، أى حال كونهم مضطجعين على تلك الأسرة ، شأن المنعمين المترفين » (لاحظ اقتران « الولدان » والتمتع بهم دائما مع الترف الشديد ج) متقابلين أى وجوه بعضهم إلى بعض ، ليس أحد وراء أحد ، وهذا أدخل فى السرور ، وأكمل فى آداب الجلوس . ويدور عليهم للخدمة أطفال (نعترض هنا فالله سبحانه وتعالى يقول ولدان وغلمان والولد أو الغلام غير الطفل ج) في نضارة الصبا لا يموتون ولا يهرمون قال ابو حيان . وصفوا بالخلد ، وان كان كل من فى الجنة مخلدا ليدل على أنهم يبقون دائما فى سن الولدان (الولدنه كما يقول الشوام واللبنانيون ج) لا يتحولون ولا يكبرون ، كما وصفهم جل وعلا [2] .

وفي سورة « الانسان » وتأمل حكمة اسم الآية ! . .

﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ

---

١ ـــ ٢٤ ـــ الطور .

٢ ـــ صفوة التفاسير . محمد على الصابوني عن البحر المحيط .

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾[١]

قال المفسرون : مضطجعون على الأسرة المزينة بفاخر الثياب والستور ، وانما خصهم بهذه الحالة لأنها أتم حالات التنعم . « أى غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين (مخلدون) أى دائمون على ماهم عليه من الطراوة والبهاء . قال القرطبى أى باقون على ماهم عليه من الشباب والنضارة ، والغضاضة والحسن ، لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحدة على مر الأزمنة (تفسير القرطبى) اذا نظرتهم منتشرين فى الجنة لخدمة أهلها ، خلتهم لحسنهم وصفاء ألوانهم واشراق وجوههم كأنهم اللؤلؤ . وقال الرازى هذا من التشبيه العجيب لأن اللؤلؤ اذا كان متفرقا يكون احسن فى المنظر لوقوع بعضه على بعض فيكون أروع وأبدع »[٢] .

وجاء فى تفسير الرازى :

يطوف عليهم ولدان مخلدون فيها وجهان ؛ أحدهما أنه على الأصل وهم صغار المؤمنين وهو ضعيف ؛ لأن صغار المؤمنين أخبر الله تعالى أنه يلحقهم بآبائهم وقيل انهم صغار الكفار وهو أقرب من الأول .

والثانى أنهم صغار بصرف النظر عن كونهم مولودين .. مخلدون لا يتغيرون عن حالهم ويبقون صغارا دائما لا يكبرون ولا يلتحون ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون .

وقوله (لهم) أي ملكهم إعلاما بقدرتهم على التصرف فيهم بالأمر والنهى

١ ــ ١٢ ــ ٢٢ الانسان

٢ ــ التفسير الكبير .

والاستخدام وهذا هو المشهور وأضاف الشارح فى الهامش اللام فى اسم للملك أو التخصيص أي لا كسقاة الخير فى الدنيا يسقون كل شارب ؛ ويستجيبون لكل طالب .

... وقوله تعالى: ﴿ كأنهم لؤلؤ ﴾ أي في الصفاء و(مكنون) ليفيد زيادة في صفاء ألوانهم أو لبيان أنهم كالمخدرات لا بروز لهم ولا خروج من عندهم فهم في أكنافهم .

(قال الشاعر :

لا شيء أحسن منه حين تبصره .. كأنه من جنان الخلد قد سرقا ! ج)

والسؤال الثانى السوار إنما يليق بالنساء وهو عيب للرجال فكيف ذكر الله تعالى ذلك فى معرض الترغيب ؟ الجواب أهل الجنة مرد شباب فلا يبعد أن يحلو ذهب وفضة وإن كانوا رجالا .

ثلة لم ترد في القرآن كله إلا ثلاث مرات كلها في سورة الواقعة وعند الحديث عن هذه الفئة المنعمة بالغلمان والأساور .. الخ وهي تفيد أنهم قلة والحمد لله . .

واذا كان ابن عباس رضى الله عنه ، فى صدر الاسلام ، ومناخ الطهارة ، قد فسرهم بأنهم أطفال فإن المفسرين فى العصور المتقدمة ، ومع تطور المعرفة بالنفس البشرية ، وظهور هذا الميل ، ركزوا على اللفظ القرآنى وهو : ولدان ، أو غلمان كما قال القرطبي .

فاننا نضيف اليوم أن هذه السورة نزلت فى هؤلاء الذين ابتلاهم الله فصبروا وعفّوا ، الذين قالوا على لسان الله سبحانه وتعالى فى مطلع الآية :

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ [1] ... الخ الآية التى أوردناها ..

١ ــ (٩ ــ ١٣ الانسان) .

أما فى سورة « الطور » فقال جل وعز من قائل :

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾

من سرد الآيات ، نلاحظ أن أهل هذا النعيم . لهم صفات خاصة ، هى الترف الشديد ، ولبس الحرير والأساور .. وهى صفات هذه الفئة ، ونلاحظ أن كلمة « تأثيم » وردت مرتين فى القرآن فقط . والمرتان وردتا فى الحديث عن هؤلاء المستمتعين بالولدان أو الغلمان .. ولا مجال للحديث فى الجنة عن الإثم أو التعرض للتأثيم من الجماعة ، الا فى هذه المتعة ، التى مهما قيل عن الجنة ، يظل فى نفس البعض شعور بالحرج منها ، ورغبة فى تأثيم فاعلها ، ولذلك طمأنهم العزيز الحكيم أنهم لن يسمعوا فيها لغوا ولا تأثيما .

بل من حقنا أن نفسر قوله تعالى « غلمان لهم » بأنهم غلمانهم في الدنيا ، الذين عفّوا ، وتأثموا ، وصانوهم هم عن الفاحشة فاجتمعوا في الجنة ، فى خلود دائم للحظة الرغبة التى كبحت بالتدين .

---

٢ — (٢٠ — ٢٩ الطور) .

واذا كان المفسرون قد اتفقوا على دوام صفة الولدنه أو خلودهم في سن الغلمان ، فقد استنتجنا أن الحكمة في النص على الخلود ، هى تأكيد مصدر المتعة في هؤلاء الغلمان لمن يشتهيهم ، ودوامها . بعكس ما في الدنيا من زوال الفتنة بدخول الغلام سن الرجولة .. ففى الجنة « لن تنبت لحية شقران » أبدا حتى ينجز وعده لمن أشفق في أهله ، وخاف من ربه يوما عبوسا قمطريرا . فوقاه ربه شر هذا اليوم ، وجزاه « بما صبر » جنة وحريرا والولدان المخلدين ، مع ثياب سندس واستبرق وأساور من فضة .. أى هيبين أو بانك .. الخ ما يشاء مما اشتهى فى الدنيا ، وحرم نفسه مخافة ربه .

وربما يسهل الأمر علينا لو فهمنا هذه الحقائق :

● من الخطأ تقييم الحياة الأخرى بمقاييس وأحكام هذه الحياة التى نعيشها فهذه دار العمل الصالح والطالح ، دار المحاسبة ، دار الفناء ، دار التعامل مع النفس والناس بما يفيد ويضر .. أما هناك فدار الجزاء فقط ، ما من عمل هناك يفيد أو يضر ، ولا من عمل يحاسب عليه الانسان ، دار « الخلود » المطلق ، وهى كلمة مهما حاول الفاني أن يتصورها أو يقربها إلى مفهومه ، فلا يمكن أن يحيط بأبعاد الخلود ، انه تعبير لا يمكن فهم بعضه الا بنسبته إلى ضده ! . .

ولا شك أن ممارسة الخلود ستخلق قيمها ومقاييسها ، كذلك لا يوجد فى الجنة أو النار شر ولا خير .. لأن الشر والخير هو بما يعود عليك أى بنتيجة العمل ، وهذه غير متاحة فى عالم الخلود ، فلا شىء يضرك ولا تستطيع الاضرار بأحد ، فكيف يكون الفعل شريراً ؟! . وبالتالى فلا خير وانما هناك لذيذ وألذ . .

● كل المحرمات في هذه الأرض تسقط فى الآخرة ، فقد وعدنا بالخمر وإن كانت أفضل من خمر هذه الأرض فهى لا تسبب صداعا ولا عطشا .. وحور العين بلا عدد ، ولا أظن أن هناك سببا مثل اختلاط الأنساب أو الأمراض أو الفاحشة ... الخ يبرر تحريم التمتع بهن على نحو يختلف عما فى دار الفناء هذه كذلك نظن أن هذا التمتع ليس بقاصر على المؤمنين من الرجال وحدهم ! .كذلك فإن وعد

الرحمن ﴿ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ ﴾[1] ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ ﴾[2] ﴿ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ ﴾[3] .

هذا الاطلاق الالهي لا يجوز أن يحد بمزاج أو أخلاقيات فرد في هذه الدنيا ، ولا حتى جماعة .. واليك بعض ما تظنه من الغرائب ولكنه منطقى للغاية مع فكرة الجنة أو الخلود بلا حساب ولاعقاب ، ولا اسباب ولا قوانين مما تحكم حياتنا هذه الفانية :

قال رسول الله : إن الرجل من آهل الجنة يولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة أخرجه ابن ماجة والترمذى وقال حسن غريب (إحياء علوم الدين للغزالي ج ٤ ص ٥٤٢ الغزالي) .

وقال سعيد بن المسيب « ليس أحد من أهل الجنة إلا في يده ثلاثة أسورة .. سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة » ص ٥٤٣ الاحياء .

وقال الغزالى في إحياء علوم الدين : « إياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة ؛ لمخالفته قياس ما فى الدنيا » .

وقال في وصف الجنة :

فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ؛ جالسين على منابر الياقوت الأحمر فى خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض : فيها بسط من العبقرى الأخضر ؛ متكئين على الأرائك منصوبة على أطراف أنهر مطردة بالخمر والعسل ؛ محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان ؛ إذا اختالت إحداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان ، شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس ، ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون ؛ يشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا في أنهار أراضيها من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان في كف خادم يحكى ضياء وجهه الشمس فى إشراقها ولكن من أين للشمس حلاوة مثلا حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه .

١ ــ (١٠٢ ــ الأنبياء) . ٢ ــ (٣١ ــ فصلت) . ٣ ــ (٧١ ــ الزخرف) .

والغزالي هو القائل فى الاحياء إن الشر في الصبيان أكثر فلو مال إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح . (الزواج) والنظر إلى وجه الصبي حرام بل كل ما يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحى لم يحل له النظر إليه فإن قلت : كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ؛ ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة ! فأقول لست أعني التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها : فإنه يميل إلى إحداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ، ولأجل ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي ، وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ، ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب المنقشة والسقوف المذهبة .

فهل يا ترى يرى الغزالي أن استمتاع أهل الجنة بحسن هذا الغلام الذي أبدع في وصف جمال أصداغة وأحداقه هو من نوع استمتاعهم بالشجر والماء والثوب المنقوش .. الخ ؟ .

وكان الغزالي قد أورد في بداية هذا الحديث خبرا عن منصور بن اسماعيل قال رأيت عبد الله البزار في النوم فقلت ما فعل الله بك ؟ قال أوقفني بين يديه فغفر كل ذنب أقررت به إلا ذنبا واحدا فإنني استحييت أن أقر به فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب ؟ قال نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته .

وما دام النظر لهذا الجمال في وجوه الغلمان لابد أن يثير الشهوة لمن ابتلى بذلك وهو ذنب يستحق أن يذيب لحم وجه المؤمن العابد كما قال فلماذا ينعم على المرضي عنهم بغلمان يفوق جمالهم كل جمال استهواه في الدنيا ؟! .

لماذا النص على أنهم غلمان وولدان .. وإذا كانت الغاية هي الخدمة الحسنة والمنظر الجميل .. فلماذا لم يكونوا ملائكة ؟ وهل أجمل أو ابهى من الملائكة ؟ وهل أقدر على الابداع في الخدمة من ملاك ؟ وهل من تكريم أكبر من أن تخدم الملائكة ذلك الذي خلق من ماء مهين وصلصال وطين ؟ ليس للغلمان من صفة يتميزون بها على الملائكة في الخدمة والجمال والتكريم إلا أن الملائكة كائنات غير جنسية مثلهم مثل الورد والاشجار والبسط المبثوثة .. من هنا نذهب للقول بأن لهؤلاء الغلمان مهمة خاصة استلزمت إنسانيتهم .

وعن ابي هريرة قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا » .

أخرجه الطبراني في الأوسط باسناد حسن وللنسائي باسناد صحيح : « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة ؛ ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة » .

فالحرير والخمر محرمان في الدنيا مباحان بل ونعمة ينعم الله بها في الآخرة على من يلتزم حكمه ونهيه في الدنيا ولا تسأل لماذا تكون محرمة في الدنيا مباحة في الاخرة ، فكما قال الغزالى في احياء علوم الدين : إياك أن تنكر شيئا من عجائب القيامة لمخالفته قياس الدنيا .

وقد طلب الاعرابي من رسول الله ان يضمن له الابل في الجنة لأنه يحبها فقال صلوات الله عليه : يا عبد الله إن دخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك . اخرجه الترمذي من حديث بريدة . فلماذا نضع فيتو على اشتهاء معين ونقول انه محظور في الجنة والله يقول : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ ﴾ [1] .

---

١ ــ (٣١ ــ فصلت) .

بل لقد وجدت حديثا عجيبا نقله الغزالى عن على بن أبي طالب رضي الله عنه ، اخرجه الترمذي قال رسول الله ﷺ : « ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها » !

وهو حديث عجيب معناه ان الرجل أو المرأة كلاهما يستطيع ان يغير صورته أو صورتها ، إلى نفس النوع ولكن اجمل وابهى ، وايضا ان الرجل الذي يشتهى ان يكون امرأة أو يحس بأحاسيس المرأة ، يستطيع ان كان من اهل الجنة تحقيق رغبته بزيارة هذه السوق ، والعكس صحيح للمرأة .. فهنيئا للصابرين والصابرات المتعففين فى هذه الدنيا والمتعففات .

ولا أستطيع أن أبتعد عن سوق الرحمة هذه من غير أن أعرج على رواية أوردها الغزالي نفسه وكأن في خاطره هو أيضا حديث السوق هذه .. قال الامام الغزالي : « روي عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفى ؛ قال رأيت ثلاثة رجال وامرأة يحملون جنازة فقلت للمرأة من كان هذا ؟ قالت ابني .. قلت ولم يكن لكم جيران ؟ قالت بلى ولكن صغروا أمره ! قلت لماذا ؟ قالت لأنه كان مخنثا .. قال فرحمتها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم . قال فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض ؛ فجعل يتشكرني فقلت من أنت ؟ فقال المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس إياي (الغزالي ج ٤ من الاحياء) .

لعل الغزالي قد ترك مخنثه هذا يرتع في سوق الصور يدخل فيما شاء من صور الرجال والنساء ولا يسمع لغوا ولا تأثيما لما يتقلب فيه بما غفر الله له ورحم .

وأيه محاولة لانكار تفسيرنا لطبيعة هؤلاء الغلمان ستنتهي بصاحبها الى إنكار الطابع الحسي لجنتنا واقتباس التصور المسيحي عن جنة روحية لا أجساد فيها ولا اشتهاء ولا متع حسية . وهذا ما سقط فيه المنهزمون أمام الحملة التبشيرية التي ركزت على نقد وصف جنتنا باتهام رخيص هو أنها جنة شهوانية حسية نأكل فيها

ونمارس الجنس كأن هذا عيب أو لا يليق !! ومع اتفاقنا بأن قدرة الله لا يحدها مستحيل ولا يحددها تصور المخلوق الفاني إلا أننا أمام نصوص صريحة تؤكد ان الجزاء سيكون بصورة ما من نفس العمل فسنعوض في الآخرة عما حرمنا منه أو ما تعففنا عنه أو ما أحسنا شكر نعمته ولا مجال لأي خجل أو استخزاء من ناحية المطالب الحسية للجسد كما يفعل صرعى الحضارة الغربية فليس في الجسد عيب ولا قباحة ولا في تلبية احتياجاته وشهواته المشروعة في هذه الدنيا ولا في التطلع لنعمة الجسد بلا حد في الاخرة .

وأقدم هنا مثالا لمن أفزعه تفسير الغلمان فاضطر الى الغاء كل المتع الحسية في الجنة وتبنى التصور المسيحي عن متع الروح وهو « مولانا محمد علي » (اسمه هكذا مولانا .. ج) مؤلف كتاب « الدين الاسلامي في الاصول والعقائد » اقتبسه من الاصل الانجليزي الى العربية محمد سعيد أحمد بك ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١ قال :

« كل هذه اسماء أشياء في الدنيا وليس منها في الجنة إلا الأسماء وإنما وردت لتصور لنا النعيم الذي يلقاه الانسان في الآخرة أما حقيقتها فهي مما لا يعلمه انسان لقصور حواسه عن ادراكها . وإنما جاءت أوصاف الجنة على سبيل المثال ؛ وكل شيء في الآخرة يختلف عنه في الدنيا حتى الزمان والمكان فإنهما يختلفان عن زماننا ومكاننا فقد جاء أن الجنة عرضها كعرض السموات والارض ويقربنا هذا من قول من قال إن الجنة والنار حالتان وليستا بمكانين ..

« ومثل ذلك ما جاء عن اقتران الرجال بالنساء في الجنة ؛ وقد فهم بعض الناس خطأ أن لهذا الاقتران معنى جنسي (!؟! ج) وقد جاء في الراغب أن قوله تعالى : ﴿ زوجناهم بحور ﴾ أي قرناهم بهن ولم يقل زوجناهم حورا كما يقال زوجته امرأة تنبيها الى أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف بيننا من أمر الزواج . وان في الصلة الجنسية بين الرجل والمرأة في هذه الحياة الدنيا استجابة لداعي الطبيعية واستعمار الأرض وحفظ النوع .. وليس هذا هو المقصود في الآخرة حيث لا

ضرورة لذلك هناك !! (ألغى اللذة الجنسية وهي التي قال ابن القيم أنها وحدها التي ستبقى في الآخرة ولكن ابن القيم لم يكن يدافع منهزما أمام المبشرين ج) .
وعلى ذلك فاقتران الرجال بالنساء في الجنة له معنى آخر يختلف عن المعنى المتعارف بيننا .. ولنعرض للحور العين لنبين إذا كان المراد بهن أزواج أهل الجنة أم غيرهن فقد جاء في القرآن بعد الاشارة الى الحور العين آيات متصلة بها وهي قوله تعالى : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لاصحاب اليمين ﴾ وقد جاء عن النبي أنه قال : « إن المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا .. وعلى ذلك يكون المقصود من الآية أن النساء العجائز في هذه الدنيا ينشأن نشأ آخر يوم القيامة ويصرن أبكارًا.. ولو فسرنا الحور على أنهن نساء غير نساء الدنيا انشئن لنعيم الرجل ولذته لكان حقا على الله ان ينشيء رجالا لاستمتاع نساء أهل الجنة حيث أنهن لا يختلفن في طبائعهن عن الرجال فكان من حقهن أن يحظين بما تحظى به الرجال في الجنة . (ومن أخبرك أن الله لا يفعل أم تظن أن غيرتك وعنجهيتك كرجل هي وحدها التي ستبقى على حالها من أحاسيس الدنيا ؟ بل لعل ذلك هي الحكمة الالهية في خلق هذه الكائنات غير الآدمية لكي لا تغير منهن نساء الدنيا ولا يغير منهن رجال الدنيا وإلا فقد كان في قدرته سبحانه وتعالى أن يخلق ما شاء من النساء فلماذا الحور ونحن لا نعرف بماذا الاستمتاع بها جنسيا ؟ أما ان القرآن لم يصرح بحور عين مذكرين فذلك مراعاة لعقول الناس ونفسياتهم وها أنت بعد ١٥ قرنا ما زلت تستعيذ أن تتمتع زوجتك في الجنة ولو مع كائن غير بشري .. فماذا عن عرب الجاهلية ؟ ج) .

يقول :

« والحقيقة أن نعيم الجنة لا يدرك كنهه أحد وأن ما جاء في القرآن عن هذا النعيم ليس فيه أي معنى شهواني وأن ما ورد عن الحور إنما هو يرمز الى الطهر تشبيها بالبياض ونعيم الروح » .

مولانا تنصر ها هو يتحدث عن زواج كزواج الراهب بالسيدة مريم أو زواج الراهبة بالسيد المسيح .. ج !!

ويتابع الى بيت القصيد فيقول :

« وما قيل عن الحور يقال عن الغلمان : وقيل في تفسير الآية الأولى « غلمان لهم » أن الغلمان هم أولاد المؤمنين في الجنة وعبر عنهم بقوله تعالى : ﴿ غلمان لهم ﴾ أي أولادهم » مولانا الهندي يعتقد أنه اقدر على التعبير من القرآن .. وإلا لسأل نفسه ولماذا لم يقل القرآن أولادهم أو غلمانهم كما قال هو ؟؟ ج) ويدل على ذلك ما جاء في آية سابقة لها من أن الله تعالى يلحق بالذين آمنوا ذريتهم في الجنة قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم ﴾ وقد أوردنا رد المفسرين على هذا القول ج) .

« وقد يجوز أن المقصود بالغلمان والولدان أنهم من نعيم الجنة على أنهم رمز للطهر ونعيم الروح كما ذكرنا عن الحور » ص ٢٢٠ / ٢٢٣ .

على أية حال مولانا اضطر للتسليم بوجهة نظرنا فساوى بين الغلمان وحور العين فهو أولا تخلى عن تفسير أولادهم وثانيا جعلهم للاستمتاع والنعيم مثل حور العين . ومن الناحية النظرية نحن لا نعارض ، فكما قلنا كل تفسيرات الجنة محدودة بقدرتنا على التصور أو إن شئت بقدرتنا على الاشتهاء .. وكما أن المؤمن السوي يستمتع بأنثى اسمها حور عين فكذلك من ابتلي بهوى الغلمان في الدنيا وعف وما تخطى حدود الله يمتعه الله بكائنات مذكرة اسمها الولدان المخلدون أما ان يستمتعا روحيا أو جسديا فهذه مزاجات شخصية لا نتدخل فيها .

● ان اللواط كما شرحنا ، وبالذات عشق الغلام الأمرد ، في رأي بعض الدراسات ، هو مرحلة في حياة الكثيرين ، رغم ارادتهم ، وقد « تثبت » في ذوق البعض إلى ما بعد مرحلة المراهقة . ويعتقد الأطباء أن نسبة من الذكور تولد ولديها ميل قوي نحو الجنس المماثل .. ولكن الانسان لا يفترض فيه — من وجهة نظر

الأديان ـــ أن يخضع لشهوته أو حتى لغريزته والا فإن كل انسان تشاجر أو اختصم تمنى بحكم الغريزة لو أطبق على عنق غريمه وقضمه ، كما يفعل النمر في البقرة .. وما من رجل لم تحدثه نفسه ـــ ولو مرة ـــ بمضاجعة امرأة جميلة أثارت خياله ، وكثيرون يتمنون لو أنهم استطاعوا نقل البنك الأهلي الى ملكيتهم لولا خوفهم من القانون ، فما هو غريزي لا يعني أنه مشروع أو محتوم . وما ميزة الانسان على الحيوان والملائكة الا قدرته في ضبط غرائزه .. .

فالذي كبح شهوته ، وصان عفته ، وحفظ فرجه ، ألا يستحق الجزاء ؟! وما الجزاء إلا أن ينال في الجنة ما اشتهى وافضل ؟ .. .

فكما أن « حور العين » جزاء من اشتهى الزنا ولم يقربه من خشية الله ، فكذلك « الولدان » جزاء من اشتهى وعف .. .

والله أعلم ! .. .

● اما عن الجانب الحضاري ، فقد وضحنا انها ظاهرة لا يمكن أن توجد ولا يمكن أن يسمح بها في مرحلة التحدي الحضاري ، في مرحلة تحرر الأمم وبناء حضارتها ، فالخصائص والمقاييس المطلوبة في فتيان الفراش ، غير خصائص المجاهدين وفتية التحرير والاستشهاد .. ولا أهمية للأمثلة الشاذة ، فنحن نتحدث عن مقاييس وعلاقات ومفاهيم .. واللواط كفاحشة أو كمسلك حضاري لا يمكن أن يستقيم مع احتياجات ومواصفات حركة تحرير أو بعث .. .

فالعفة مطلوبة ، وجزاؤها التحرر والقوة في الدنيا .. والجنة ونعيمها بحورها وولدانها أو ما شئت مما لا عين رأت ولا أذن سمعت .. في الآخرة .. .

إن شاء الله .. .

مذكرة اللجنة المشكلة من مجمع البحوث الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

عن الوقائع :

١ ــ بتاريخ ٢٥ / ٨ / ١٩٨٤ ورد الى الادارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة كتاب الاستاذ المستشار رئيس محكمة جنوب القاهرة الابتدائية المؤرخ ٢٤ / ٧ / ١٩٨٤ مرفقا به ملف الدعوى رقم ٣٢٢ لسنة ١٩٨٤ حصر أمن الدولة العليا ــ وقد تبين من الاطلاع عليها ــ أنها مرفوعة من نيابة أمن الدولة العليا ضد السيد / محمد جلال كشك ــ بطلب اصدار قرار من المحكمة بتأييد أمر المصادرة الصادر من نيابة أمن الدولة العليا للكتاب موضوع الطلب وعنوانه (خواطر مسلم في المسألة الجنسية) ــ تأليف السيد / محمد جلال كشك ــ والتي صدر فيها قرار تمهيدي من المحكمة بتاريخ ٢٢ / ٧ / ١٩٨٤ جاء فيه بعد الديباجة :

" حيث أن المحكمة ترى قبل اصدار قرارها في شأن تأييد أمر المصادرة أو الافراج عن الكتاب موضوع الطلب ــ ندب لجنة من ثلاثة من علماء مجمع البحوث الاسلامية لإبداء الرأي في الكتاب موضوع المصادرة على ضوء الملاحظات التي أبداها مدير عام الادارة العامة للبحث والتأليف والترجمة والاعتراضات التي أبداها المتهم في مذكرته ردا على تلك

الملاحظات ولذلك ــ قررت المحكمة ندب لجنة من ثلاثة من علماء مجمع البحوث الاسلامية يندبهم السيد رئيس المجمع لإبداء الرأي حول الكتاب موضوع المصادرة ــ وحددت جلسة لنظر الطلب وحتى يرد تقرير اللجنة '' .

٢ ــ وبتاريخ غرة ذي الحجة ١٤٠٤ هـ / ٢٧ من أغسطس ١٩٨٤ م أصدر فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر ورئيس مجمع البحوث الاسلامية القرار رقم (٥٠٠) لسنة ١٩٨٤ ــ بتشكيل لجنة من السادة :

١ ــ فضيلة الاستاذ الدكتور / حسين عبد المجيد هاشم ــ الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية .

٢ ــ السيد الاستاذ المستشار / السيد عبد العزيز هندي ــ عضو مجمع البحوث الاسلامية .

٣ ــ فضيلة الاستاذ الشيخ / عطية محمد صقر ــ عضو مجمع البحوث الاسلامية .

وباشرت اللجنة العمل المنوط بها بعد أن أخطرت الطرفين بخطابات مسجلة على النحو الثابت بمحضر أعمالها ــ كما أدت اليمين القانونية وفقا للثابت بمحضر جلسة حلف اليمين المؤرخ ١٤ / ١٠ / ١٩٨٤ ــ تطبيقا للمادة ١٣٩ من قانون الاثبات .

ــ عن الموضوع :

أولا : تعريف بالكتاب موضوع الفحص :

١ ــ يقع الكتاب في ١٥٩ صفحة من القطع المتوسط ــ وعنوانه : '' خواطر مسلم في المسألة الجنسية '' ــ بقلم محمد جلال كشك ــ وجاء في الاهداء :

'' قالوا يأتي أحدنا شهوته فيثاب عليها ؟ قال نعم .. '' الحديث ــ صلوات الله عليه وسلامه .

وأورد المؤلف في خطبة الكتاب أن هذا بحث سيقول القاريء المحب — ما كان أغناه عنه — وسيقول المتربص : هذا هو الباحث عن حتفه بظلفه — وأن من أراد أن يحاسبه ، فليحتكم للقرآن والسنة والسلوك الاسلامي — وأنه قد التزم غاية الجهد في استنباط الأدلة من هذه المصادر الشرعية — وأنه ما قصد الا مراضاة الله، وخدمة المسلمين .

(أضاف المؤلف انه اذا كان من الخطأ النظر للانسان كظاهرة جنسية فقط كما يفعل تجار الجنس وفلاسفة الغرب ، فإنه لخطأ أكبر أن يُنظر للجنس كظاهرة جنسية عارضة أو عيب أو دنس لا يجوز الاهتمام به — وأن هذا ليس من ديننا ولا من حضارتنا — ومع أن المسألة الجنسية تشغل بال الشباب — فهي من المحرمات — يحوم حولها الكتاب ولا يقتربون منها — وخاصة الاسلاميين — تاركين لأعداء الإسلام وأعداء حضارتنا الفرصة لينشروا مفاهيمهم — ويزرعوا سمومهم في عقول وقلوب الشباب المسلم الذي لم يعد يعيش لا في سلوك اسلامي ، ولا في فكر اسلامي :

وأضاف المؤلف — أنه إذا كانت الآراء التي طرحها في موضوع العادة السرية ، والجنس بغير الجماع والزنا تعد جريئه — إلا أن ما طرحه في باب الشذوذ الجنسي يعتبر جديدا بالاضافة إلى جزء صغير في موضوع الزنا — وهو القول بأن الرجم ثبت سنة وليس في القرآن — وأن البحث يتركز في موضوع الشذوذ الجنسي الذي يقرر المؤلف أنه طرحه في اطار المواجهة الحضارية الأبدية بين الشرق والغرب وأن هذه المواجهة هي شغله الشاغل ، لأنه ينظر للاسلام كفلسفة وهوية وشخصية الحضارة الشرقية — والكلمة الأخيرة في مواجهة هذه الحضارة مع أوروبا أو الغرب — فمنذ الصراع الفارسي — الاغريقي — بدأ الصراع بين شرق وجنوب البحر الأبيض من ناحية — وغرب وشمال هذا البحر — ثم بدأت الدائرة تتسع ، وتمد كل جبهة خطوطها من وراءها ومن حولها .. إلى أن جاء الاسلام وانتصر الشرق

على الغرب سبعة قرون أو ثمانية ـــ ليعود الغرب فيكر على الشرق كرة ما زلنا نعيش في آثارها .

وأورد المؤلف أنه عالج موضوع الشذوذ الجنسي في اطار هذه المواجهة لأنه توصل الى رأي يخالفه فيه كثير من الباحثين ـــ وهو أن هذه الظاهرة ـــ عندما تخرج من الاطار الفردي لتصبح « فاحشة » على مستوى المجتمع ـــ إنما يحدث ذلك في مرحلة الأفول الحضاري ـــ بعكس مرحلة التحرر أو النهوض الحضاري حيث تصبح أبشع جريمة ـــ وأنه لا يمكن أن ينهض مجتمع ويتحرر وهذه الفاحشة شائعة فيه ، كما لا يمكن أن تنجو منها حضارة عندما تنتصر وتدخل مرحلة فسق مترفيها .

كما أورد المؤلف أنه يرى أن غلمان الجنة أو ولدانها هم لمن عف وتطهر في الدنيا ـــ وأنه على استعداد للمناقشة والمراجعة لمن جاء بأدلة مناقضة ـــ تستند للقرآن والسنة ، وأضاف أنه لا يزعم أنه مجتهد في الاسلام ، ولا أن ما أورده هي مفاهيم إسلامية ، وإنما هي خواطر مسلم أو تفكير مسلم بصوت عال ـــ دعوة للتفكير ـــ مذكرات تحضيرية يستعين بها « المجتهد » إن شاء الله في تشريع الأحكام ـــ وأنه يمكن اعتبارها مجرد اسئلة مطروحة عند أعتاب المجتهدين والأئمة والمنشغلين بالعمل الاسلامي ـــ وأنه . المؤلف ـــ قد بلغ من العمر عتيا ـــ واشتعل الرأس شيبا ـــ ويخاف من انحرافات الموالي ـــ ولم يبق ما يخشاه ولا من يرجوه سوى الواحد القهار .. نسأله المغفرة والعفو ..

٢ ـــ وقد قسم المؤلف كتابه الى ستة أقسام :

تكلم في أولها عن اللذة للذة ـــ وتكلم عن النظرة الاسلامية للجنس والنظرة المسيحية ـــ وعن دين الفطرة وتدين أهل الحرفة ـــ وهل الجنس هو ثمرة الخطيئة ـــ وأن إظهار اللذة مسموح به دينيا ـــ وأنه لا قيد في المتعة الحلال .

ثم تناول في القسم الثاني الموقف من المرأة ـــ مقرراً أننا علمنا أوروبا

المسيحية احترام المرأة ــ وأن السيدة مريم هدية المسلمين للعالم المسيحي .

ثم تكلم في القسم الثالث عن الزنا ــ مقرراً أن فيلسوف الكنيسة يقر البغاء ــ كما تكلم عن تدخل الكنيسة في فراش الزوجية ــ ثم تكلم عن الزواج في الاسلام ــ وعن ماوراء الأمراض السرية ــ وعن الرجم في الاسلام ولماذا نسخه الله .

وتكلم بعد ذلك عن الجنس من الظاهر ــ وأنواع الجنس الأخرى : جلد عميرة ــ التفخيذ ــ المص ــ الوطء في الدبر ــ الجماع في فترة الحيض .

ثم تكلم عن اللواط والاشتهاء الجنسي لنفس النوع ــ وهل هو ظاهرة طبيعية أم سلوك دخيل على النفس البشرية ــ وعن العلاقة بين تلك الظاهرة وأفول الحضارات ــ وعن المجتمع المصري الفرعوني وظاهرة اللواط ــ وأن اللواط من علامات النبل وامتيازات التفوق عند الاغريق والرومان ــ وعن الحب الأفلاطوني ــ وعن اللواط عند الرومان .

ثم تكلم عن نهضة أوروبا واللواط ــ وعن الاستجابة الناجحة للتحدي الاسلامي ــ وعن تفشي اللواط في الأندلس المسلم ــ وعن المواجهة الحضارية في اللواط ــ وعن اللواط في الادب العربي ــ وعن أوروبا واللواط .

وتكلم المؤلف في القسم السادس والأخير ــ عن الولدان المخلدين ــ وعن القرآن وقصة لوط ــ وعن النتائج الاجتماعية والحضارية للواط ــ وأنه لا حد على اللواط ــ ولماذا كان وعده ــ سبحانه وتعالى ــ بالولدان المخلدين في الجنة ــ وأن اللواط من أبشع الخطايا في الاسلام ــ وأنه قد ثبت علميا ــ أخيرا ــ أنه يسبب انتشار مرض خاص يسمى AIDS ــ يقضي على المناعة الطبيعية للجسم مما يتحتم الموت أمام أي تحد داخلي أو خارجي .

وقرر المؤلف أن نظريته أن هذه الظاهرة تصاحب أو تسبب فقدان المناعة الحضارية للأمم مما يسهل القضاء عليها .

وأن من حكم شهوته ـــ وصان عفته في الدنيا ـــ فإن جزاءه في الآخرة هو التمتع بالحور العين والولدان المخلدين حسبما تشتهي نفسه منهما .

ثانيا :

ملاحظات الادارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر واعتراضات السيد مؤلف الكتاب عليها .

أ ـــ تخلص ملاحظات السيد مدير عام إدارة البحوث على الكتاب موضوع الفحص ـــ في تقريره غير المؤرخ ـــ والمرفق بملف الدعوى ـــ فيما يلي :

١ ـــ أن المؤلف أورد في الصفحة (٩) من كتابه أنه توصل الى رأي حول غلمان الجنة وولدانها وهو أن الاستمتاع بهم لمن عف عنهم وتطهر في الدنيا .

٢ ـــ عدم دقة المؤلف وعدم عنايته في نقل النصوص القرآنية ـــ على التفصيل الذي أورده السيد المدير في تقريره المرفق بأوراق الدعوى ـــ وذلك في الصفحات ١٣ ، ٧٥ ، ١١٤ ، ١٥٥ ـــ من الكتاب موضوع الفحص .

٣ ـــ أن المؤلف حاول في الصفحات ١٢ ، ١٣ من كتابه جاهدا ايهام القاريء بأن الكبائر تنحصر في ثلاث نقط هي الاشراك بالله وقتل النفس والزنا ـــ مستندا الى بعض النصوص التي جمعت الكبائر الثلاث في آية واحدة ـــ ويقول (المؤلف) أن المسلمين عرفوا هذه الكبائر الثلاث ولكن المحترفين لا يرضيهم هذا فأوصلوا الكبائر الى سبع وجعلوه حديثا ـــ ومصدره أبو هريرة ـــ وهو بهذا ـــ فيما يراه السيد المدير ـــ يطعن في الاحاديث الصحيحة دون سند ـــ على حين أن المؤلف ـــ فيما يراه تقرير المدير ـــ يصدق الخرافات التي يحكيها في كتابه عن عائشة بنت طلحة التي نخرت نخرة أثناء وطء زوجها لها ـــ نفر منها مائة من إبل الصدقة ولم تجتمع حتى اليوم .

وكذلك الشأن في تسليم المؤلف بترهات وبأكاذيب يكذبها الواقع التاريخي كما في قصة وساطة أبي بكر رضي الله عنه بين الجارية التي أحبت محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب (ص ٤٦) فسعى حتى أعتقها وزوجها منه .

٤ ـــ كما نسب في ص ٤٦ من المؤلف الى الخلفاء والفقهاء الافتاء بأن الرجل اذا شرط مبلغا من المال أو شيئا في مقابل وطء المرأة فلا حد للزنا ولكنه زواج ـــ فقد أعطاها أجرها وقبلت هي ـــ وأن الفكرة أن الزواج عرض وقبول من طرفين ليس بينهما مانع شرعي وما عدا ذلك فهو طقوس لا أهمية لها .

٥ ـــ وأن الزنا الذي يحاربه الاسلام ويركز عليه هو الزنا الذي يتم بين شخصين يستحيل زواجهما ـــ وكأن الزنا بغير المتزوجة أمر هين يتسامح الاسلام في الاقدام عليه .

٦ ـــ وأن المؤلف يرى أنه إذا كان الاستمتاع بالمرأة الأجنبية في مادون الفرج فانه لا يوجب الحد المقرر لعقوبة الزنا وان اقتضى التعزير ـــ كما يرى المؤلف أنه لا يظن أن الشباب يتجاوز هذا الحد في خلواته السريعة المختلسة ـــ فما من سبب يحول دون اتمام الزواج ولو فيما بينهما ـــ ويرى السيد المدير أن هذا التعليل من المؤلف أشبه ما يكون بالإغراء على مزاولة الوطء مع الاجنبية .

٧ ـــ تعريض المؤلف بكذب نسبة بعض الأحاديث إلى رسول الله ﷺ مع ورودها في صحيح البخاري وصحيح مسلم .

٨ ـــ وأن المؤلف حاول في الصفحات ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ تقرير أن عقوبة الرجم للزاني المحصن لم تثبت في الاسلام لورودها في السنة دون القرآن ـــ مع أن عقوبة الرجم في هذه الحالة ثابتة بالسنة بالاجماع ـــ والثابت بالسنة المتواترة كالثابت بالقرآن .

٩ ـــ وأن كلام المؤلف في ص ٦٠ ، ٦١ يوحي بإباحة العادة السرية دون قيود أو حدود ـــ وأن المؤلف أورد في كتابه أنه لا يحق للمشرع اليوم أن يقضي

باعدام من يكفر بهود أو صالح أو حتى بمحمد صلوات الله عليهم أجمعين ـــ مطلقا القول دون تفريق بين كافر أصلي وبين مرتد عن الاسلام ـــ وأن هذا منه إباحة للردة واسقاط لحقها المقرر شرعا .

١٠ ـــ في ص ١٥٢ يذكر المؤلف أن حد الزنا مقترن بالاحصان ـــ وهذا صحيح كما يقرر السيد المدير ـــ ولكنه باطل ان اراد حد الجلد ـــ كما يرى المؤلف ـــ أن اللوطي لا يمكن أن يكتمل فيه شرط الاحصان ولو تزوج زواجا صحيحا ـــ وهذا مخالف لما يراه الفقهاء .

ثم انتهى تقرير السيد مدير ادارة البحوث والتأليف والترجمة الى عدم صلاحية الكتاب للنشر والتداول ـــ وأشار بالتحفظ على جميع النسخ المطبوعة منه تمهيداً لاتخاذ الجهات المسئولة الخطوات اللازمة والقانونية نحوها ومصادرتها ـــ ورفع الأمر الى فضيلة الدكتور الامين العام للمجمع للتفضل بالنظر فيها .

١١ ـــ كما تقدم السيد / عبد الظاهر عبد الكريم ـــ مدير التفتيش السابق بالازهر ـــ الذي أعاد فحص الكتاب موضوع الدعوى ـــ بتقرير مؤرخ ١٤ / ٥ / ١٩٨٤ ردد فيه بعض المآخذ التي أوردها تقرير السيد مدير الادارة ـــ على النحو الذي سبق تفصيله ـــ ولكنه انتهى في تقريره ـــ المرفق بالملف ـــ أنه رغم هذه المآخذ فانه لا يوصي بمنع الكتاب عن التداول ـــ ولكنه يوصي بعرض هذه المسائل على كبار العلماء .

فقد رد السيد المؤلف على ملاحظات ادارة البحوث بمذكرته (٤ دوسيه) ـــ وتخلص فيما يلي :

١ ـــ أن ما أورده في كتابه عن الاستمتاع بالولدان في الجنة ـــ انما هو للذين عفوا وصانوا أنفسهم عن الفاحشة في الدنيا ـــ وأن مجال اعمال القوانين انما هو في الدنيا لا في الجنة .

وأنه يأمل من عدل الله ورحمته أن يجازي من عف وصان نفسه عن الفاحشة في الدنيا ــ ولا قيد على إرادة الله وعطاء الرحمن في الآخرة .

وأنه انما قرر تحريم الاسلام للواطة في الدنيا ــ حيث مجال القوانين .

٢ ــ وأنه اذا سقط منه سهوا ونسيانا بعض الاخطاء المطبعية في الآيات القرآنية ــ فانه أمر غير مقصود .

وأضاف السيد المؤلف ــ أنه يتعهد لعدالة المحكمة باضافة صفحات تصويب لهذه الاخطاء المطبعية في نهاية الكتاب أو أي اجراء تراه لتنبيه القراء لهذا الخطأ الذي نستغفر الله منه .

٣ ــ أما عن محاولة التشكيك في الاحاديث فانه أمر ــ قرر السيد المؤلف ــ أنه لا يفعله ولم يفعله ــ مع اجماع الفقهاء على أن ثمة أحاديث نبوية غير مقطوع بصحتها ــ وأن الأحاديث المجمع على صحتها ستة آلاف والمدونة ستمائة ألف .

وأما عن تصديق الخرافات ــ فإن ما أورده عن أن إبل الصدقة نفرت قد ورد في كتب الأدب العربي ــ كما وردت فيه قصة الجارية التي زوجها أبو بكر والتي لم ينفها قول ثابت في تقرير ادارة النشر .

وأما بالنسبة لما ورد في ص ٤١ من الكتاب موضوع الفحص ــ عن شهود عقد الزواج ــ فقد ورد عنه في ص ٤٢ قول المؤلف '' ويستطيع أي رجل وامرأة أن يتزوجا اما بالشهود أو بالاعلان أو بهما معا ــ وبالتالي ــ كما يقول السيد المؤلف ــ فإنه لا محل لاتهامه بالغاء الشهود أو الاعلان ــ كما أضاف المؤلف أنه خصص الصفحات من ٤٧ الى ٤٨ لاثبات ضرر الزنا وتحريمه بشكل عام بين المتزوجين وغير المتزوجين ــ وأنه انما قال بأنه ليس ثمة مبرر واحد لكي يزني المسلم والمسلمة بلا استثناء ــ كما أنه قال في ص ١٥ ، ١٦ : وباختصار ــ إذا كان ابشع الزنا هو الزنا بين المتزوجين ــ فإن الزنا عموما يحمل شرا خطيرا .

وأن المؤلف انما أراد أن يقول لكل فتى وفتاة ــ لماذا الزنا والزواج متاح ــ وأضاف المؤلف أنه أورد في صفحة (٥٤) أن عقوبة الزنا هي الرجم والجلد الاولى بالسنة والثانية بالقرآن .

أما الحديث عن قوم صالح فلم يكن فيه مجال للكلام عن الردة حتى يصح ما ورد بالتقرير في هذا الخصوص .

وأما جريمة اللواط ــ فقد قرر السيد المؤلف في مذكرته أنه قرر في كتابه أن الاسلام لم يفرض حدا للواط وتركه للمشرع الذي وصل في تشديد العقوبة في عهد أبي بكر الى حد الحرق حيا .

وانتهى السيد المؤلف في مذكرته الى طلب رفض المصادرة ــ ورفع التحفظ عن الكتاب موضوع البحث .

ثالثا : اطار البحث الماثل :

في نطاق المهمة المحددة بالحكم الصادر من المحكمة الموقرة بجلسة ٢٢ / ٧ / ١٩٨٤ ــ ترى اللجنة ــ بادي الرأي ــ تبيان ما يلي :

١ ــ تنص المادة ص ٤٧ من الدستور على أن : '' حرية الرأي مكفولة ــ ولكل انسان التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو الكتابة أو التصوير أو غير ذلك من وسائل التعبير في حدود القانون ــ والنقد الذاتي والنقد البناء ضمان لسلامة البناء الوطني '' .

ــ كما تنص المادة ١٠٢ مكرر (أ) من قانون العقوبات المضافة بالقانون ١١٢ لسنة ١٩٥٧ والمعدلة بالقانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٠ بأنه : يعاقب بالحبس وبغرامة لا تقل عن خمسين جنيها ولا تجاوز مائتي جنيه ــ كل من أذاع عمدا أخبارا أو بيانات أو إشاعات كاذبة أو مغرضة ــ أو بث دعايات مثيرة ــ اذا كان من شأن ذلك تكدير الامن العام أو القاء الرعب بين الناس أو الحاق الضرر بالمصلحة العامة .

ــ كما يقضي قانون حماية القيم من العيب الصادر والمنشور بالجريدة الرسمية بتاريخ ١٥ من مايو سنة ١٩٨٠ ــ في مادته الثالثة / ١ ، ٢ بالمسآءلة السياسية على كل من ارتكب أحد الافعال الآتية : الدعوى التي تنطوي على أنكار للشرائع السماوية أو ما يتنافى مع أحكامها اذا تم ذلك بواسطة احدى الطرق المنصوص عليها في المادة (١٧١) من قانون العقوبات ــ أو ــ تحريض النشء والشباب على الانحراف عن طريق الدعوة الى التحلل من القيم الدينية أو الولاء للوطن اذا تم ذلك بواسطة احدى الطرق المنصوص عليها في المادة ١٧١ من قانون العقوبات .

٢ ــ جاء في كتاب فتح القدير ج ٤ ص ١٤٩ : ومن شبهة العقد ما إذا استأجرها ليزني بها ففعل ــ لا حد عليه ويعزر ــ

وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي ومالك ــ يحد ــ لأن عقد الاجارة لا يستباح به البضع ــ فصار كما لو استأجرها للطبخ ونحوه من الاعمال ثم زنى بها فإنه يحد اتفاقا .

أما أبو حنيفة فقد ذهب الى أنه لا يحد في هذه الحالة ــ لأن المستوفي بالزنا المنفعة وهي المعقود عليه في الاجارة لكنه في حكم العين ــ .

ــ وجاء في كتاب مغنى المحتاج للشافعية جـ ٤ ــ ص ١٤٦ : ويحد في وطء مستأجرها للزنا ــ لانتفاء الملك والعقد ــ وعقد الايجار باطل .

وعن أبي حنيفة أنه لا حد لأن الاجارة شبهة ــ وعورض بأنها لو كانت شبهة ثبت النسب ــ ولا يثبت اتفاقا .

وجاء في المغني لابن قدامة الحنبلي جـ ١٠ ص ١٩٤ : اذا استأجر امرأة لعمل شيء فزنى بها ــ أو استأجرها ليزني بها وفعل ذلك ــ أو زنى بامرأة ثم تزوجها أو اشتراها ــ فعليهما الحد ــ وبه قال أكثر أهل العلم ــ وقال أبو حنيفة لا حد عليها في هذه المواضع .

ــ وجاء في حاشية الدسوقي على شرح الدردير للمالكية جـ ٤ ص ٣١٣ :
أو اتيان حرة أو أمة مستأجرة أجرت نفسها أو أجرها وليها أو سيدها لوطء أو غيره ــ كخدمة ــ فيحد واطئها المستأجر ــ ولا يكون الاستئجار شبهة تدرأ عنه الحد ــ ومن هذا يستبين أن من عدا الامام ابي حنيفة من فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة يرون وجوب الحد على الزاني في حالة الاستئجار للزنا ــ دون اعتبار لعقد الاجارة الذي لا يكون شبهة تسقط الحد ــ .

ــ وقد أخذت اللجنة العليا لتقنين الشريعة الاسلامية بالازهر ــ واللجنة العليا لتقنين الشريعة الاسلامية بوزارة العدل ــ ولجنة العقوبات بمجلس الشعب ــ بهذا الرأي الأخير ــ في مشروعات القوانين التي أعدتها ــ وذلك عملا بالقول الأقوى حجة ــ وسدا لذرائع الفساد في هذه الجريمة التي قد يحتال على ارتكابها بمثل هذه الحيلة ــ ومن ثم فان ما ذهب اليه المؤلف في هذا الخصوص مردود بما ثبت من اجماع الائمة على رفضه عدا الامام أبي حنيفة ــ وذلك لصحة الأدلة التي استند اليها باقي الأئمة وقوتها في الاثبات .

٣ ــ أما عن حد الزنا بالنسبة للمحصن ذكرا أم أنثى ــ فإن أئمة المسلمين قد أجمعوا على أن حده هو الرجم حتى الموت ــ ويرى بعض أهل الظاهر ــ وهو قول لإسحق وأحمد في إحدى الروايات عنه أن يجلد مائة جلدة ثم يرجم ــ ولكن بعض الخوارج يرون أن حده الجلد فقط ــ وأنكروا مشروعية الرجم ــ .

ــ والرجم للزاني المحصن ثابت بفعل رسول الله ﷺ وقوله ــ رواه جمع كبير من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي وجابر وأبو سعيد الخدري وغيرهم ــ ولم يخالف في ذلك إلا طائفة من الخوراج الذين يرون أن حد الزنا مائة ــ للمحصن وغير المحصن على السواء ــ وينكرون الرجم لأنهم لا يقبلون الأخبار إذا لم تكن في حد التواتر ــ وإنكار الخوارج الرجم باطل لأنهم أنكروا حجية إجماع الصحابة ــ .

ــ واستدلال الخوارج بأن الآية : ﴿ فاذا أحصن ــ فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ﴾ ــ جعل الله فيها للنساء نصف حد المحصنات من الحرائر ــ والرجم لا ينتصف فلا يصح أن يكون حدا للمحصنات من الحرائر ــ وأن قوله تعالى : ﴿ الزانية والزاني ﴾ يقضي بعمومه وجوب الجلد لكل الزناة وايجابه على بعضهم يقتضي تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد ــ وهو غير جائز في مذهبهم الا إذا بلغ الخبر حد التواتر .

ــ وأجاب الجمهور على الاولى بأن المراد من المحصنات في قوله تعالى : ﴿ فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ﴾ ــ الحرائر ــ وهي نوعان ــ ثيبات وأبكارا ــ وحد النوعين على التوزيع الرجم وجلد مائة ــ ولما كان الرجم لا ينتصف ــ كان العذاب مخصوصا بغير الرجم بالدليل العقلي ــ وكان الرجم غير مشروع في حق الارقاء . وعن الثاني ــ بأن الاحكام كانت تتنزل بحسب تجدد المصالح ــ فلعل المصلحة التي اقتضت الرجم حدثت بعد نزول هذه الآية ــ وكفى بالسنة بيانا وتفصيلا ــ وعن الثالث ــ بأن تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد عندنا جائز ــ لأن اللفظ العام في القرآن ــ وان كان قطعيا في ثبوته ظنيا في دلالته فأمكن تخصيصه بالدليل المظنون ــ وأن الرجم ثبت عن طريق التواتر لا عن طريق الاحاد ــ فهو على الاقل متواتر المعنى ــ فهو واجب الاتباع .

وفي محاورة لعمر بن عبد العزيز مع بعض الخوارج سألهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ــ عن عدد الركعات ومقادير الزكاة ــ هل وردت في القرآن ــ فقالوا : ذلك من فعل رسول الله ﷺ وفعل المسلمين ــ فقال لهم : وهذا أيضا كذلك .

ــ يراجع في تفصيل ذلك :
ــ في مذهب الحنفية : كتاب المبسوط للامام السوخسي ــ جـ ٩ ص ٣٦ طبعة سنة ١٣٢٤ هـ ــ وكتاب فتح القدير جـ ٤ ص ١٢١ ــ الطبعة الأولى ــ
ــ وفي مذهب الشافعية ــ : كتاب حاشية الجمل على شرح المنهج جـ ٥ ص

١٣١ ــ وكتاب الام للامام الشافعي ــ جـ ٧ ص ٢٦١ ــ طبعة مكتبة الكليات الازهرية سنة ١٩٦١م ــ وكتاب مغنى المحتاج جـ ٤ ص ١٤٦ جـ ٧ ص ٤٠١ .

ــ وفي مذهب المالكية ــ كتاب حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للعلامة الدردير ص ٢٧٧ ، ص ٢٧٨ ــ وكتاب بداية المجتهد لابن رشد ٢ ص ٣٦٠ ــ طبعة صبيح .

ــ وفي مذهب الحنابلة ــ كتاب المغني لابن قدامة ــ جـ ٧ ــ ص ١٥٧ ، ١٥٨ طبعة المنار وكتاب الاقناع للمقدسي ــ جـ ٤ ص ٢٥٠ ــ طبعة المكتبة التجارية الكبرى ــ هذا ــ وقد أخذت اللجان المشكلة بالازهر ووزارة العدل ومجلس الشعب لتقنين الشريعة الاسلامية ــ برأي الأئمة وطرحت الرأي الذي انفرد به الخوارج في هذا الخصوص ــ ومن ثم فرأى المؤلف في هذا الكتاب ــ مردود بما سلف بيانه .

٤ ــ وأما عن اللواط :

لقد رأت اللجنة العليا لتقنين الشريعة الاسلامية بالأزهر في مشروعها ــ الاخذ برأي مالك والشافعي في المشهور عنه ــ وأبى يوسف ومحمد ــ من أن يكون حكم اللواط هو حكم الزنا ــ مخالفة في ذلك رأي أبي حنيفة الذي يرى ــ بأن اللواط وان كان جريمة ــ لكنها ليست من الزنى ــ

على حين أخذت اللجنة العليا لتقنين الشريعة الاسلامية بوزارة العدل ــ في مشروعها ــ برأي أبي حنيفة في هذا الخصوص ــ لأن أهل اللغة ــ فصلوا بين اللواطة والزنى ــ ولكنها لم تشترط فيه الاشتهاء في المزني بها ــ حسبما ذهب اليه الحنفية ــ لتعذر الوقوف على حقيقة معنى الاشتهاء ــ اذ أنه أمر نسبي يختلف فيه الناس باختلاف ميولهم وأمزجتهم ــ وذلك أخذا بالمذاهب الفقهية الأخرى عدا مذهب الشافعية ممن لا يشترطون هذا القيد .

وقد سايرت لجنة العقوبات بمجلس الشعب في مشروعها ــ ما ذهبت اليه لجنة

وزارة العدل — وأخذت برأي الحنفية — ولم تأخذ برأي المالكية والحنابلة وبعض الفقهاء من اعتبار اللواط زنا موجبا للحد — ومن ثم عرفت المادة / ١١٦ من المشروع الزنا بأنه يقصد به كل وطء بين رجل وامرأة بالغين في غير زواج صحيح ولا شبهة فيه .

ويرى أبو حنيفة أنه ليس في اللواط حد — بل فيه تعزير .

(راجع كتاب ابن عابدين جـ ٣ ص ١٣٠ — سبيل السلام لابن حجر جـ ٤ ص ١٨٨٧ — نيل الاوطار للشوكاني جـ ٧ ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩) .

وحين أخذت لجنة العقوبات بمجلس الشعب في مشروعها برأي أبي حنيفة — للأدلة التي آثرت الأخذ بها — فانها أخذت أيضا بعقوبة الجلد تعزيرا فنصت في المادة ١٣٢ من المشروع بتوقيع عقوبة الجلد تعزيرا ٤٠ جلدة فضلا عن الحبس — اذا كان اللواط بالرضا ، ٨٠ جلدة فضلا عن العقوبات التعزيرية الأخرى — في بعض الحالات المنصوص عليها في هذا المشروع .

رابعا : رأي اللجنة :

— وعلى ضوء ما سلف — فإن اللجنة تضع في اعتبارها — وهي بصدد إبداء رأيها في موضوع المهمة التي ندبتها المحكمة لها . هذه الحقائق الثابتة من الاوراق المطروحة عليها :

١ — أن تقرير السيد مدير عام ادارة البحوث — قد قال صوابا بالنسبة لما قرره عن الاخطاء التي وردت في الكتاب موضوع الفحص في النصوص القرآنية — ووجوب تصويبها — وقد صادقه السيد المؤلف على أن ثمة أخطاء مطبيعية وردت في بعض النصوص التي أوردها في كتابه — وأعلن في مرافعته أمام المحكمة وفي مذكرته المقدمة اليها بأنه يعد المحكمة بمراجعة جميع الآيات التي وردت بالكتاب آية آية — وأنه يتعهد لعدالة المحكمة باضافة صفحات تصويب لهذه الاخطاء المطبعية في نهاية الكتاب أو أي اجراء تراه لتنبيه القراء لهذا الخطأ الذي يستغفر الله منه (ص ٣ من المذكرة) .

ومن ثم فإن اللجنة ترى بادي الرأي ــ أن تعرض على المحكمة الموقرة ــ أن تأمر المؤلف بإعداد صفحات في آخر الكتاب ــ بتصويب هذه الآيات بعد مراجعتها ــ والاشارة الى ذلك في أول الكتاب قبل تداوله ــ وذلك اذا أذنت المحكمة الموقرة برفع التحفظ عن الكتاب موضوع البحث ورفضت طلب مصادرته .

٢ ــ أن مؤلف الكتاب قد أفصح في مقدمته عما توخاه منه ــ وأنه ما قصد منه الا مرضاة الله وخدمة المسلمين .

كما أوضح أن ظاهرة الشذوذ الجنسي عندما تخرج من الاطار الفردي لتصبح " فاحشة " على مستوى المجتمع إنما تحدث في مرحلة الأفول الحضاري ــ بعكس مرحلة التحرر أو النهوض الحضاري ــ حيث تصبح أبشع جريمة ــ وأنه لا يمكن أن ينهض مجتمع ويتحرر ــ وهذه الفاحشة شائعة فيه ــ ومن ثم فإن المؤلف يرى أنها ظاهرة انقراض حضاري ص ٧٣ ــ سلمت منها الحضارة الفرعونية في أيام نهضتها ــ بدلالة القرآن الكريم حين يقرر أن قوم لوط لم يسبقهم الى هذه الموبقة أحد من العالمين ــ وقد سبق المصريون أيام نهضتهم قوم لوط في الوجود الحضاري ــ كما لم تعرفها الأمة الاسلامية أيام الجهاد الاول مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه ومع الخلفاء الراشدين ــ وانما عرفتها الدولة الاغريقية والدولة الرومانية والدولة العربية في المشرق والمغرب أيام أفول شمس الجهاد ــ والانحلال الحضاري ــ وأيا من كان الشخص الذي يعزى اليه هذا الانحراف السلوكي لو ثبت عليه ــ فإنه مسلك يشينه ويستوجب عقابه في الدنيا والآخرة .

وسواء أكان العقاب الدنيوي تعزيرا أوحدا ــ فإن ذلك موضوع للجدل الفقهي ــ على النحو الذي فصلته اللجنة في تقريرها فيما سلف عن العقوبة ــ فلا تثريب على الكتاب موضوع البحث اذا تناول هذه الآراء بالشرح من وجهة نظرة التي لا تعدوأن تكون ترديدا لبحث موضوع العقاب عن هذه الخطيئة الشائنة

المستقذرة ــ هل هو الحد كالزنا أو التعزير كما ذهب الى ذلك بعض الفقهاء طالما أنه لا يدعو اليها أو يقول بعدم العقاب عليها أصلا ــ ولا يبدو من جملة ما ورد بالكتاب أن المؤلف قد قصد الى استمراء هذه الفاحشة المدمرة للعباد والبلاد على حد سواء ــ ما دام مسلما .

ــ أما الاستمتاع بالولدان المخلدين في الجنة لمن عف في الدنيا ــ على هذا النحو أو ذلك ــ فانه رجم بالغيب لا يعلم حقيقته الا الله ــ ولا يملك من ينفي أو يثبت ــ دليلا حاسما في هذا الموضوع يصح التعويل عليه في القول بتأثيم من يخالفه شرعا وقانونا ــ والعلم به لا يزيد من علم الجاهل بما يفيده في دنياه وآخرته ــ كما وأن الجهل من علم العالم بما يفيد في هذا الخصوص ــ والجدل فيه عقيم ــ والخوض فيه غير مجد ــ وان كان يحسن النظر في متاع الآخرة على ضوء ما قرره العليم الخبير ــ من أن خمرها لا غول فيها ولا تأثيم .

ــ كما وأن ما جاء بالكتاب موضوع البحث والرد عليه عن الزنا بالمستأجرة ــ وما إذ كان شبهة دارئة للحد أو أنه يعتبر زنا موجها للحد ــ قد سلف تفصيل آراء أئمة العلماء فيه على النحو المبين في هذا التقرير ــ فقد رأى أبو حنيفة أن شبهته دارئة للحد ورأى باقي الأئمة والفقهاء والعلماء المحدثين أنه ليس كذلك ــ وهو ما أخذت به جميع اللجان المؤلفة لتقنين الشريعة الاسلامية على النحو الذي سلف بيانه ــ وان كانت مناقشة المؤلف للرأي المرجوح لا تثريب عليها .

ــ وأما عن الاستمتاع بالمرأة الاجنبية في ما دون الفرج ــ فإن كل ما أورده المؤلف بشأنه أنه لا يوجب الحد المقرر لعقوبة الزنا ــ وان اقتضى التعزير ــ وهذا الرأي لا يخالف في شيء رأي جمهور الفقهاء في تعريف الزنا الموجب للحد وشروطه ــ وما أخذت به اللجان المؤلفة لتقنين الشريعة الاسلامية في هذا الخصوص على النحو الذي سلف بيانه في هذا التقرير .

ولا حجة في القول بأن ما أورده الكتاب موضوع الفحص عن باقي

الملاحظات أشبه ما يكون بالاغراء بفعل المحرمات — فإن الأحكام لا تبنى الا على الحقائق الثابتة — وليس مجالا للفروض الظنية ولأن يخطيء الحاكم في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة كما هو معروف — فضلا عن أنه يتعين درء الحدود بالشبهات — ولأن الاصل هو صلاح الحال .

خامسا : كلمة أخيرة :

— من منطلق ما أورده السيد المؤلف — في مستهل خطبة كتابه موضوع الفحص ص ٧ — فإننا نقول مع من قال : ما كان أغناه — ولعله انما أراد أن يعرض أمام الشباب بأسلوب جذاب — ما شاء أن يعرضه من آراء — تدعو الى الحض على الزواج المشروع طالما أن الشرع قد يسر السبيل اليه — وتحمّل آثار كل عمل قد يقدمون عليه — حتى لا ينحدروا الى الهوة التي انحدر اليها المترفون الفاسقون — فيدمروا تدميرا .

كما ترى اللجنة أن تدعوا السيد المؤلف — الى مراعاة التحرز عند الكلام عن أخبار العلماء والصالحين — والتثبت قبل نسبته بعض ما لا يليق بهم اليهم — والله من وراء القصد وهو الهادي الى الصراط المستقيم .

سادسا / النتيجة :

ولما كان قد خلص للجنة من كل ما سلف — وفي نطاق المهمة التي اسندتهُ المحكمة الموقرة اليها — عن كتاب '' خواطر مسلم في المسألة الجنسية '' — بقلم الاستاذ : محمد جلال كشك — موضوع الفحص —

١ — أن هذا الكتاب — قد شابته بعض الاخطاء في نقل بعض النصوص القرآنية — على النحو المبين في الفقرة الاولى من البند رابعا من هذا التقرير —

ومن ثم ترى اللجنة — أن تعرض على المحكمة الموقرة — أن تأمر المؤلف باعداد صفحات في آخر الكتاب — بتصويب الآيات القرآنيية التي شابتها بعض الاخطاء — مع الاشارة في أول الكتاب الى ذلك — قبل تداوله — وذلك اذا أذنت

المحكمة الموقرة برفع التحفظ عن الكتاب موضوع البحث ــ ورفضت طلب مصادرته .

٢ ــ ترى اللجنة ــ أن الكتاب موضوع الفحص ــ بعد التصويب المشار اليه في البند السابق ــ لا اعتراض عليه من ناحية رفع التحفظ عنه ورفض طلب مصادرته ــ مع الافراج عنه بعد التصويب ــ

هذا :

والرأي الاعلى للمحكمة الموقرة

والله ولي التوفيق

أعضاء اللجنة

د / حسين عبد المجيد هاشم   المستشار عبد العزيز هندي   الشيخ / عطية صقر

* * *

باسم الشعب

محكمة جنوب القاهرة الابتدائية

بالجلسة المنعقدة علنا بسراي المحكمة في يوم الاثنين الموافق ١٣ / ٥ / ١٩٨٥
برئاسة السيد الاستاذ / مصطفى جمال الدين رئيس المحكمة
وعضويه السيد الاستاذ / عبد السميع شرف الدين وكيل اول نيابة امن الدولة العليا
وبحضور السيد / امين كامل امين السر
صدر الحكم الآتي
في القضية المقامة من نيابة امن الدولة العليا
ضد
الاستاذ / محمد جلال كشك
المقيدة برقم ٣٢٢ لسنة ١٩٨٤ حصر أمن دولة عليا

المحكمة

بعد سماع المرافعة والاطلاع على الاوراق

حيث أن وقائع الدعوى تخلص فيما اثبته السيد النقيب / السيد ابراهيم اسماعيل بمباحث أمن الدوله في محضره المؤرخ ٥ / ٧ / ١٩٨٤ الساعة العاشرة صباحا من أن إدارة البحوث والنشر بالازهر الشريف اخطرت بأن كتاب خواطر مسلم في المسألة الجنسية للكاتب الاستاذ / محمد جلال كشك بالمطبعة الفنية ٣٢ شارع

الشقفانية بعابدين غير صالح للنشر والتداول .. لعدم دقة المؤلف في نقل النصوص القرآنية وكتابتها مما يعد تحريفا للآيات القرآنية بالاضافة الى أن المؤلف يطعن في الاحاديث الصحيحه دون سند ويحاول التشكيك فيها بتصديق الخرافات التي يحويها كتابه .. ويردد المؤلف بأن عقوبة الزنا لم تذكر في القرآن في حين انها ثابتة بالسنة وبالاجماع وقد طلبت ادارة البحوث والنشر بالازهر اتخاذ الاجراءات القانونية لمصادرة الكتاب وتم اخطار المطبعة للتحفظ على النسخ المطبوعة وعددها خمسة الاف نسخة .. وقد اقر السيد المستشار المحامي العام لنيابة امن الدولة الضبط وعرض الامر على المحكمة لتأييد امر الضبط وفقا للمادة ١٩١ من قانون العقوبات وقد أرفق بالمحضر صورة ضوئية من البيان الصادر من الادارة العامة للبحوث والتأليف والترجمه ببعض المآخذ على كتاب خواطر مسلم في المسألة الجنسية

وحيث أنه لدى نظر الدعوى مثل المعروض ضده بمحام عنه طلب الافراج عن النسخ المطبوعة وقال إن الاخطاء في بعض الآيات غير مقصوده ويتعهد بإضافة صفحات تصحيح لها

وبجلسة ٢٢ / ٧ / ١٩٨٤ قررت المحكمة ندب لجنة ثلاثية من علماء مجمع البحوث الاسلامي وندبهم

السيد رئيس المجمع لابداء الرأي حول الكتاب موضوع المصادرة

وبجلسة ١١ / ٣ / ١٩٨٥ مثل السيد وكيل أول نيابة امن الدولة وقدم التقرير وطلب آجلا لاعلان المعروض ضده بالتقرير .. وقد انتهى تقرير اللجنة عن هذا الكتاب قد شابته بعض الاخطاء في بعض النصوص القرآنية (على النحو المبين في البند رابعا من التقرير) ورأت اللجنة أن يعد المؤلف صفحات في آخر الكتاب لتصويب الآيات القرآنية التي بها بعض الاخطاء مع الاشارة في أول الكتاب الى ذلك قبل تداوله في حالة رفع التحفظ عنه ورفض مصادرته .. وترى اللجنة ان الكتاب موضوع الفحص بعد التصويب المشار اليه في البند السابق لا اعتراض عليه من ناحية رفع التحفظ ورفض طلب مصادرته مع الافراج عنه بعد التصويب

وبجلسة ٢٢ / ٤ / ١٩٨٥ مثل المعروض ضده بمحام معه وطلب اجلا قصيرا لتقديم ما يفيد تصحيح الآيات القرآنية على ضوء ما ورد بالتقرير ..

وبجلسة ٦ / ٥ / ١٩٨٥ قدم نسختين من الكتاب بعد اجراء التصحيح وقدم مذكرة تعهد فيها بتصويب جميع النسخ قبل التوزيع .. ثم قررت المحكمة حجز الدعوى ليصدر فيها حكم بجلسة اليوم مع مذكرات لمن يشاء الى ما قبل الجلسه بيومين .. ولم يقدم شيء فيها

وحيث انه من المقرر ان حرية الرأي مكفولة لكل انسان الحق في التعبير عن رأيه ونشره بالقول ، أو الكتابه في حدود القانون وبغير الحاق الضرر بالمصلحة العامة ... لما كان ذلك وكان تقرير اللجنة المشكلة من السادة علماء مجمع البحوث الاسلامية قد انتهى الى ان الكتاب خواطر مسلم في المسألة الجنسية لااعتراض عليهامن رفع التحفظ عنه ورفض طلب مصادرته وذلك بعد تصويب الآيات القرآنية التي شابتها بعض الاخطاء ... ولما كان المعروض ضده المؤلف قد صحح الآيات القرآنية في النموذج المقدم منه بجلسة ٦ / ٥ / ١٩٨٥ وتعهد بتصحيح جميع النسخ قبل توزيعها على ضوء ما ورد بالتقرير ولما كان هذا الكتاب موضوع الفحص وما حواه من افكار لا يتنافى مع أحكام الشريعة ولا يلحق الضرر بالمصلحة العامة ولا يدعو الى التحلل من القيم الدينية ومن ثم فإنه تعين الافراج عن الكتاب والغاء أمر الضبط الى أن يلتزم المعروض ضده بما ورده بتقرير اللجنة المرفق من ضرورة تصويب الآيات القرآنية التي شابتها بعض الأخطاء .

فلهذه الأسباب

قررت المحكمة الافراج عن كتاب خواطر مسلم في المسألة الجنسية وبالغاء أمر الضبط الصادر بتاريخ ٥ / ٧ / ١٩٨٤ .

أمين السر   رئيس المحكمة

حررت هذه الصورة طبق الأصل من الحكم الصادر في القضية رقم ٣٢٢ /١٩٨٤ حصر أمن الدولة العليا وسلمت للطالب بناء على طلبه بعد سداده الرسم المطلوب بالقسيمة رقم ١٤٣٥٣/٧٢٢٣٣٧ وقيدت بدفتر الصور تحت رقم / صور

تحريراً في ٢٩ / ٦ / ١٩٨٥

الفهـــرس


صدر للمؤلف

مصريون لا طوائف	١٩٥٠
الجبهة الشعبية	١٩٥١
قانون الأحزاب	١٩٥٢
روسي وأمريكي في اليمن	١٩٥٧
شرف المهنة	١٩٦٠
الغزو الفكري	١٩٦٤
الماركسية والغزو الفكري	١٩٦٥
القومية والغزو الفكري	١٩٦٦
الحق المر	١٩٦٦
دراسة في فكر منحل	١٩٦٦
الطريق إلى مجتمع عصري	١٩٦٧
أخطر من النكسة	١٩٦٧
النكسة والغزو الفكري	١٩٦٨
ماذا يريد الطلبة المصريون	١٩٦٨
إيلي كوهين من جديد	١٩٦٩
الجهاد ثورتنا الدائمة	١٩٦٩
الثورة الفلسطينية	١٩٧٠
طريق المسلمين للثورة الصناعية	١٩٧٠
ماذا يريد الشعب المصري	١٩٧٠

* * *

رقــم الإيــداع : ٢١٣١ / ١٩٩٢

طبــع بــدار نوبــار للطبــاعــة



هذا الكتاب

محمد جلال كشك
الكاتب المصري المعروف

يقدم هذه المرة دراسة هى الأولى من نوعها فى موضوعها ، وصراحتها ، واستنادها إلى الأدلة الشرعية ، والوقائع التاريخية ، وحقائق العالم المعاصر .

وإذا كان المؤلف قد اشتهر بمؤلفاته السياسية والتاريخية المميزة ، فإنه فى هذا الكتاب

« خواطر مسلم فى المسألة الجنسية »

يخوض تحديا لم يسبقه إليه باحث باللغة العربية . وذلك من خلال عرض مفهومه كمسلم لكافة قضايا الجنس ، فى محاولة لاكتشاف القوانين الحضارية التى تتحكم فى السلوك والأخلاقيات ، مع التركيز على دراسة ظاهرة انتشار الشذوذ الجنسى فى مرحلة انهيار الحضارة الإسلامية . ومقارنة ذلك بما حدث فى الحضارات الغربية .. ومنهاجه فى ذلك البحث هو ما لخصته الناقدة اللبنانية الأستاذة هالة الحوري فى تعليقها على الطبعة الأولى بقولها : « ان الأستاذ محمد جلال كشك يعمل على تفهم الحكم الإسلامى ، بصدد العلاقات الجنسية ، فى صورته الفطرية الأولى .. بهدف العودة – على حد قوله – إلى دين الفطرة والبعد عن تدين أهل الحرفة » .

وهو فى هذا الكتاب يطرح قضايا قديمة ولكن بصيغة جديدة كما يطرح لأول مرة تساؤلات جديدة تماما ويقترح لها حلولا مثيرة فى جدتها وبساطتها . وقد لا نتفق مع كل ما يطرحه ولكنه بالتأكيد جدير بالتأمل والمناقشة .

وكانت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد صودرت ثم أفرج عنها القضاء بناء على تقرير اللجنة التى شكلت من مجمع البحوث الإسلامية ، وقد أضيف نص التقرير ومنطوق الحكم إلى هذه الطبعة المنقحة .

إنها أول معالجة صريحة متميزة لقضية الجنس بكافة أشكاله ، ممارسة وميولا ..

الناشر